

مَنْشُورَات كُليَّة اللاهوت الحَبْرِيَّة
جَامِعَةِ الرُّوحِ الْقُدُس - الكَشْلِيك

سِلْسِلَةُ «الأَدَبِ الرَّابِّيِّ» ①

مَدْحَنَةُ

إِلَى الأَدَبِ الرَّابِّيِّ

www.christianlib.com

الأبُ إِمِيلُ عَقِيْقِي ر.ل.م.

لِبْنَات

٢٠٠٥

مَنْشُورَاتُ كُليَّةِ اللاهُوتِ الحَبْرِيَّةِ
جَامِعَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ - الكَشْلِيك

سِلْسِلَةُ «الأَدَبِ الرَّابِّيِّ» ①

مَرْحَلَةٌ إِلَى الأَدَبِ الرَّابِّيِّ

الأبُ إِمِيلُ عَقِيْقِي ر.ل.م.

لَبْنَان

٢٠٠٥

© جميع الحقوق محفوظة
مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس - الكسليك، ٢٠٠٥
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه - لبنان
تلفون: ٩٦١/٩/٩٣٤٤٤٤
فاكس: ٩٦١/٩/٦٤٢٣٣٣
بريد إلكتروني: cedlusek.usek.edu.lb

فهرس

١٧-٥	مختصرات الأسماء
٣٢-١٩	مقدمة عامة : أهمية الأدب الرابيني
٤٨-٣٣	الفصل الأول : الإطار التاريخي للأدب الرابيني
٧٣-٤٩	الفصل الثاني : أعلام الأدب الرابيني
٨٦-٧٥	الفصل الثالث : المدارس الرابينية الفلسطينية والبابلية
٩٧-٨٧	الفصل الرابع : البيبليا
١١٣-٩٩	الفصل الخامس : التوراة أو التعليم الإلهي
١٣٦-١١٥	الفصل السادس : المشناه
١٥٢-١٣٧	الفصل السابع : التلمود
١٨١-١٥٣	الفصل الثامن : المدراس
١٩٧-١٨٣	الفصل التاسع : الترجوم
٢٠٢-٢٠١	المصادر

مختصر

أسماء، أنثمة ومقالات الحسنة والتسوية

أبت : أبوت (فصول الآباء)

أهل : أهْلُوت

با "بت : بابا بْتْرا

با "قا : بابا قاما

با "مص : بابا مَصِيعا

برخ : بَرخُوت

بكو : بَكُورُوت

بيك : بِيگُورِيم

بيص : بِيصَه او يَوْم طوب

ترم : تَرُومُوت

تعن : تَعْنِيَت

تمر : تَمُورَه

تمي : تَمِيد

حجي : حَجِيجَه

حلا : حَلَاه

حول : حُولِين

دما : دماي

روش : رُوش هَشَنَه

زبح : زَبَحِيم

زبیم : زَبِيم

زرع : زِرْعِيم

سنه : سَنَهْدَرِين

سوك : سوكَّه

سوط : سوطَه

شبت : شَبَّت

شبو : شَبِوعُوت

شقل : شَقْلِيم

طب " يو : طِبُول يَوْم

طهر : طَهْوَرُوت

عب " زر : عَبُودَه زَرَه

عدي : عَدِيُوت

عرل : عُرْلَه

عرخ : عَرَخِين

عرو : عَرُوبِين

عقص : عُقْصِيم

غيط : غِيْطَاين

فاه : فَاَه

فره : فَرَه

فسح : فَسَحِيم

قدش : قُدْشِيم
قيد : قيدوشين
قين : قينيم
كتب : كتوبوت
كري : كريتوت
كلي : كليم
كلا : كلائيم
مجل : مجيله
مخش : مخشيرين
معس : معسروت
مع "شن : معسر شني
معي : معيلا
مكو : مكوت
موع : موعد
موع "قط : موعد قطن
ميد : ميدوت
منح : منحوت
ميق : ميقوط
نجع : نجعيم
ندر : ندريم
نزر : نزير
نرزق : نزيقين
نشبي : نشيم

نيد : نيدّه

شبع : شبيعيّ

هور : هوريّوت

يدي : يديم

ييم : ييموت

يوم : يومّا

مختصر دى منفرد

تل با : تلمود بابلي

تل فل : تلمود فلسطيني او اورشليمي

توس : تَوْسِفَتَا

مشن : مِشْنَاه

ابوت " نات : أبوت دِرابي ناتان

مختصر (أسس) الحذر

مخ "يش : مَخِيلَتَا دِرَابِي يَشْمَعِل
مخ "شم : مَخِيلَتَا دِرَابِي شِمْعُونُ بن يوحاي
مخ "تث : مَخِيلَتَا تَثْنِيَة الاشتراع
سفرا "أح : سِفْرًا حول سفر الأخبار
سفري "عد وتث : سَفْرِي حول سفرَي العدد وتثنِيَة الاشتراع
سفري "زوطا : سَفْرِي زوطا (الصغير)
تك "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر التكوين
خر "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر الخروج
أح "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر الأخبار
عد "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر العدد
تث "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر تثنِيَة الاشتراع
نش "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر نشيد الاناشيد
را "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر راعوت
مرا "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر المراثي
جا "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر الجامعة
أس "ربا : مدراش رِبَّا (كبير) حول سفر أستير
فس "كه : فَسِيْقَتَا دِرَاب كَهانا
فس "ربا : فَسِيْقَتَا رِبَّاتِي
تنح : مدراش تَنْحوما

مد "مز : مدراش حول سفر المزامير

مد "أم : مدراش حول سفر الأمثال

مج "تعن : مَجِيَّلاتٌ تَعْنِيَت

سد عو "ربا : سِدِرِ عَوْلَامِ رَبًّا

سد عو "زوطا : سِدِرِ عَوْلَامِ زوطا

فرق "الع : فِرْقِي دِرَابِي إلْعَزِر

مد "يوس : مدراش يوسِفون

سف "يش : سِفِرِ هَيْيَشار

فطر "موش : مدراش فطيرات موشِه

در ار "ربا : دِرِخِ إِرْتُصِ رَبًّا

در ار "زوطا : دِرِخِ إِرْتُصِ زوطا

تنا "الي : تَنَّا دَالِيَّاهو

يلق "شم : يَلْقُوطِ شَمْعُونِي

يلق "مكر : يَلْقُوطِ هَمَكِرِي

مد "جدل : مدراش هَجْدُول

لق "طب : لِقَحِ طُوب

مد "شم : مدراش شَمُوئِل

مختصر (أسب) التراجم

- ترج "انك : ترجوم أنكلوس
ترج "اور : الترجوم الأورشليمي او ترجوم يوناتان المزعوم
ترج "نيو : ترجوم نيوفيتي
ترج "يونا : ترجوم يوناتان بن عوزيئل
ترج "يون : ترجوم سفر يونان
ترج "اي : ترجوم سفر أيوب
ترج "مز : ترجوم سفر المزامير
ترج "ام : ترجوم سفر الأمثال
ترج "را : ترجوم سفر راعوت
ترج "نش : ترجوم سفر نشيد الأناشيد
ترج "جا : ترجوم سفر الجامعة
ترج "مرا : ترجوم مراثي إرميا
ترج "اس : ترجوم سفر أستير

مختصر أسفار البسيط

- أح : سفر الأحبار
أخ ١ و ٢ : سفر الأخبار
إر : نبوءة إرميا
أس : سفر أستير
أش : نبوءة أشعيا
أع : أعمال الرسل
أف : رسالة بولس إلى أهل أفسس
أم : سفر الأمثال
أي : سفر أيوب
با : نبوءة باروك
بط ١ و ٢ : رسالتا بطرس
تث : تثنية الاشتراع
١ تس ٢ : رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي
تك : سفر التكوين
جا : سفر الجامعة
حب : نبوءة حبقوق
حج : نبوءة حجاي
حز : نبوءة حزقيال
حك : سفر الحكمة
خر : سفر الخروج

- دا : نبوءة دانيل
را : سفر راعوت
روم : رسالة بولس إلى أهل رومة
رؤ : رؤيا يوحنا
زك : نبوءة زكريا
سي : سفر يشوع بن سيراخ
صف : نبوءة صفنيا
١ صم ٢ صم : سفر صموئيل
طو : سفر طوبيا
طي : رسالة بولس إلى طيطس
١ طيم ٢ طيم : رسالتا بولس إلى طيموتاوس
عا : نبوءة عاموس
عب : الرسالة إلى العبرانيين
عد : سفر العدد
عز : سفر عزرا
عو : نبوءة عوبديا
غل : رسالة بولس إلى أهل غلاطية
فل : رسالة بولس إلى فيلمون
في : رسالة بولس إلى أهل فيليبي
قض : سفر القضاة
١ قور ٢ قور : رسالتا بولس إلى أهل قورنتس
قول : رسالة بولس إلى أهل قولسي
لو : إنجيل لوقا
متى : إنجيل متى

- مر : إنجيل مرقس
مرا : مراثي إرميا
مز : سفر المزامير
١ مك ٢ : سفر المكابيين
١ مل ٢ مل : سفر الملوك
ملا : نبوءة ملاخي
مي : نبوءة ميخا
نح : نبوءة نحemia
نحو : نبوءة نحوم
نش : سفر نشيد الأناشيد
هو : نبوءة هوشع
يش : سفر يشوع بن نون
يع : رسالة يعقوب
يو : إنجيل يوحنا
١ يو ٢ يو ٣ يو : رسائل يوحنا
يوء : نبوءة يوثيل
يون : نبوءة يونان
يه : سفر يهوديت
يهو : رسالة يهوذا

مَقَرَّة حَاتَّة

أَهْمِيَّة اللُّؤُوبِ الرَّابِّينِيَّ

أهمية الأدب الرابيني

أولاً - ما هو الأدب الرابيني؟

هو اصطلاح يُقصد به مجموعة الكتب التي دُوّنت فيها التوراة الشفهية (التقليد الشفهي) في الحقبة الرابينية، أي في الحقبة التي تلت دمار أورشليم وهيكلها، إثر الحرب الرومانية اليهودية (٦٦-٧٣ م.). دُعيت بالرابينية نسبة إلى الرّبانيم (جمع رابي أي معلّم)^١، خلفاء الفريسيين، الذين أعادوا إحياء الديانة اليهودية، بعد هذه الحرب المدمّرة، إنطلاقاً من مدرسة يَبْنَه (בֵּית הַבְּנֵי) مدينة يهودية على الشاطئ الجنوبي لفلسطين)، وعلى رأسهم رابي يوحنا بن زكّاي.

استمرّت حركة الرّبانيم الدينية هذه طوال قرون نتج عنها هذا الأدب، وقد كانت باكورتته المشناه^٢، وفيها جُمعت تعاليم الحكماء اليهود منذ العودة من سبي بابل (٥٨٣ ق.م.) حتى سنة ٢٠٠ م.، السنة التي فيها انتهى يهودا هالنّاسي (יהודה הנסי) من جمعها وتنسيقها لتصبح بين أيدي المدارس الرابينية في فلسطين وبابل^٣.

قلنا إنّ المشناه هي الباكورة، إذ تبعتها المدارس (جمع مدرّاش أي بَحْث ودَرْس) وفيها تفسير البيبليا، والتراجيم (جمع ترجوم) ° الآرامية التي سهّلت للشعب اليهودي فهم البيبليا المكتوبة^٤ في اللغة العبرية التي لم يعد يتقنها

١ - أنظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

٢ - أنظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

٣ - أنظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

٤ - أنظر الفصل الثامن من هذا الكتاب.

٥ - أنظر الفصل التاسع من هذا الكتاب.

٦ - أنظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

معظمهم، ومن ثم التلمود الأورشليمي، فالتلمود البابلي^٧ وهما تفسير للمشناه ويحتويان على تعاليم لרבّانيم كثر عاشوا ما بين القرنين الثالث والسادس للميلاد.

لم ينتهِ العمل في هذا الأدب ذي الطابع الديناميّ الشفهي، حتى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر للميلاد، مع أقول نجم المدارس الرابينيّة في فلسطين أولاً، وبلاد ما بين النهرين ثانياً، وانتقال الثقل الفكري إلى أوروبا وشمال أفريقيا، ليبدأ مرحلة جديدة ما غاب عنها الأدب الرابيني، بل كان، ولما يزل، في الأوساط اليهوديّة، عنوان البحث والدراسة والاهتمام، حتى أيّامنا هذه.

وفي هذا "المدخل إلى الأدب الرابيني" سنخصّص، لكلّ عنصر من عناصره، فصلاً نعرض فيه خصائصه الرئيسيّة ليتمكّن القارئ من الاطلاع عن كُتب وبإيجاز على فحوى الفكر اليهودي الرابيني الذي عاصر المسيح والرسل وآباء الكنيسة^٨، وأصبح في أيّامنا هذه محطّ اهتمام الكنائس المسيحيّة التي، وهي تبحث عن جذورها الفكرية في الببيليا واللاهوت، لا بدّ من أن تلتقي بهذا الأدب الرابيني، الذي طبع الديانة اليهوديّة.

ثانياً - تزايد اهتمام الكنائس المسيحيّة بالأدب الرابيني

١ - أهميّة الأدب الرابيني في دراسة الببيليا

ما تخلّت الكنيسة يوماً منذ نشأتها عن التوراة المكتوبة أو الببيليا، بل كانت كتب اليهود المقدّسة هي نفسها جزءاً من كتبها الموحاة. وما اكتمل القانون الببيلي المسيحي سوى بأسفار العهدين القديم والجديد. لقد قاومت الكنيسة في القرون الأولى كلّ محاولة للفصل بين العهدين وأهمّها محاولة مرقيون (حوالي

٧ - أنظر الفصل السابع من هذا الكتاب.

٨ - وعاصرت أيضاً نشوء الإسلام في مطلع القرن السابع للميلاد.

٨٠ - ١٦٠ م). الذي رفض العهد القديم، إذ لا يُعقل في نظره، أن يكون إله هذا العهد هو نفسه إله يسوع المسيح في العهد الجديد. سقطت نظرية مرقيون وبقيت الببليا اليهودية، إلى جانب العهد الجديد، عنواناً للمسيحية عبر العصور وحتى أيامنا هذه.

ثمة فرع كنسي، هو في جذور الكنيسة المتحدرة من أصل يهودي، يُقال له "كنيسة الختان"^٩، قد حافظ على التوراة الشفهية اليهودية (التقليد الشفهي) إلى جانب التوراة المكتوبة. تميز عن اليهودية بإيمانه بشخص يسوع المسيح ابن الله الذي تجسد ليخلص بني إسرائيل وسائر الأمم. وتميز هذا الفرع ذو التقليد الأورشليمي عن سائر كنائس الامبراطورية الرومانية آنذاك بحمله مشعال شريعة موسى إلى جانب شريعة يسوع، وكأتهما شريعة واحدة بدأت مع الأول واكتملت مع الثاني، ولا ضير في بقائهما سوياً طالما أن المسيح قال: "لم آت لأنقض بل لأكمل" (متى ٥: ١٧). ما لبث هذا التقليد الكنسي، ذو الأصل اليهودي، أن ضعّف مع الأيام، ودخل في غياهب النسيان، إمّا في هرطقة أبعدته عن التقليد المسيحي واليهودي معاً، وإمّا ذاب في رحاب الكنيسة الجامعة، وقد كانت من أصل أممي، روماني أو هليّني أو آرامي. وما بقي من جذور للمسيحية بارزة، سوى التوراة المكتوبة، في قانونها الإسكندري، عنيت به الترجمة السبعينية^{١٠} للنص العبري الأورشليمي أو الفلسطيني.

طالما اضطرّ مفسّرو التوراة المسيحيون في الأجيال الأولى للكنيسة، إلى اللجوء أحياناً كثيرة إلى أصحاب التوراة الشفهية من ربّانيم يهود في أرض فلسطين وغيرها، لاستيضاح أمور لغوية غمضت عليهم، وللاستعانة بخبرتهم في أساليب شرح الببليا التي برع فيها هؤلاء في المدارس والتراجم وغيرها من كتب التفسير والتوضيح.

٩ - راجع. Bagatti B., L'Eglise de la Circoncision, Jérusalem, 1964.

١٠ - هي الترجمة اليونانية للنص العبري. تُرجمت في مصر ما بين القرنين الثالث والثاني قبل المسيح.

على الرغم من تعلّق الكنيسة عبر عصورها بالبيبليا وأسفارها، فقد جهلت أو تجاهلت في بادئ الأمر، مسألة التوراة الشفهية - وقد أصبح لها تقليدها الكنسي الخاص بها-، ومن ثم تعرّفت إليها في كلّ من المشناه، والتلمود، والمدارش، والتراجيم... من خلال يهود تنصّروا في بداية القرون الوسطى، فسعت الكنيسة إلى الاستعلام منهم عن محتوى هذا التقليد، خصوصاً وأنّ اللغتين العبرية والآرامية اللتين كتبت بهما، كانتا مجهولتين من المسيحيين، فوجدت فيه بعضاً من النصوص التي اعتبرت مشينة بحق الكنيسة والإيمان المسيحي، فأصدرت الكنيسة عدّة أوامر لحرق التلمود^{١١} ودرء شرّه وخطره على المسيحيين. إلّا أنّه مع الوقت أخذ علماء البيبليا المسيحيون يتعلّمون اللغات البيبليّة فتعرّفوا أكثر إلى هذا التقليد الشفهي، إذ وجدوا فيه منفعة لهم في فهم البيبليا وتفسيرها. وظلّ هذا الوضع ينجلي حتّى العصور الحديثة حيث أخذ البيبليون يلمسون، شيئاً فشيئاً، أهميّة التقليد اليهودي الشفهي وضرورته لفهم البيبليا، وقد جاء في "وثيقة اللجنة البيبليّة الحبريّة"، الصادرة عن الفاتيكان في ١٨ تشرين الثاني ١٩٩٣، وهي تدور حول التفسير البيبلي في الكنيسة، ما يلي:

"قديمًا كان شرّاح البيبليا المسيحيون، منذ أوريغانوس وإيرونيوس (القرنان الثاني والثالث)، يستعينون بالشرح البيبلي أو المدراس اليهودي في سبيل فهم أكبر للأسفار المقدّسة. والعديد من الشرّاح المعاصرين يحذون حذوهم... ويلجأون إلى شرّاح ونحاة يهود، لفهم مقاطع مبهمّة أو عبارات نادرة وغير مألوفة. واليوم أكثر من ذي قبل نجد استشهادات من كتب يهوديّة في الدراسات البيبليّة..."^{١٢}.

١١ - منذ القرن الثالث عشر حتّى القرن السادس عشر. وأهم محرقة للتلمود كانت في باريس سنة ١٢٤٣.

١٢ - Document de la commission biblique pontificale, DC 1994, n. 2085, p.21. راجع وثيقة اللجنة البيبليّة الحبريّة، التفسير البيبلي في الكنيسة، بيبليات ٢، تعريب جرجس خليفة، المركز الرعائي، جبيل، ١٩٩٥، ص ٤٠-٤٢.

وتضيف هذه الوثيقة منبهة إلى أمر أساسي ومنهجي في التعاطي الجيد مع التقليد اليهودي الشفهي فتقول :

"إنّ العلم اليهودي الغني، الموضوع في خدمة دراسة الببلييا، منذ البداية حتى أيامنا هذه، هو عضد من الدرجة الأولى في دراسة العهدين، شرط استعمالها بفطنة... (لأنّ) الإطار العام لليهودية يختلف تماماً عنه في المسيحية : فاليهودية من ناحيتها هي ديانة قائمة على شعب ونمط حياة يرتكزان على وحي مكتوب وعلى تقليد شفهي، بينما المسيحية هي إيمان بالرب يسوع الذي مات وقام وهو بعد حي، وهو المسيح ابن الله الذي أسّس الكنيسة. يخلق هذان المنطلقان إطارين مختلفين للدراسات الببيلية. فبالرغم من التشابه الكبير بينهما، يبقيان في تمايز جذري..."^{١٣}.

٢ - أهمية الأدب الرابيني في فهم اللاهوت المسيحي

تدعو هذه الوثيقة عينها، منذ عباراتها الأولى، إلى ترابط وثيق بين دراسة الببلييا والدراسة اللاهوتية ، حيث تقول : "إنّ دراسة الببلييا هي روح اللاهوت" ، ممّا يعني أنّ الدراسات اللاهوتية تستفيد هي أيضاً من الانفتاح الفكري على التقليد اليهودي الشفهي، وهذا ما يؤكده أ. بيار لينارد Pierre Lenhardt الباحث الكاثوليكي حينما يقول : "إنّ المصادر اليهودية التي أطلعها منذ سنوات عديدة، لها أهمية حيوية بالنسبة إليّ أنا المسيحي. أودّ، دون شكّ، أن يعترف جميع المسيحيين بأهميتها وأن ينصرف عدد منهم إلى دراسة هذه المصادر اليهودية..."^{١٤}.

ويضيف في موضع آخر : "إنّني أنطلق تحديداً من المسيحية. أن أدرس المصادر اليهودية واضعاً جانباً إيماني المسيحي يكون هذا ضرب من ضروب

١٣ - المرجع نفسه، ص ٢٢.

١٤ - L'importance des sources juives pour un chrétien, in Cahiers Ratisbonne, - ١٤

7, (décembre, 1999) 102.

الجهالة. إنّه لخطأ كبير أن أدرس المصادر اليهودية من ناحية صرف علمية...^{١٥}. ويقول أيضاً: "...إنّ المصادر اليهودية تنير بعمق إيماني المسيحي"^{١٦}. وهو يعني بذلك، كما هو واضح من المقال، إيمانه بقيامة الأموات، وبوحدانية الله وثالوثيته، وبتجسد الكلمة من خلال فهمه لمبدأ السكنى الإلهية بين البشر...

٣-- انفتاح الكنيسة الكاثوليكية على اليهودية انطلاقاً من المجمع الفاتيكاني الثاني

تبنت الكنيسة هذا الانفتاح على العالم اليهودي الروحي والفكري والإنساني، لا بل شجعت على المضي فيه، مشددة على القواسم المشتركة الموجودة، والتي لا بدّ من تبيانها، بين المسيحية واليهودية. يقول نصّ المجمع الفاتيكاني في هذا الصدد: "بما أنّ للمسيحيين وللإهود تراثاً روحياً مشتركاً وسامياً، يريد هذا المجمع المقدّس أن يوصي بالمعرفة والاعتبار المتبادلين وأن يعزّزهما بين الاثنين، ويحصل ذلك خصوصاً بالدروس الكتابية واللاهوتية والحوار الأخوي"^{١٧}.

وفي تفسير للفقرة عينها تشدّد الكنيسة على أنّه "... من المهمّ أن يسعى المسيحيون إلى التعرف أكثر على المكونات الأساسية للتقليد الديني اليهودي، وأن يدركوا السمات الأساسية التي يحدّد بها اليهود أنفسهم، في إطار حقيقتهم الدينية المعاشة"^{١٨}.

١٥ - المرجع نفسه، ص ١٠٨.

١٦ - المرجع نفسه، ص ١١٤.

١٧ - المجمع الفاتيكاني الثاني، تصريح حول علاقة الكنيسة الكاثوليكية مع الديانات غير المسيحية، الفقرة ٤.

١٨ - Orientations et suggestions pour l'application de la déclaration conciliaire -

"Nostra Aetate" n. 4, Documentation catholique, 19 janvier 1975, p. 59.

وفي روح هذا النصّ المجمعي، يشدّد اللاهوتي هانس كونغ على أن نتعاطى والمعطيات الدينية اليهودية بكل جدية واحترام وموضوعية، فيؤكد على أنّه "لا يمكن اعتبار الديانة اليهودية وكأنّها "عهد قديم" تعود إلى الماضي، بل وكأنّها حقيقة قائمة بذاتها، وكاستمرارية حيوية ودينامية ملفتة. كما لا يحقّ لفكر لاهوتي مسيحي أن يعتبر اليهودية وكأنّ الزمان تخطأها من حيث أنّها "تاريخ خلاص"، أو الاستعانة بها وكأنّها مجرد "ميراث" يساعد على تحديد الهوية المسيحية. كما لا يمكن لأيّة كنيسة أن تعتبر نفسها "إسرائيل الجديد" التي حلّت مكان "إسرائيل القديم". وكذلك لا يحقّ لأي مسيحي أن يجهل حقيقة الديانة اليهودية الحيّة والتحدّي الذي تشكّله له، ليس فقط في استمراريّتها، بل في تجدّدها الحيوي وانتظامها في دولة يهودية تحتضن الشعب اليهودي"^{١٩}.

٤ - أهمية الأدب الرابيني في دراسة الأدب السرياني المسيحي

وفي إطار الدعوة المجمعية إلى دراسة التراث الروحي المشترك بين المسيحيين واليهود نجد خصوصية تراثية روحية وفكرية تقرب بشكل خاص بين التقليد اليهودي الذي نشأ في فلسطين وبلاد ما بين النهرين، وفي بابل تحديداً، والتقليد المسيحي الآرامي السرياني الذي نشأ في محيط الجالية اليهودية الكبيرة والتي منها خرج مسيحيو تلك الأصقاع. لذلك، فإنّ دراسات مقارنة بين هذين التقليدين قد تؤدي - وقد أدت - إلى اكتشاف عناصر حقيقية قد حملها التراث السرياني الروحي بتأثير مباشر من التقليد اليهودي القوي بحضوره الروحي والإنساني، في بلاد الرافدين. من هنا يقول الأب الياس خليفة في إحدى محاضراته حول هذا الموضوع، ما يلي:

"سيرگز حديثنا على القسم الشرقي من المنطقة حيث تكوّن التقليد السرياني بعيداً عن التأثير الهليني، وحيث تعيش جماعات يهودية كبيرة منذ

السبي في القرن السادس قبل المسيح. تحرّرت هذه الجماعات أيام الفرس واستطاعت أن تخلق تقليدًا يهوديًا خاصًا بها كان له التأثير الكبير على سائر الجماعات اليهودية المشرقية وعلى المسيحية الآرامية السريانية حتى القرن الرابع... يقرّ العلماء بأنّ الجماعات المسيحية الأولى قد تشكّلت في كلّ من نصيبين والرها، وأنّ هذه الجماعات المسيحية كانت، بدرجة أولى، تعيش مع الجماعات اليهودية ومن ثمّ انفصلت عنها، تمامًا كما جرى في سائر أنحاء الامبراطورية الرومانية... ممّا يدلّ على أنّ المسيحية السريانية تتجذّر في العالم الفكري السامي واليهودي...^{٢٠}.

من هنا أهمية التعرف على هذا التراث اليهودي في دراسة الأدب السرياني المسيحي، لما بينهما من تقارب روحي وفكري وإنساني.

٥ - إهتمام العلماء اليهود المتزايد بالمصادر المسيحية

وبالمقابل، نجد عند العديد من علماء اليهود إهتماماً بالمصادر المسيحية وأبرزها العهد الجديد الذي باتوا يعتبرونه جزءاً لا يتجزأ من تراثهم الروحي اليهودي طالما أنّه نشأ في بيئة يهودية عاش فيها يسوع ثلاثاً وثلاثين سنة. يؤكّد العالم اليهودي جيزا فرمس Geza Vermès على إهتمام البحّثة اليهود بالمصادر اليهودية كالآتي :

"واليوم، فإنّك لا تجد بحّثة يهود، وهم منكّبون على دراسة مسائل يهودية، لا يستعينون دائماً بمصادر مسيحية، ليفسّروا ويوضّحوا استنتاجاتهم وتحليلاتهم، لأنّهم يتيقّنون أنّ وجهتي النظر (المسيحية واليهودية) هما متّصلتان الواحدة بالأخرى..."^{٢١}.

٢٠ - Khalife E., The Jewish Roots of the Syriac Tradition, in The Near East -

School of Theology, Theological Review, XVII/2, 1996, p. 113-126.

٢١ - Malka S., Jésus rendu aux siens, Albin Michel, Paris, 1999, p. 35.

وعالم يهودي آخر هو تصفي فربلوفسكي Zvi Werbloweski يشهد لهذه الحقيقة قائلاً :

" في القسم الذي كنت أديره، كان هناك العديد من التلامذة الذين أخذوا بالاهتمام بالمسيحية. وكذلك في جامعة تل أبيب. ولكن لاحظت عند الجيل الفتى، أي جيل تلاميذ تلاميذي، اهتماماً أكبر بالمسيحية الأولى، أي بالحقة التي كانت فيها الكنيسة أقرب الى جذورها اليهودية... "٢٢. ويضيف مستطرداً : "إن لي أصدقاء، أساتذة جامعيين، وربّانيم كانوا قد طالبوا أن تُقرأ فصول من العهد الجديد في المدارس (اليهودية). وهذا ليس دعاية للكنيسة الكاثوليكية، إنّما لاعتبارها جزءاً من تاريخ الديانة اليهودية في حقة الهيكل الثاني. وإذا أردنا أن نعلم أولادنا، في المدرسة، التاريخ اليهودي، فيجب المرور بهذا... "٢٣.

وينهي حديثه بهذا القول التأسيسي : " يجب الاعتراف بأنّ الحوار بين اليهود والمسيحيين ليس كالحوار بين اليهود والبوذيين. إنّهُ مشروط بوحدة الجذر "٢٤ الروحي والثقافي والإنساني. وهذه الوحدة في الجذر خلقت ظاهرة روحية وثقافية في العالم تُسمّى التقليد اليهودي - المسيحي judéo-chrétien الذي ينهل من معين واحد هو الوحي الإلهي في الببيليا، ويصبّ في بحور مختلفة تخبّئ في أعماقها كنوزاً لا يسبرها إلّا من يهّم البحث فيها لعلّه يكشف المعنى في الكلمة، كلمة الله : اليهودي، وله التوراة أو التعليم الإلهي إلى ذلك سبيلاً، والمسيحي، وله المسيح أو الإقنوم الإلهي الى ذلك سبيلاً، وفي الحالتين هل يتناقض كلام الله؟ حاشا، لا بل يتكامل إلى أن يكتمل بـ " الكلمة " التي كانت منذ البدء ولا تزال تهدي الناس وتدفع بهم إلى لقاء وجه الرب هدف كلّ هذه

٢٢ - المرجع نفسه، ص ٣٩.

٢٣ - المرجع نفسه، ص ٤١.

٢٤ - المرجع نفسه، ص ٤٢.

الدينامية الروحية التي نجدها في المسيحية واليهودية على السواء. على مستوى اليهودية دفعت هذه الدينامية بأجيال وأجيال من العلماء اليهود ليعضوا تراثاً روحياً، ارتأينا قبل الدخول فيه أن نجعل له هذا المدخل، ولو كان ضيقاً بعض الشيء، إلا أنه فاتحة تدعو القارئ إلى إسقاط الحائط الذي يفصل المرء عن جذوره ليعطيها القدر اللائق بها من الاهتمام، في سبيل منفعة تطاول واقعه الروحي والديني الحالي. فالحوار مع الجذور ليست غايته سوى فهم الحاضر وتقويمه خير تقويم، بعيداً كل البعد من الأفكار المسبقة التي هي، في غالب الأحيان، لا أصول لها ولا جذور.

ثالثاً - أهمية الأدب الرابيني في فهم النصوص القرآنية

قديمة العهد^{٢٠} ووافرة هي الأبحاث التي تقارن بين المصادر الدينية لإقرار الجذور التاريخية لما هو مكتوب أو منقول. فكما أصبحت المصادر اليهودية الرابينية مرجعاً لا غنى عنه في الدراسات البيبلية المسيحية، كذلك كشفت دراسات النقد الأدبي للنصوص القرآنية رباطاً فكرياً وتاريخياً مع نصوص الأدب الرابيني التي تسبق نشوء الإسلام والقرآن. مردّ هذا التقارب إلى عدّة عوامل منها البيئة الفكرية السامية المشتركة، وتواصل مباشر لليهودية مع الإسلام الناشئ، أو غير مباشر من خلال النصرانية التي وإن حملت طابعاً مسيحياً بقيت عناصرها اليهودية طاغية.

"يعود الفضل إلى تيودور نولدكه في تبيان كون المقاطع البيبلية الواردة في القرآن مصدرها تقاليد شفوية متداولة بين يهود مدن الجزيرة العربية، أو من عرب تنصروا. إنَّ معلّمي النبي محمّد استقوا نصوصهم من منحولات العهد

القديم والجديد، وخاصة من الأدب الأجدادي اليهودي الواسع الانتشار في زمن نشوء الإسلام^{٢٦}.

يقول أبو موسى الحريري في كتابه "قسّ ونبيّ" ما يلي: "نظرة القرآن إلى الله وكلماته، وقصّة الخلق منذ المبدأ حتى المآل، ووصف عدن حيث آدم وحواء، وخلق الملائكة الأخيار منهم والأشرار، واختيار النبيين من نوح إلى إبراهيم، وولديه إسحق وإسماعيل... كلّ هذه، وغيرها، تناولها القرآن العربي من مصادرها الأساسية، التوراة، والمزامير، والتلمود اليهودي، وأناجيل النصارى المنحولة، ومصنّفات آباء الكنيسة السريانية، وتقاليده الكنيسة النصرانية في مختلف شيعها..."^{٢٧}.

رابعاً - أهمية معرفة الأدب الرابيني في إطار هذا العالم العربي

في هذه الظروف المعقّدة التي يمرّ بها الشرق العربي في صراعه مع دولة إسرائيل، لا بدّ من إيجاد مناخات إيجابية تهبّ لمستقبل يسود فيه العقل والمنطق والمعرفة المتبادلة، ممّا يخفّف من وطأة التباعد والتخاصم، والتجاهل المؤدّي إلى الجهل الذي يملأ أرجاءنا في غياب فكر موضوعي يوصل الذات إلى الآخر، من خلال مصادر تعبّر عن هذه الذات في حقيقتها المجرّدة، بعيداً من أي لبس يزيد

٢٦ - Sidersky D., Les origines des légendes musulmanes dans le Coran et dans la vie des Prophètes, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1933, p. 1.

٢٧ - سلسلة الحقيقة الصعبة ١، دار "لأجل المعرفة"، ديار عقل، لبنان، ٢٠٠١، ص ١٧٧. كثيرة هي المراجع التي تعالج هذا الموضوع، سنذكر بالإضافة إلى ما ذكرنا بعضاً من المتوفّر منها في دينا: زاوي أندره شالوم، مصادر يهودية في القرآن، أورشليم، (عبري). Le Coran, traduction et notes D. Masson, Gallimard, Paris, 1967. Masson D., Monothéisme coranique et monothéisme biblique. Doctrines comparées; Ed. DDB, Paris, 1976. Zakarias H., L'Islam entreprise juive, 2 tomes, Toulouse, 1955.

الجهل جهلاً، والغموض غموضاً، والتباعد تباعداً، فتزول كل فرصة لقاء، ولو فكري، من أمامنا نحن الذين ننشد المعرفة كدبف للسلام الخارجي والداخلي على السواء.

تجدد الإشارة هنا إلى أن هذا " المدخل إلى الأدب الرأببببب " لا يعتد بأنه يطمر هوّة التباعد والتجاهل، بل يريد أن يساهم في أن يكون دعامة في جسر التلاقي بين التقاليد التي نشأت في هذه المنطقة ألا وهي : التقليد اليهودي، والتقليد المسيحي، والتقليد الإسلامي، جميعها، تقاليد قواسمها المشتركة كثيرة وتكفي للبحث فيها زماناً وافرأ يسليها عن ما يفرق بينها.

في الختام، أردنا لهذا الكتبببب أن يكون في بادئ الأمر، مدخلاً إلى عالم الأدب الرأببببب في مجمل عناصره، ومن ثمّ مدخلاً إلى سلسلة كتب تُنشر فيها نصوص هذا الأدب بعد ترجمتها من العبرية والآرامية إلى العربية، لتكون في متناول القارئ العربي. هذا وقد خصصنا لكل عنصر من العناصر الأدبية فصلاً خاصاً به داعمينه بنصوص توضح خصائص كل منها فتكون الإفادة من قراءتها أوفر.

عبارات شكر وامتنان نرفعها إلى جميع الذين راجعوا هذا الكتاب قبل طباعته فأبدوا الملاحظات القيمة في المعنى والمبنى، وقد أخذناها بعين الاعتبار وعملنا بموجبها فساهمت في إبراز حلته النهائية ليصل إلى القارئ عملاً متكاملاً وشيقاً. كما إننا نخص بالشكر إدارة كلية اللاهوت الحبرية، في جامعة الروح القدس في الكسليك التي تبنت هذا الكتاب فشرفته بإدراجه ضمن سلسلة منشوراتها.

المؤلف

دير سيّدة النصر نسيبه - غوسطا

في الحادي عشر من شهر أيلول ٢٠٠٤

الفصل الأوّل

الإيمان التاريخي للرب الربّينيّ

الفصل الأول

المظهر التاريخي للوحدانية (الرابينية)

مقدمة

يعتبر العلماء، المختصون بالحركة الرابينية، أن جذورها تمتد إلى الحقبة الفارسية التي فيها عاد اليهود من السبي (٥٣٨-٣٣٣ ق.م.)، وتدوم إلى ما بعد الحقبة الرومانية (٦٣ ق.م.-٣١١ م.) والبيزنطية (٣١١-٦٤٠ م.)، لتصل إلى مشارف الفتح العربي (٦٣٤ م.)، لا بل تذهب إلى أبعد من ذلك، حتى تصل إلى القرن الحادي عشر (١٠٤٠ م.) الذي شهد أفل نجم مدارس بابل التلمودية، وانتقال الثقل الفكري والديني اليهودي إلى أوروبا وشمال أفريقيا. إلا أن هذه الحركة شهدت في الحقبة الرومانية، خاصة في القرن الأول ق.م. والقرون الأولى للمسيحية، نمواً وتجديداً، ما جعلها تقطف ثمار هذا التاريخ الغني بالفكر والأحداث والتغيرات. من هنا تُعتبر حقبة الهيكل الثاني (٥١٥ ق.م.-٧٠ م.)، حقبة تأسيسية بالنسبة إلى علماء الشريعة الذين أخذوا يحلّون محل الأنبياء، في حمل كلمة الرب وتفسيرها للشعب. فبعد سنة ٧٠ م. التي فيها تمّ دمار أورشليم وهيكلها، ستظهر هيكلية جديدة، غنيت بها الهيكلية الرابينية التي تركز على تعاليم الآباء الأقدمين، ولا سيما الفريسيين منهم، وتحافظ على إستمرارية التقليد اليهودي المقدس.

١ - الإطار البعيد للأدب الرابيني

يعود إطار الأدب الرابيني التاريخي البعيد، إلى زمن دمار أورشليم والهيكل الأول على يد البابليين (٥٨٧-٥٨٦ ق.م.)، ومن ثم سبي النخبة من الشعب إلى بلاد بابل حيث أمضوا زهاء ٧٠ سنة (٥٨٦-٥٣٨ ق.م.) عاشوها على رجاء العودة إلى أرضهم حيث يمارسون ملء حياتهم الدينية ماحين من ماضيهم ذكرى تعلقهم وتعلق أجدادهم المتأرجح بديانة يهوه : فقد كانوا، وملوكهم على رأسهم، يُشركون آلهة غريبة مع إله آبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب، فدفعوا ثمن غربتهم الروحية والدينية، غربة مكانية في أرض غريبة، بين شعوب وآلهة غريبة.

وكان السؤال المطروح على كل شفة من شفاه المسيبين، هل انتهى كل شيء؟ طبعاً لا! فإن النبي حزقيال حسسهم أن لا بدّ من عودة إلى الذات تسبق العودة إلى أورشليم وهيكلها. ولكن كيف يتمّ هذا والهيكل والسكنى^{٢٨} في غياب؟

كان وجود النبي حزقيال مع الشعب في المنفى علامة عزاء ورجاء من الله الموجود وسط شعبه أينما كان، وليس فقط في الهيكل الحجري (حز ١١: ٢٣-٢٤). يخبرنا سفر حزقيال أن النبي اجتمع ثلاث مرّات مع شيوخ بني إسرائيل لاستلهم الربّ، وكان يحدثهم بإرادته فيتشاور وإياهم لإيجاد السبل الناجعة التي تعيد إلى شعب الله المختار مجده المفقود بين الأمم : كانت نتيجة هذه اللقاءات الدعوة إلى تنقية قلوب الشعب من القذارات المتراكمة بسبب بعدهم من العبادة الصحيحة، ولكن كيف؟ بالعودة إلى أحكام الربّ التي أعطيت لموسى في سيناء، فبوشر العمل على جمعها - وقد كانت تقاليد متفرقة - لجعلها سنة من الله إلى الشعب الذي اختاره مجاناً ليكون علامة له بين الأمم (تث ٤: ٥-٨). جعلت هذه السنة في تعليم هو التوراة يعلمها الأب لأبنائه على مرّ الدهور (تث ٦: ٦-٧).

ففي محنة المنفى تبلورت عندهم فكرة التوحيد في شخص الإله يهوه الذي أصبح الإله الأوحد والمطلق، سيّد الكون وخالقه، ولا مثيل له بين سائر الآلهة

المزيّفين. كما تبلورت لديهم فكرة العهد الذي بينهم وبين هذا الإله الواحد، والذي جعلهم شعباً مميّزاً ومختاراً من بين شعوب المعمورة. وهذه الحقائق التي انكشفت لهم في أيام الذلّ والمهانة، سوف تنضج أكثر فأكثر بعد عودتهم إلى أرض أجدادهم، أرض الميعاد.

وفي سنة ٥٣٨ ق.م. عاد شعب إسرائيل إلى أورشليم، بأمر من قورش الملك الفارسي (٢ أخ ٣٦: ٢٣-٢٤؛ عز ١: ١-٤)، وفي حوزتهم ما جمعه من تقاليد وتعاليم وأحكام إلهيّة، معاهدين الربّ بأن يسيروا، هم وأبنائهم، بموجبها.

في أورشليم، وبعد الفراغ من بناء الهيكل (حوالي سنة ٥١٥ ق.م.)، باشر عزرا، وهو "كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاه إله إسرائيل" (عز ٧: ٦)، يعلّم الشعب أحكام الله (عز ٧: ١٠)، ويؤسّس من بين صفوف الكتبة الذين كانوا يعاونونه في تعليم الشعب، ما يُسمّى بـ "المجمع الكبير" الذي كان يُعنى، إلى جانب تعليم الشعب شريعة الله، بترجمتها إلى مواد سلوكيّة يسير بموجبها اليهودي في كل أيام حياته ومرافقها. لذا يُعزى إلى هذا المجمع دوره أولاً، في السعي إلى جمع النصوص الكتابيّة وفحصها والعمل، رويداً رويداً، على إقرار القانون الكتابي اليهودي. وثانياً، في حفظ التقليد الديني القائم على تعاليم الآباء واجتهاداتهم في شرح التوراة، وهذا ما سوف يسمّى لاحقاً التوراة الشفهيّة. وثالثاً، في تأليف بعض الصلوات اليوميّة وترتيبها كـ «البركات الثماني عشرة»، و صلاة "إسمع يا إسرائيل..." (تث ٦: ٤...)، وغيرها من الصلوات اليوميّة أو تلك التي تتلى بمناسبة الأعياد المختلفة...

باختصار، لقد كانت مهمّة عزرا ومن بعده "المجمع الكبير"، أن يجعل التوراة محور حياة الجماعة اليهوديّة، وهنا تكمن باكورة الديانة المتجدّدة - لا الجديدة- التي ستُدعى "الديانة اليهوديّة" (أو ديانة اليهوديّة) بدل "ديانة إسرائيل" التي كانت أيام الملوك والهيكل الأوّل.

استمرّ المجمع الكبير، وعلى رأسه الكاهن الأكبر، كسلطة دينيّة وزمنيّة على

شعب إسرائيل، ضمن إطار حكم ذاتي تيوقراطي، كان صورياً في أغلب الأحيان، إلى أن قُضي عليه أثناء الحرب الرومانية-اليهودية (٦٦-٧٠ م).

٢ - إطار الأدب الرابيني القريب

يمكن تحديد الحقبة التاريخية التي شهدت نشوء الأدب الرابيني بالحقبة الممتدة بين سنة ٧٠ م.، السنة التي فيها دُمّر الهيكل الثاني إثر الحرب ضدّ الرومان، وسنة ١٠٤٠ م.، السنة التي بدأ فيها أفول نجم مدارس بابل التلمودية. فلسطين وبابل كانتا قطبي الفكر الرابيني. فقد كان تبادل العلماء بين هذين القطبين أمراً عادياً ممّا جعل الأدب الرابيني يرى النور فيهما.

كانت نكبة سنة ٧٠ م. التي تعرّضت لها فلسطين شمالاً في الجليل، وجنوباً حتى اليهودية وعاصمتها أورشليم، وشرقاً حتى البحر الميت عند خربة قمران، حتى قلعة مسّاده، كانت ضربة قاضية على الكيان اليهودي في تلك الحقبة، وقد كان كياناً لا يُستهان به، ليس بشرياً فحسب، بل فكرياً أيضاً إذ أنّ الأفكار المسيحانية كانت في أوج انتشارها، ولا سيّما وأنّ خناق الاحتلال الروماني كان يضيق شيئاً فشيئاً إلى أن انفجر بركان النقمة، تعزّزه نار الحرية السليب، سنة ٦٧ م. ودام هذا الانفجار إلى ما بعد سنة ٧٠ م.، السنة التي دُمّرت فيها أورشليم وهيكلها ومُنعت على من تبقي من اليهود في تلك الناحية. وفي سنة ٧٣ م. انتهت الحرب بسقوط آخر معقل للثوّار في مسّاده جنوبي غربي بحر الميت.

كانت نتائج هذه الحرب وخيمة جداً، إذ أنّ المجتمع اليهودي بأسره سوف يتغيّر بسبب غياب مؤسسات دينية كانت بمثابة العمود الفقري لهذا المجتمع الديني بأصله : دمار الهيكل مركز العبادة اليهودية، ومن ثمّ دمار أورشليم عرين السلطة اليهودية المتمثلة بالمجمع الكبير (السנהدرين) الذي يضمّ في

صفوفه أركان اليهود من الصادوقيين والفريسيين. مع زوال هذه المؤسسة، زال كل حظّ بحكم ذاتي يخفف، ولو قليلاً، من وطأة الاحتلال الروماني.

ولكن لا بدّ من أمل في الأفق المتلبّد يعيد الثقة إلى النفس المهزومة! فقد قام من بين الفريسيين أحد أحفاد رابي هيلل، وهو الرابي يوحنا بن زكّاي الذي نجا بنفسه من أورشليم المحاصرة، والتجأ إلى معسكر الرومان ليبدأ مرحلة جديدة أسّس فيها نهضة روحية دامت ثمارها حتى أيّامنا هذه.

طلب يوحنا بن زكّاي من الامبراطور فسبسيانوس أن يسمح له مع بعض من الحكماء الفريسيين، بالمضي إلى محلّة يَبْنَه (בִּנְיָה) على الساحل الجنوبي لفلسطين، لتأسيس مجمع جديد يعيد بناء ما تهدّم من الحياة اليهودية. عُرفت تلك الحقبة بـ "حقبة يَبْنَه" التي دامت حتى سنة ١٣٥ م.، السنة التي فيها قضى الرومان على ثورة بن كوزيبا (١٣٢-١٣٥ م.). في هذه الحقبة تمّ تجميع كلّ ما هو شفهي محفوظ في ذاكرة الناجين من العلماء، مع التركيز على ما تبقى من مكوّنات الديانة اليهودية وهي التوراة والمجمع: التوراة، في شقّيها المكتوب والشفهي وفيهما تعليم إلهي واحد، والمجمع (בֵּית הַדְּבָרִים) كمكان تلتئم فيه الجماعة اليهودية للصلاة وقد حلّت مكان التقادم في الهيكل، أو لدراسة التوراة التي باتت المحور الأساسي في حياة اليهودي الفرد، وفي تنظيم الجماعة اليهودية.

أدّت ثورة بن كوزيبا الذي أعلنه رابي عقيبا مسيحاً، إلى نهاية الوجود اليهودي في منطقة اليهودية، ومن أعمالها محلّة يَبْنَه، حيث المركز الرابيني الأهم عند اليهود. فبعد القضاء على الثورة، ترتّبت أمور جديدة منها انتقال المركز اليهودي إلى منطقة الجليل، وتحديدًا إلى أوّشا حتى سنة ١٧٠ م.، ومن ثمّ إلى بيت شعاريم فصقّد، وأخيراً إلى طبرية نحو منتصف القرن الثالث للميلاد.

في هذه الحقبة أي نحو سنة ٢٠٠ م.، جمع الرابي يهودا هالنّاسي التقاليد الشفهية التي كانت متداولة في المدارس التوراتية، ونظّمها وجعلها في ستّة

أنظمة تحتوي على ٦٣ فصلاً، وسُمّيت "مِشْنَاه" ومعناها التعليم الذي يتردّد ويتكرّر على لسان المعلمين فالتلامذة.

إنّ المشناه هي في الأصل تقليد شفهي، ولكن الخوف من اندثار التعاليم، بموت العلماء بسبب الحروب المتكرّرة، كان الدافع الأساسي لحفظها من خلال تدوينها وترتيبها لتسهيل استعمالها واللجوء إليها.

بعد ترتيبها، أصبحت المشناه بدورها كما التوراة، موضوع دراسة وبحث لتبيان معانيها في سبيل تطبيق أحكامها، ولا سيّما أنّ معظم أحكامها هي أحكام تشريعية سلوكية، نجم عن تفسيرها ما يُسمّى بالتلمود، ومعناه التعليم وهو قسمان: المشناه، أي الفقرة موضوع النقاش والتفسير، والغمراه (גמרא) وهي التفسير. والتلمود هو اثنان: أورشليمي أو فلسطيني وقد خُتم قرابة بداية القرن الخامس الميلادي، وبابلي وقد خُتم قرابة بداية القرن السادس.

في أثناء ثورة بن كوزيبا، غادر العديد من علماء فلسطين إلى بابل، وبقوا هناك حتى بعد استتباب الأمن فيها. أسّسوا هناك سلالات من العلماء وساهموا في جعل مدارس بابل تستقطب أنظار العالم اليهودي في الشتات، كمرجع ديني بعد أن بدأت مدارس فلسطين تفتقر تدريجياً إلى معلّمين كفوئين، بسبب مضايقات الرومان، ومن بعدهم البيزنطيين. أهمّ هذه المدارس وأشهرها كانت مدرستا سورا وبومباديتا، في بغداد، وقد وصلتا في أيام العباسيين إلى عصرهما الذهبي (بين القرنين الثامن والعاشر للميلاد).

وفي النصف الثاني من القرن الثامن، وقع خلاف حادّ بين حنّان بن داود، وهو من سلالة أمراء الجلاء في بابل، وقد كان طامحاً إلى خلافة الأمير المتوفى من دون عقب، من جهة، والجاونيم (علماء ورؤساء مدارس) الذين حاولوا إبعاده عن هذا المنصب، من جهة ثانية. وللتعبير عن سخطه، أنكر حنّان بن داود سلطة التلمود، معتبراً إياه غير ملهم وغير مقدّس. فقط البيبليا تحمل كلام الله، وإليها وحدها، من دون سواها، يعود اليهودي المؤمن في حياته الدينية

والليتورجية والسلوكية. لهذا فقد أسس شيعة جديدة دُعيت القرائية وعُرف أتباعها بالقرائين نسبة الى (مقرا ٨٢٢) أي الآخذين بالبيبليا وحدها من دون التلمود والمشناه، أي من دون التوراة الشفهية. وكان أتباع هذه الشيعة يأخذون بحرفية الشريعة والنصوص البيبلية.

إن هذا الصراع القائم مع القرائين، دفع بالرأبين الى دراسة النصوص البيبلية بجدية أكبر، فحاولوا ضبطها لتقرأ قراءة صحيحة مقياسها التقليد (١٦٥٢) لذلك فإن المحاولات التي جرت، وأهمها في طبرية، لتشكيل البيبليا، ضبطاً لمعاني نصوصها على ما يقتضي التقليد، نجم عنها النص الذي يدعى النص "المسوري" أو «مسورتي» (٢٦٥٢) أي التقليدي.

وبرزت في هذه الأثناء شخصية هامة في عالم الفكر اليهودي، هو سعديا الجاؤون (٨٨٢-٩٤٢ م.) الذي صارع بعناد الفكر القرائي. وتعتبر كتاباته الدينية والفلسفية منعطفًا في الفكر اليهودي، إذ إنه آخر علماء الفترة التلمودية، أي آخر الجاؤون، وأول لاهوتيين القرون الوسطى الذين حاولوا على ضوء الفلسفة اليونانية والعربية، التوفيق بين الإيمان و الفكر الإنساني. وكتابه «سفر إمنوت ودعوت» (كتاب المعتقدات والآراء) هو خير دليل على النقلة الفكرية النوعية التي كانت مقدمة لإنتاج فكري يهودي وصل إلى ذروته مع موسى بن ميمون وآخرين غيره.

بعد وفاة سعديا (٩٤٢ م.)، ضعفت اليهودية البابلية ومعها اليهودية المشرقية، فأغلقت أبواب مدرستي سورا (١٠٣٦ م.) وبومباديتا (١٠٤٠ م.)، وانتقل الثقل الديني والفكري إلى الغرب، وحصرًا إلى إسبانيا حيث كانت الدولة الإسلامية في أوج عصرها الذهبي، فاستفاد اليهود من مناخ الحرية والعلم السائدين في تلك البلاد، لتصبح مدارسهم التلمودية الأشهر، ورأبينيها الأقوى علمًا ومشورة، في عالم الشتات اليهودي آنذاك.

نصوص

هي نصوص مختارة من التلمود البابلي والمدراش ربّا^{٢٨} (أي الكبير)، وقد ترجمناها عن أصلها العبري لتكون شاهداً على الأسلوب الأدبي الذي اعتمده الرأبين في تدوين تاريخهم^{٢٩}.

■ خراب أورشليم والهيكل وبروز شخص رابي يوحنان بن زكاي

١ - " خرج إسفاسيانوس قيصر (ספסיאנוס קיסר) عليهم (اليهود الثوار)، فحلّ ضيق على أورشليم مدّة ثلاث سنوات... (فوقع خلاف بين حكماء الفريسيين والغلاة גללים) فقال لهم الحكماء : لنخرج ولنصنع السلام مع الرومانيين. فلم يقبلوا، بل قالوا لهم : لا بل لنخرج ولنصنع الحرب معهم. فأجابهم الحكماء أن ليس باستطاعتهم فعل أي شيء. فقام الغلاة فأحرقوا المخزون من القمح والشعير، فاستفحل الجوع في المدينة...

خرج رابي يوحنان بن زكاي ليسير في السوق، فرأى رجال أورشليم يسلقون التبن ويشربون مياهه. فقال : بنو آدم الذين يسلقون التبن ويشربون مياهه، هل بمقدورهم أن يجابهوا جيوش أسفاسيانوس؟ ليس هناك حلّ سوى أن أخرج من المدينة.

كان أباً سيقارا بن بطيّح، رئيس الغلاة في أورشليم، ابن أخت رابي يوحنان بن زكاي. طلب منه رابي يوحنان بن زكاي أن يحضر لعنده متخفياً. فحضر. قال له رابي يوحنان : إلى متى تفعلون ذلك وتميتون من الجوع كلّ الناس؟ أجابه :

٢٨ - هي ترجمة عربية للفظّة العبريّة شخيناہ (שחינה) ومعناها الحضور الإلهي بين الشعب، وفي الهيكل.

٢٩ - وضعنا المرجع لكل نصّ في ختام الاستشهاد به، ولقراءته لا بدّ من الرجوع الى المختصرات في بداية هذا الكتاب.

ماذا أفعل؟ فإن قلت لهم شيئاً يقتلونني. قال له رابي يوحنا : إبحث لي عن طريقة أخرج بها من هنا، لعلنا نجد حلاً ولو ضئيلاً. قال له أباً سيقارا : قررنا في ما بيننا أن لا يخرج أحد من هنا إلا إذا كان ميتاً. قال له رابي يوحنا : أخرجوني كميث. قال بن بطيخ : تصرف وكأنت مريض فيأتي الجميع لزيارتك، ثم أحضر شيئاً نتناً وضعه عندك، فيقولون " مات رابي يوحنا! " فيدخل تلاميذك ويحملون نعشك (لوحدهم) دون أناس آخرين، لكي لا يشعروا بأن جثتك خفيفة، لأن الجميع يعرف أن الحيّ أخفّ من الميت.

وهكذا فعل رابي يوحنا. فدعا تلميذين هما رابي يهوشوع، ورابي إليعزر وقال لهما : يا بني! تعاليا وأخرجاني من هنا. إصنعا لي نعشاً فأستلقي في داخله... فسارا به حتى وصلا الى إسفاسيانوس. فتحا النعش فاستقام أمامه. فقال له : السلام عليك أيها الملك! السلام عليك أيها الملك! فقال له إسفاسيانوس : إنك تستأهل ميتتين، الأولى، لأنك دعوتني ملكاً وأنا لست بملك؛ والثانية، إن كنت ملكاً لماذا لم تأت إليّ حتى الآن؟ أجابه رابي يوحنا : لأنك قلت " لست بملك أنا "، حقاً ملك أنت. لأنك لو لم تكن ملكاً لما كانت أورشليم تسلم إليك...

فيما على هذه الحال، وصل رسول من روما ليقول لإسفاسيانوس : بما أن القيصر مات، توافق عظماء روما على اختيارك قيصراً... (تماماً كما تنبأ له رابي يوحنا، لذلك قرّر مكافأته). قال إسفاسيانوس لرابي يوحنا : سأغادر أنا هنا، وسأرسل شخصاً آخر ليكون مكاني، لذا فاطلب مني شيئاً ألبه لك. فقال له رابي يوحنا : أعطني يَبْنَه... (حيث سيعيد رابي يوحنا بن زكاي، مع من نجا في الحرب من الحكماء، تنظيم أمور الشعب حول التوراة).

...ذهب إسفاسيانوس وأرسل طيطس الشرير. وصل طيطس ووقف قائلاً : " أين آلهتهم، الصخرة التي التجأوا إليها؟ " (تث ٣٢: ٣٧). ماذا فعل؟ أمسك زانية بيده ودخل إلى قدس الأقداس، وكشف عن سفر التوراة ودنّسه، واستل سيفه ومزق الستار، ف وقعت معجزة، إذ رشح منه دم ... فبدأ يشتم ويجذّف

قبالة المرتبة قائلاً : الذي يصنع الحرب مع الملك في البرية وينتصر عليه، لا يشبه الذي يصنع الحرب مع الملك في قصره فيغلبه... فتناول طيطس الستار وجعله بشكل جراب، وأتى بجميع الأواني التي في الهيكل وجعلها فيه، ثم وضعها في السفينة ليذهب ويتفاخر بها في مدينته (روما)... " (تل با، غيط ٥٥-٥٧، تك "ربا ١٠، مرا "ربا ١).

■ أسباب خراب الهيكل

٢ - " لماذا دُمّر الهيكل الأول؟ بسبب ثلاثة أمور كانت فيه : عبادة الأصنام، وفساد الأخلاق، وسفك الدماء. ولكن في الهيكل الثاني، كانوا ينشغلون بالتوراة، وبالوصايا، وبأعمال الخير، ولماذا دُمّر؟ لأن كانت فيه البغضاء. وهذا لتعليمك أن البغضاء توازي الانتهاكات الثلاثة : عبادة الأصنام، وفساد الأخلاق، وسفك الدماء (تل با، يوم ٨ ب).

■ سقوط بيتار آخر معاقل ثورة بن كوزيبا^٣ سنة ١٣٥ م.

٣ - " قال رابي يوحنان : كانوا ثمانين ألفاً من نافخي الأبواق يضيّقون على بيتار وقد كان بن كوزيباهناك، ومعه مائتا ألف ممّن قطعوا إبهام يدهم (كعلامة على خوضهم الحرب). أرسل الحكماء يسألونه : الى متى ستظلّ تجعل في إسرائيل ذوي عاهات؟ فأجابهم : كيف يُمتحنون إذن؟ أجابوه : كل من يركب على خيله ولا يقلع أرزة من لبنان لا يُكتب في جيشك. فكان له مائتا ألف من هؤلاء (أي مقطوعي الإبهام)، ومائتا ألف من أولئك (أي ممّن أقتلعوا الأرز). وكان أدريانوس يرسل جيوشاً نحوهم، وهم يخرجون ويقتلون منهم...

وعندما كان رابي عقيبا يراه كان يقول : " برز كوكب من يعقوب " (عد

١٧:٢٤) - برز كوزيبا من يعقوب، هذا هو المسيح الملك. قال له رابي يوحنا بن تورثا : عقيباً! يخرج العشب من بين فكّيك ولا يكون ابن داود قد أتى بعد.

حاصر أدريانوس قيصر بَيْتَار مدّة ثلاث سنين ونصف... (إلى أن) دخل ثمانون ألف جندي إلى ساحة بَيْتَار فقتلوا الرجال، والنساء، والأطفال حتى دفع دمهم من الأبواب والنوافذ والقساطل، وكان الحصان يغرق في الدم حتى أنفه، وكان الدم يدرج حجارة (تزن) أربعين مكيالاً (المكيال ١٣,٥٠ ليتراً)، وجرت في البحر أربعة أميال... " (مرا" ربّا ٢، تل فل، تعن ٤، تل با، غيط ٥٧-٥٨).

■ حُزْنُ "القدّوس-مبارك-هو" على ما حلّ بإسرائيل على يد الرومان

٤ - " قالوا نقلاً عن رابي يهوشوع بن لاوي : دعا القدّوس-مبارك-هو^{٣١} ملائكة الخدمة وقال لهم : ملك من لحم ودم، عندما يموت له ميت يحزن، فكيف يتصرّف؟ أجابه : يعلّق مسحاً أمام بابه. قال لهم : وأنا أيضاً فاعل هكذا، لهذا قيل : "ألّبس السموات ظلاماً وأجعل المسح غطاءها" (أش ٥٠: ٣) .

- ملك من لحم ودم^{٣٢}، وماذا يعمل أيضاً؟ أجابه : يُطفئ الفوانيس. قال لهم هكذا أنا فاعل. لهذا قيل : " الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها" (يوه ١٥: ٣)...

- ملك من لحم ودم، ماذا يعمل أيضاً؟ (أجابه :) يجلس ساكناً. هكذا أنا فاعل، لأنّه قيل : "يجلس وحده ويسكت لأنّه قد وضعه عليه" (مرا ٣: ٢٨) (مرا" ربّا ١).

٣١ - هو أحد أسماء الله بحسب التقليد الرابيني، يقال له بالعبريّة הַקְדוּשׁ - הַבָּרוּךְ - הַזֶּה.

٣٢ - مَلِكٌ بشري.

٥ - "فإن نفسي تبكي في أماكن مستترة من أجل الكبرياء" (إر ١٣: ١٧) -
 ما معنى "أماكن مستترة"؟ قال رابي شموئيل برأونيا نقلاً عن راب: هو موضع
 يبكي فيه القدّوس -مبارك- هو، ويُدعى "أماكن مستترة" (סְתוּמָּוֹת). وما معنى
 "من أجل الكبرياء"؟ قال راب شموئيل بن إسحق: من أجل كبرياء إسرائيل، وقد
 نُزع منهم وأُعطي للأمم. قال رابي شموئيل برنحمانى: من أجل كبرياء ملكوت
 السماوات التي نُزعت.

"ودمعاً تدمع عيناى وتذرف الدموع لأنّه قد سبى قطع الربّ" (إر ١٣: ١٧)
 - قال رابي إلّعزر: لماذا ذُكر الدموع ثلاث مرّات؟ واحدة من أجل الهيكل الأوّل،
 وثانية من أجل الهيكل الثانى، وواحدة من أجل إسرائيل الذين أُجّلوا (בְּגָלוֹ) من
 موضعهم " (تل با، حجي ٥ب).

■ حُزن إسرائيل على أورشليم والهيكل

٦ - "تبكي في الليل بكاءً" (مرا ١: ٢) - لماذا البكاء مرّتين؟ قال ربّاً نقلاً عن
 رابي يوحنان: واحدة من أجل الهيكل الأوّل، وثانية من أجل الهيكل الثانى. "في
 الليل"؟ في ما يخصّ الليل، قد قيل: "فرفعت كلّ الجماعة صوتها وصرخت
 وبكى الشعب تلك الليلة" (عد ١٤: ١). قال القدّوس -مبارك- هو لإسرائيل: أنتم
 بكيتم بكاءً من دون مقابل، وأنا سأحدّد لكم بكاءً لمدى الأجيال (يوم بكاء هو
 التاسع من آب). تفسير آخر: "في الليل"، أي أنّ كلّ من يبكي في الليل يُسمع
 صوته. تفسير آخر: "في الليل"، أي أنّ كلّ باكٍ في الليل تبكي معه الكواكب
 والأبراج. تفسير آخر: "في الليل"، أي أنّ الباكي في الليل، من يسمعه يبكي
 معه.

حدث أنّ توفي ابن امرأة، هي جارة ربّان جَمْلِيْل، فأخذت تبكيه في الليل.
 سمع ربّان جَمْلِيْل صوتها فتذكّر خراب الهيكل، فبكى معها، حتى سقطت

رموش عينية. في الغد عرف به تلاميذه، فقاموا وأخرجوها من جيرته " (تل با، سنه ١٠٤ ب؛ مرا "ربا ١).

٧ - قال رابي عقيبا : كل من يقوم بعمل يوم التاسع من آب (وهو يوم حزن على دمار الهيكل الأول والثاني)، لا يرى أبداً علامة بركة. والحكماء يقولون : كل من يقوم بعمل في التاسع من آب، ولا يحزن على أورشليم لا يراها في فرحتها، لأنه قيل : إفرحوا مع أورشليم... إفرحوا معها فرحاً يا جميع النائحين عليها " (أش ٦٦: ١٠-١١)، من هنا قالوا : كل محزون على أورشليم، ينعم برؤية فرحتها، ومن لا يحزن على أورشليم، لا يراها في فرحتها " (تل با، تعن ٣٠).

■ تعزية ورجاء بعد حزن وخيبة

٨ - "تعويضاً يعوّض الذي أوقد الوقود" (خر ٢٢: ٦) - قال القدّوس- مبارك- هو : واجب عليّ أن أعوّض الوقود الذي أوقدته؛ أنا أشعلت النار في صهيون، لأنه قيل : "وأشعل ناراً في صهيون فأكلت أسسها" (مرا ١١: ٤)، وأنا سوف أبنيتها بالنار، لأنه قيل : "وأنا يقول الربّ أكون لها سور نار من حولها وأكون مجداً في وسطها" (زك ٢: ٥) (تل با، با "قا ٦٠).

٩ - "كانوا، ربّان جمليل، ورابي إلعرز بن عزريا، ورابي يهوشوع، ورابي عقيبا، يسيرون في الطريق فسمعوا صوت ضجيج روما في السوق على بعد مئة وعشرين ميلاً. فأخذوا يبكون إلا رابي عقيبا يضحك. قالوا له : لماذا أنت تضحك؟ فسألهم : وأنتم لماذا تبكون؟ أجابوه : هؤلاء الأمم الذين يسجدون للأصنام ويحرقون البخور للآلهة، يعيشون في أمان وهدوء، ونحن، موطىء قدم إلها محروق بالنار، ولا نبكي؟ أجابهم : لأجل هذا أنا أضحك، فإذا كان (القدّوس - مبارك- هو) هو هكذا مع الذين يميلون عن مشيئته، فكم بالأحرى مع الذين يعملونها!" (تل با، مكو ٢٤).

خاتمة : الحركة الرابينية باب أمل ورجاء للديانة اليهودية

خلفت الحركة الرابينية المجموعة اليهودية المتمثلة بالتيار الفريسي، واعتبرت نفسها مرتبطة بسلسلة الحكماء اليهود، الذين اشتهروا في إسرائيل منذ موسى النبي والمعلم، حتى الشيوخين هيلل وشمائي، مروراً بعزرا الكاتب ومؤسس المجمع الكبير...

يمكننا القول أن الحركة الرابينية هي حركة تجدد فرضها الواقع التاريخي الذي حوّل المجتمع اليهودي من مجتمع تعددي، فيه العديد من التيارات الدينية كالصادوقيين، والفريسيين، والغيارى، والأسينيين، والمعمدانين وأتباع يسوع...، إلى مجتمع أحادي النهج في ما يخص الحياة الدينية والاجتماعية في جماعة إسرائيل. في حركتهم هذه، شقّ الربّانيم - وهم روّاد هذه الحركة - درب التقليد اليهودي نحو مستقبل أكيد، كانوا فيه الرعاة والحكماء والمعلمين والمرجع الصائب لكل الشعب الذي التفّ حول التوراة وحولهم.

الفصل الثاني

أحمد الأب الربّيني

الفصل الثاني

أدب الرابيني

مقدمة

إنَّ الأدب الرابينيَّ هو الأدب اليهودي الديني المدوَّن، على مدى قرون طويلة، في صحف كثيرة، وبأساليب أدبيَّة متنوِّعة. ويُقصد بأعلامه، الرجال الحكماء الذين كتبوا وعلموا وجمعوا ونقلوا لنا محتواه من جيل إلى جيل.

وما يميِّز هذا الأدب الديني عن الأدب العاميَّ هو طابعه التفسيري والاجتهادي لأنَّ كلَّ الأنواع الأدبيَّة التي استعملت في إطاره ما كان هدف استعمالها إلَّا البحث والتفسير والاجتهاد حول الببليا، وبشكل أخصَّ حول أسفار التوراة الخمسة التي، وإن كُتبت " بلغة البشر " يبقى مؤلفها الأوَّل هو الله وقد سلَّمها إلى موسى، على جبل سيناء، تحت شكلين : توراة مكتوبة وأخرى شفهيَّة؛ وما هدف هذا الأدب سوى مساعدة الناس على فهم هذا الكلام الذي مؤلفه ومصدره الله، ليكون لهم فيه هدياً وحياة.

يمكننا القول إذًا إنَّ الأدب الرابينيَّ هو أدب رعائيٍّ، وضع الله أسسه المتينة بلغة يفهمها البشر، وعاونه رعاة حكماء دوَّنوه وفسَّروه، ليحفظ تقليدًا مقدَّسًا، ثمرة تعاون بين الله والإنسان، وعلامة للعهد الذي رسمه مع إسرائيل إلى منتهى الدهور.

سنعرض في هذا الفصل أعلام هذا الأدب الرابينيَّ الدينيَّ بحسب تصنيفهم التاريخي والحقب التي مرَّوا بها منذ القرن الأوَّل حتى القرن الحادي عشر

للميلاد، في كلّ من فلسطين وبابل. سنتوقّف عند حقباتهم ومن ثم عند بعض أشهر الأعلام، ومن بينهم من حفظ لنا التاريخ والتقليد الرابيني أسماءهم التي ما زالت حتى أيامنا هذه تتردّد على ألسن المعلّمين والتلاميذ، في المدارس الدينيّة في إسرائيل وفي الشتات.

١ - ألقاب العلماء والمعلّمين

١- رابي (רבّي) لفظة عبريّة تعني "معلّمي"، وهي في الأصل لقب احترام كان متداولاً بين الفريسيين، إلّا أنّه في الحقبة الرابينيّة أصبح لقباً رسمياً يُعطى فقط لمن هم أعضاء في المجمع اليهودي، كونه معلّماً ومرجعيّة في التوراة والهكّاه. يُختار الرابي ويصبح عضواً في المجمع بعد أن يُحتفل بسيامته (סמיכה). لا تقوم هذه السيامة، بحسب التقليد، إلّا في فلسطين؛ وقد استمرّ القيام بها حتى سنة ٤٢٩ ب.م.، السنة التي فيها أبطل الامبراطور البيزنطي تيودوسيوس الثاني، عمل المجمع الرابيني. أمّا اللقب فقد استمرّ بالحصول عليه كلّ كفوء في المادة الدينيّة والتشريعيّة وقد حاز على "تصريح في التعليم" (התרה להקאה)، وهو بمثابة شهادة وافق عليها بعض الحكماء وتخوّل التعليم والإفتاء بالدين.

ب - أمّا لقب راب (רב) فكان يُعطى لمعلّمي الشريعة في بابل، وذلك لأنّ السيامة كانت محصورة بفلسطين، فما كان حكماء بابل يحظون بلقب رابي بل بلقب راب. ينظر البعض إلى هذا اللقب نظرة تقلّ شأنًا عن لقب رابي، المحفوظ لمن درس وسيم فقط، في فلسطين، حيث المنبع الرئيسي والمرجعيّة الأولى في التشريع والتفسير والتعليم.

ج - ربّان (רבّנן) لفظة آراميّة تعني "معلّمان" أي معلّم جميع إسرائيل، وهو لقب يُعطى، في فلسطين، لرئيس المجمع أو السّنّهדרين.

د - الشيخ (הרשב"ה) لقب يوازي لقب رابي يُعطى لصاحب منصب رفيع في المجمع الكبير أمثال هيلل وشمאי...

٢ - حقبات أعلام الأدب الرابيني

إذا كانت الحقبة الرابينية تبدأ تاريخياً بعد سنة ٧٠ م. هذا لا يعني أن الفترة التي سبقت هذا التاريخ لا علاقة لها في ما لحقها، إذ أن الهيكلية الرابينية ليست سوى الهيكلية الفريسية التي تمتد جذورها إلى السبي في بابل (٥٨٦-٥٣٨ ق.م.) والتي تتجدد دوماً لتتلاءم وظروف مستجدة. والحركة الرابينية وُجدت لتتلاءم مع مستجد طراً بقوة على المجتمع اليهودي، وعيناً به الحرب الضروس بين اليهود والرومان، والتي غيرت في المعادلات الأساسية لهذا المجتمع. يتوزع أعلام الأدب الرابيني على أربعة أحقاب تسمى كل منها باسم العلماء الذين ساهموا في تكوين هذا الأدب ونموه. تتوزع هذه الأحقاب كالتالي :

١ - حقبة التناثيم (תנאים) أو المرددين، وهم معلّمو الحقبة التي تمّ فيها تدوين المشناه في فلسطين، وهي تمتدّ من سنة ٢٠ ق.م. إلى سنة ٢٠٠ م. وآخر معلّمي هذه الحقبة هو يهودا هالنّاسي (יהודה הנסי) الذي جمع، من مختلف المدارس الرابينية، المواد الأساسية، لترتيب التعليم الشفهي وتنظيمه تحت إسم المشناه.

يُعتبر التناثيم خلفاء الكتبة والمجمع الكبير الذي أسّسه عزرا الكاتب (نحو سنة ٤٢٠ ق.م.) والذي استمرّ طوال الحقبة الفارسية والهلينية والمكابية، وقد أخذ يتألف منذ منتصف القرن الأوّل ق.م. من الكتبة الفريسيين ويترأسه إثنان منهم يُدعون "الزوج" (גור) : حكيم واحد يرأس المجمع ويُدعى "ناسي" (נשיא) أي الرئيس أو الأمير، وحكيم آخر يرأس المحكمة والقضاء ويُدعى "أب بيت دين" (אב בית דין) أي رئيس المحكمة. أشهر هؤلاء التناثيم : الشيخان هيلل وشمאי، ربّان يوحنان بن زكاي، رابي يهوشوع بن حنّنيا، رابي إليعزر بن هورقانوس ،

رابي عقيبا بن يوسف، رابي مئير، رابي يهودا هالنّاسي... (سنفصل لاحقاً ذكرًا لكلّ منهم مع نصوص من التقليد الرابيني تتحدّث عنهم أو تنقل أقوالهم).

طُبعت هذه الحقبة بحدّثين هامّين أثرا في مجرى الأمور تأثيراً مباشراً. الحدث الأوّل، هو الحرب اليهوديّة - الرومانيّة (٦٦-٧٣ م.)، والتي نجم عنها دمار أورشليم والهيكل، وموت الكثير من علماء الشريعة الفريسيين على أيدي الغياري والرومان، إلّا أنّ ربّان يوحنا بن زكّاي استطاع أن يُقنّع الرومان بالسماح له، مع حكماء آخرين، بالخروج إلى يَبْنَه (محلّة على الشاطئ الجنوبي لفلسطين ٦٦٧) ليعيدوا إلى ديانتهم وهجها الذي أخفته الحرب. بقي التّنائيم في يَبْنَه حتى سنة ١٣٠ م. حيث انتقل نشاطهم إلى الجليل، خاصة في طبريّة. والحدث الثاني، هو ثورة بن كوزيبا المسيحانيّة (١٣٢-١٣٥ م.) وقد انتهت بهزيمة كبرى وبإجراءات تعسّفيّة من قِبَل الرومان، راح ضحيّتها الكثير من الشهداء في صفوف التّنائيم، وأبرزهم رابي عقيبا بن يوسف.

في هذا المناخ من الحروب والثورات والاضطهادات سارع التّنائيم، في بادئ الأمر، وكلّ في مدرسته، إلى تدوين وحفظ التعاليم من الاندثار والنسيان، إلى أن جُمعت كلّها، في مرحلة ثانية، على يد رابي يهودا هالنّاسي، في بداية القرن الثالث للميلاد، في مجموعة واحدة رسميّة دُعيت بـ "المشناه" (משנה)، كما جُمعت تفاسير الببيليا عامة والتوراة خاصة، في ديوان آخر يُدعى "مدراش هكّاه" (מדרש הקהה)، ويُعنى بقواعد السلوك العامة، وبتفسير الوصايا التي على كل يهودي متديّن أن يسير بموجبها، في سبيل تكريم الله، وإعلاء شأن اسمه بين الأمم، ومن أجل إظهار علامات الاختيار التي منّ بها الله على شعبه إسرائيل.

خلاصة القول، إنّ حقبة التّنائيم هي بمثابة حقبة تأسيسيّة لسائر الحقبات التي تلتها، وهي تستمرّ بشكل واضح حتى أيّامنا هذه، حيث ما زالت، في أوساط

المتدينين اليهود، موضوع درس وبحث في مدارسهم المتخصصة، في دولة إسرائيل او خارجها، في الشتات،

ب - حقبة الأمورائيم (אמוראים) أو القوالين والمفسرين، وهم معلّمو الحقبة التي تمّ فيها شرح المشناه في الجَمْرَا (גמרא) لتكوين التلمود في كلّ من فلسطين وبابل. تمتدّ هذه الحقبة بين سنتي ٢٠٠ و ٥٠٠ م. لقد طغى على محادثاتهم في شرح المشناه أدب الأجداه القصصيّ (אגדה) على أدب الهلّكاه السلوكيّ (הלכה)، إذ أنّ الهلّكاه بمجملها قد ضُبُطت أيام التناثيم وجمعت في المشناه. والأمورائيم تميّزوا في ما بينهم على خلفيّة الهلّكاه والأجداه، أي نجد من بينهم من تخصص بالهلّكاه لوحدها ويُدعى "صاحب الهلّكاه" (בעל הלכה)، أو بالأجداه لوحدها ويُدعى "صاحب الأجداه" (בעל אגדה).

إلى جانب تعليم المشناه كان للأمورائيم دور في تفسير الهلّكاه، التي في المشناه، والبحث عن أساس يبلي لها يعطيها مصداقيّة أقوى، خاصّة، وأنّ التناثيم ما كانوا ليهتمّوا بذكر الآيات والنصوص التوراتيّة التي منها استقوا قاعدتهم السلوكيّة، بل اكتفوا بذكر خلاصة أبحاثهم وتحاليلهم، أمام مجلس الحكماء، للموافقة عليها، لتصبح هي بدورها توراة شفهيّة، تُدرس وتُدرّس. يسعى الأمورائيم، في كثير من الأحيان، إلى الفصل بين رأيين مختلفين لإثنين من التناثيم، وتحديد مواقع الخلاف بينهما وتوضيحها، لمنع أي لبس في التفسير وفي الممارسة.

أشهر هؤلاء الأمورائيم في فلسطين كما في بابل : رابي أبّا برأييو، رابي يوحنان بن هَنَفّاح، رابي رِش لقيش، رابي أبيي، رابي آشي، رابي رابيننا الثاني... وغيرهم عديدين، ولكن اكتفينا بذكر بعض منهم وأشهرهم (سنفصل لاحقاً ذكراً لكلّ منهم، مع نصوص من التقليد الرابينيّ تتحدّث عنهم أو تنقل أقوالهم).

ج - حقبة السبّورائيم (סבוראים) أو المفكرين والمدقّقين، وهم العلماء

البابليّون خلفاء الأمورائيم الذين وضعوا اللمسات الأخيرة على التلمود البابلي، بين سنتي ٥٠٠ و ٦٩٠ م.

انتهت مرحلة ضبط محادثات التلمود البابلي مع آخر الأمورائيم، رابي آشي (٣٥٢-٤٢٧ م.)، ورابيننا الثاني (توفي سنة ٤٩٩ م.). كان قد قام اضطهاد على اليهود من قبل أتباع ديانة زردشت، فأغلقت المدارس التلمودية في سورا وبومبديتا وغيرها، وقُتل إثنان من رؤساء الطائفة التي فقدت الكثير من استقلالها الذاتي، ممّا أضعف فيها العملية التشريعية. على أثر هذا الوضع، تحوّل الحكماء من مشرّعين إلى مدقّقين في التشريعات التي جمعها ورتّبها أسلافهم، فوضّحوا بعضها، وأكملوا بعضها الآخر. لم يشتهر أحد من علماء هذه الحقبة، لأنّها كانت انتقالية، وكثرت فيها الصراعات والاضطهادات.

د - حقبة الجُونيم (ג'וןימ) أو العلماء والفقهاء، وهي صفة تُعطى لرؤساء مدارس بابل، وأهمّها في سورا وبومباديتا. استمرّت حقبتهم من القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر للميلاد. ظهر الجُونيم في مرحلة أصبحت فيها بابل المرجع الأساسي لجميع يهود الشتات، وبالتالي أصبحوا هم هذه المرجعية العلمية التي تفتي في مسائل كثيرة تصلها تحت شكل أجوبة على أسئلة responsa، من شتى الجاليات اليهودية. داخلياً عظم شأنهم على شأن رؤساء الجالية (גאון גלילי)، ممّا فتح المجال أمام صراعات أضعفت الجميع.

أشهر الجُونيم هو رابي سعديا بن يوسف الفيومي (٨٨٢-٩٤٢ م.) الذي ترأّس مدرسة سورا سنة ٩٢٨ م. واشتهر باجتهاداته التشريعية السلوكية، وبتفسيره للبيبليا، وبامتلاكه الفلسفة العربية واليونانية وبمحاولته التوفيق بينها وبين التقليد الرابيني. ويمكننا أن نذكر شهيراً آخر هو رابي شيريرا (٩٦٨-٩٩٨ م.) رئيس مدرسة بومباديتا، وقد ترك لنا رسالة فريدة يؤرّخ فيها لحقبة الجُونيم وما قبلها.

٣ - بعض أعلام الأدب الرابيني من التنايم والأمورائيم

١ - الشيخ هيلل (הלל הזקן) والشيخ شمائي (שמאי הזקן)

إنَّ الشيخين، رابي هيلل ورابي شمائي، هما آخر الأزواج الذين ترأسوا المجمع الكبير وأشهرهم. يُذكران سوياً باسميهما بسبب المفارقات في شخصيتهما، وفي ردات فعلهما أمام ما يعترضهما في إدارة الشعب وتوجيهه بحسب ال هلكاه أو السلوك المتطابق وأقوال التوراة، ويعرفان أيضاً من خلال مدرستيهما وتلاميذهما بحيث أنَّ التعاليم المختلفة بينهما تسعى الى استقطاب العدد الأكبر من الأنصار والتلاميذ الذين يؤمنون استمرارية التعليم والمدرسة في آن معاً.

رابي هيلل (٧٠ ق.م. - ١٠ ب.م.) هو من أصل بابلي، وفد إلى فلسطين لدراسة التوراة، وفيها مكث طوال حياته. درس على يدي أشهر علماء ذاك الزمان، أي فترة القرن الأول ق.م. وهما شمعي وأبطيون. أظهر نبوغاً مبكراً في المسائل السلوكية، أي في شرحها وفي الاجتهاد فيها. نبوغه هذا، جعل معاصريه ينتخبونه رئيساً للمجمع الكبير (גמרא) حيث أبلى البلاء الحسن في حفظ التعاليم والتقاليد وتعليمها في مدرسة أسسها، في اورشليم، وأرادها معتدلة التفسير والاجتهاد، واستنبت أساليب تفسيرية جديدة للكشف عن المعاني السلوكية الكامنة في آيات التوراة ونصوصها، وتُدعى "مدراش هلكاه" (מדרש הלכה) أو المدراش السلوكي.

عاش هيلل قسماً وافراً من حياته في فلسطين تحت حكم هيرودوس الطاغية (٦ ق.م. - ٣٤ ب.م.)، وعلى الرغم من صعوبة العمل في ظل حكمه، استطاع أن يطبع مركز رئاسة المجمع بطابع شخصيته الفذة، ممّا أعطى هذا المركز أهمية كبرى في حياة الجماعة اليهودية، في أيامه، وفي أيام خلفائه، وهم من ذريته وقد استمرّوا زهاء أربعمئة سنة.

أمّا رابي شمائي (٥٠ ق.م. - ٣٠ ب.م.) فهو معاصر لرابي هيلل وزميله في

إدارة المجمع الكبير، إذ كان يشغل منصب القاضي الأعلى (אב בית דין) وهو المنصب الثاني بعد منصب الرئيس (נשיא).

أسس كل من رابي هيلل ورابي شمائي مدرسة، عُرفت بإسمه، يتردد إليها تلامذة في سبيل استقاء علم الشريعة وسائر أقوال الآباء الأقدمين، ركيزة التقليد اليهودي. تظهر شخصية كل منهما من خلال ما يعلم، والنهج الذي به يعلم. تمتاز مدرسة رابي هيلل بسلاسة الأحكام التي يجتهداها من التوراة، بينما رابي شمائي فقد أعطى مدرسته طابع الشدة في تطبيق أحكام الشريعة. لقد اعتمد الإصلاح الرابيني في يبنه، بعد سنة ٧٠ م، المدرسة الفكرية والسلوكية التي لهيلل دون شمائي.

ولإبراز شخصية كل منهما وأسلوب مدرسة كل منهما، سنورد بعضاً من النصوص التي نقلها إلينا التقليد اليهودي الرابيني حولهما، وبشكل خاص، حول المنافسة والمجادلة بينهما، وقد كانت بعيدة عن العبيثية، لأن هدفها الوحيد كان الوصول إلى فهم أفضل لكلمة الله المدونة في الببيليا، وهذا ما يسميه التقليد "جدال لاسم السموات" (מחלוקת לשם שמים).

■ الشيخ هيلل والشيخ شمائي بحسب التقليد الرابيني

١ - "هيلل وشمائي تقبلا منهما (شمعيا وأبطينون). يقول هيلل: كونوا في عداد تلاميذ هارون، المحب للسلام والساعي إليه، والمحب للبرايا فيقربها من التوراة" (مشن، أبوت ١: ١٢).

٢ - "يقول شمائي: واظب على دراسة التوراة. تكلم قليلاً واعمل كثيراً. واستقبل كل إنسان ببشاشة وجه" (مشن، أبوت ١: ١٥).

٣ - "قال (هيلل): أكثر اللحم أكثر الدود. أكثر الثروات أكثر الهموم. أكثر النساء أكثر الشعوذة. أكثر الإماء أكثر الفجور. أكثر العبيد أكثر النهب. أكثر التعلم يزداد حياة. أكثر الدراسة يزداد حكمة. أكثر (طلب) المشورة يزداد فهماً.

٦ - " كلّ جدل من أجل السماوات يدوم. وإن لم يكن كذلك فلا يدوم. أي جدل هو من أجل السماوات؟ جدل هيلل وشمّاي. أيّ جدل ليس هو من أجل السماوات؟ جدل قورح وكلّ جماعته (عد ١٦: ٣١-٣٢) " (مشن، أبوت ٥: ١٧).

هو تَنَا (Xṭṭā) مخضرم عاش في القرن الأوّل للميلاد، هو أحد تلامذة الشيخ هيلّل، وقد شهد مرحلة ما قبل الحرب اليهوديّة -الرومانيّة سنة ٧٠ م.، وبقي في أورشليم في خضمّ الحرب على الرغم من رفضه إيّاها. نجا بأعجوبة من حدّ السيف إذ خرج بحيلة من المدينة والتجأ إلى الرومان المحاصرين، وطلب من

قائدهم فسباسيانوس أن يمنحه فرصة إعادة بناء ما تهدم من الهيكلية اليهودية، فسمح له بالسكن في منطقة يبّنه على الساحل الجنوبي لفلسطين. أسّس هناك مع حكماء آخرين - نجوا هم أيضاً من الحرب - مجمعاً أعاد معه جمع ودراسة كلّ المصادر والتقاليد المتوارثة لئلاً تندثر، ولكي تكون انطلاقة متجددة لليهودية، التي كادت أن يقضى عليها، أقلّه في فلسطين، بعد القضاء على الهيكل، ولكنها، بفضل جهود يوحنا بن زكّاي وأترابه من الحكماء، عادت وانطلقت من جديد تحت اسم "اليهودية الرابينية" لأنها قامت وستستمرّ على يد من يدعون "ربّانيم" وهي جمع "ربّان" أو "راب" أو "رابي" وتعني معلّم الشريعة وأصحاب المدارس التوراتية في كلّ من فلسطين وبابل.

■ رابّان يوحنا بن زكّاي بحسب التقليد الرابيني

١ - "مجموع سني ربّان يوحنا بن زكّاي مئة وعشرون سنة. أربعون منها قضاها بأعمال التجارة، وأربعون أخرى في الدراسة، وأربعون في التدريس" (تل با، روش ٣١).

٢ - "قالوا عن ربّان يوحنا بن زكّاي، إنّه ما كان أحد أبداً يسبقه الى السلام، وحتى الغريب في السوق" (تل با، برخ ١٧أ).

٣ - "تقبّل ربّان يوحنا بن زكّاي من هيلل وشمّاي، قال: لا تفتخر بنفسك إن أنت أكثر من دراسة التوراة، لأنك لهذا خلقت. كان لربّان يوحنا بن زكّاي خمسة تلاميذ، وهم: رابي إلّيزر بن هورقأنوس، ورابي يهوُشوع بن حنّيا، ورابي يوسّي الكاهن، ورابي شمّعون بن نِتْنَل، ورابي إلّازار بن عَراخ. هكذا كان يمدحهم: رابي إلّيزر بن هورقأنوس: حوض مياه مُحكم لا تنضح منه قطرة واحدة. رابي يهوُشوع: طوبى للتي أنجبته. رابي يوسّي الكاهن: تقي. رابي شمّعون بن نِتْنَل: يخشى الخطيئة. رابي إلّازار بن عَراخ: ينبوع متدفّق. كان يقول: إذا وُضع كل حكماء إسرائيل في كفة ميزان وإلّيزر بن هورقأنوس في

الكفة الثانية، فهو يفوقهم جميعاً. قال أبا شاول، نقلاً عنه (عن ربان يوحنا بن زكاي): إذا وُضع كل حكماء إسرائيل ورابي العزير بن هورقانوس معهم في كفة ميزان واحدة ورابي إلغازار (بن عراخ) بكفة ثانية، فهو يفوقهم جميعاً" (مشن، أبوت ٨:٢).

٤ - "قال لهم (ربان يوحنا بن زكاي): اخرجوا وانظروا ما السبيل المستقيم الذي يجب أن يلتزمه الإنسان؟! قال رابي العزير: عين صالحة. قال رابي يهوئشوع: صديق صدوق. قال رابي يوسي: جار صالح. قال رابي شمعون: العارف بالمستقبل. قال رابي إلغازار: قلب طيب. قال لهم: إنني أفضل كلمات إلغازار بن عراخ لأنها تتضمن كلماتكم. قال لهم: اخرجوا وانظروا أي سبيل ملتبس على الإنسان تجنبه؟! قال رابي العزير: عين شريرة. قال رابي يهوئشوع: صديق شرير. قال رابي يوسي: جار شرير. قال رابي شمعون: المديون الذي لا يفي دينه، لأن الذي يستدين من إنسان يكون وكأنه استدان من المقام^{٣٣} - مبارك - هو، كما هو مكتوب: «يستقرض الشرير ولا يفي أمّا البار فيرفأ ويعطي» (مز ٣٧: ٢١). قال رابي إلغازار: قلب شرير. قال لهم: إنني أفضل كلمات إلغازار على كلماتكم، لأنها تتضمنها كلها" (مشن، أبوت ٩:٢).

٥ - "منذ أن مات ربان يوحنا بن زكاي خفت نور الحكمة" (تل با، سوط ٤٩).

ج - رابي يهوئشوع بن حننيا (القرنان الأول والثاني للميلاد)

عاش هذا الرابي بين منتصف القرن الأول ومنتصف القرن الثاني للميلاد

٣٣ - المقام هي ترجمة للفظة العبرية (סִמְקָה) وهي تعني حرفياً المكان أو الموضوع أو المقام، وقد فضلنا العبارة الأخيرة لسبب: الأول، المعنى الديني لهذه العبارة في اللغة العربية وهي تعني المكان المقدس، والثاني، لقربها اللغوي من اللفظة العبرية. تدلّ هذه العبارة على أحد الألقاب التي كان يلقب الله في التقليد الرابيني.

وشهد الحرب اليهودية - الرومانية سنة ٦٦-٧٣ م. كما كان من أبرز تلامذة ربان يوحنا بن زكاي الذي قال فيه : طوبى للتي أنجبته.

كان في زمن الهيكل الثاني. لاوي مغني، إلا أنه لفقره، اضطر أن يعمل كحطّاب وفحّام. ولكن بالرغم من حالته هذه برع في علوم الشريعة وفرض احترامه في صفوف الرّبانيم حتى إنّه بعد وفاة يوحنا بن زكاي معلّمه، انتخبه المجمع الكبير مع اثنين آخرين، هما رابي جمليل ورابي إلّيزر بن هيركانوس، لإدارة المجمع كرئيس للقضاة (אב בית דין).

كان رابي يهوشوع محترماً من السلطة الرومانية، وقد ترأس عدّة وفود إلى روما، للمثول أمام القيصر فكان غالباً ما يحصل على مرامه، من خلال بلاغته ودماثة أخلاقه وفكاهته، فترك لنا التقليد الرابيني بعض النصوص التي تظهر صداقته للقيصر ولبلاطه.

■ رابي يهوشوع بن حننيا بحسب التقليد الرابيني

١ - " (قيل في) رابي يهوشوع : طوبى للتي أنجبته. رأى رابي دوسا بن هركيناس رابي يهوشوع فدعا له : " لمن يعلم معرفة ولم يفهم تعليماً ألفطومين عن اللين... " (أش ٢٨ : ٩) - أذكر أنا أنّ أمّه كانت تجيء به وهو بعد في السرير إلى بيت الدراسة لكي تتعلّق أذناه بكلمات التوراة " (تل فل، ييم ٥ : ٦).

٢ - " قالت ابنة القيصر لرابي يهوشوع بن حننيا : كيف توجد حكمة باهرة كهذه في إناء دميم؟ أجابها : يا ابنتي، بماذا يضع أبوك الملك الخمر؟ أجابته : في إناء من خزف. جميع الناس (يقدمونه) في إناء من خزف، وأنتم أيضاً! قالت له : وبماذا تقدّمه إذا؟ أجابها : بما أنكم ربيعو الشأن (يجب أن) تقدّمونه بآنية من فضة وذهب. فراحت وقالت لأبيها أن يقدموا الخمر في آنية من فضة وذهب، فاحمض. فقال القيصر لابنته : من قال لك هذا؟ أجابته : رابي يهوشوع بن

حننيا. فدعاه إليه قائلاً له : لماذا قلت لها هذا؟ أجابه : هي سألتني، وأنا هكذا أجبتها.

– إذًا، والحال هذه، لا يوجد حكماء جميلي المظهر؟!

– إنهم لو كانوا دميمين لكانوا أكثر حكمة " (تل با، تعن ٧).

٣ – " يقول رابي يهوشوع: العين الشريرة، والميل الشرير، وبغض المخلوقات تودي بالإنسان إلى الهلاك " (مشن، أبوت ١١:٢).

ج – رابي إليعزر بن هورقانوس (٤٠ – ١٢٠ م.)

هو من عائلة لاويّة ثريّة، لم يكن مهتمًا بدراسة التوراة لانشغاله في أعمال عائلية. إلّا أنّه في عمر النضوج دخل في مدرسة ربّان يوحنان بن زكّاي ليتلمذ على يده فأظهر براعة كبيرة في دروسه، ممّا حدا بمعلّمه على أن يقول فيه : إلعزر بن هورقانوس هو حوض مياه مُحكم لا تنضح منه قطرة واحدة، أي هو كثير الاستيعاب والحفظ فلا يضيع شيئًا ممّا تعلّمه ويسعى إلى المحافظة الدقيقة عليه، وهو في هذا يقارب مدرسة شّماي أكثر من مدرسة هيلّل في تفسير الهلّخاه أو قواعد السلوك اليهودي. وقال فيه أيضًا : إذا وُضع كل حكماء إسرائيل في كفّة ميزان وإلعزر بن هورقانوس في الكفّة الثانية، فهو يفوقهم جميعاً (راجع مشن، أبوت ٨:٢).

■ رابي إلعزر بن هورقانوس بحسب التقليد الرأبينيّ

١ – " قال رابي آحا باسم رابي حنينا : الساعة التي ارتفع فيها موسى إلى العلى سمع صوت القدّوس –مبارك– هو إذ كان جالساً منشغلاً بالتوراة ويذكر هلّخاه باسم قائّلها : " يقول رابي إلعزر... " – قال في حضرته : يا ربّ العالمين، ليتك تجعله من صلبى. قال له : أقسم لك أنّه من صلبك، لهذا قيل : " واسم الآخر إلي-عزر... " (خر ١٨:٤)، هو الله معينه " (عد " ربّا ١٩).

٢ - "كان بيت دراسة رابي إلعيزر مبنياً وكأنه ساحة مستديرة وفي وسطها صخرة مخصّصة لجلوسه. دخل مرّة رابي يهوشوع وبدأ يقبل الصخرة قائلاً: تشبه هذه الصخرة جبل سيناء وهذا الذي يجلس عليها يشبه تابوت العهد" (نش "ربّا ١).

٣ - "سألت سيّدة رابي إلعيزر: لماذا خطيئة واحدة كحدث العجل (الذهبي) تسببت بميتات ثلاث؟ أجابها: لا حكمة للمرأة إلا بالمغزل، لذلك قيل: "وكل النساء الحكيمات القلب غزلن بأيديهنّ..." (خر ٣٥: ٢٥) (تل فل، سوط ٣).

٤ - "عندما مَرَضَ رابي إلعيزر جاءه أربعة شيوخ لزيارته: رابي طرّفون، ورابي يهوشوع، ورابي إلعزر بن عزريا، ورابي عقيبا. تأوّه رابي طرّفون قائلاً: أنت أفضل لإسرائيل من نقطة المطر، لأنّ نقطة المطر هي لهذا العالم، أمّا رابي فلهذا العالم، وللعالم الآتي. تأوّه رابي يهوشوع قائلاً: أنت أفضل لإسرائيل من قرص الشمس، لأنّ قرص الشمس هو لهذا العالم، أمّا رابي فلهذا العالم، وللعالم الآتي. تأوّه رابي إلعزر بن عزريا قائلاً: أنت أفضل لإسرائيل من أب وأمّ، لأنّ الأب والأمّ هما لهذا العالم، أمّا رابي فلهذا العالم، وللعالم الآتي... (تل با، سنه ١١٠١).

٥ - "إثر موت إلعيزر أُهمل كتاب التوراة؛ أُهمل كتاب الحكمة" (تل با، سوط ٤٩).

د - رابي عقيبا بن يوسف (٤٥ - ١٣٥ م.)

هو تلميذ رابي إلعزر بن هورقانوس ورابي يهوشوع بن حنّنيا. هو من التّنائيم الذين ساهموا في إعداد المشناه في مراحلها الأولى. اشتهر في تفسير الببيليا (المدراش)، وقد استحدث عدّة قواعد في هذا المضمار. كان يعتبر أن كلّ ما في النصّ الببيلي له معنى، ويساعد على فهم أوضح لهذا النصّ.

عاش رابي عقيبا أربعين سنة كراعٍ للغنم، لا فهم له ولا إدراك في عالم

الشرعية وتفسيرها، إلا أنه بتشجيع من زوجته انصرف للدراسة ليصبح من أبرز العلماء التنايم في فلسطين حيث أسس في بني بَرَق (محلّة قريبة من مدينة تل أبيب) مدرسة تتلمذ فيها، على يده، أعداد كبيرة من التلاميذ.

استشهد سنة ١٣٥ م. على يد الرومان بعد أن ساند بن كوزيبا في ثورته (١٣٢-١٣٥ م.)، وأعلنه مسيحاً رغم رأي التنايم أترابه المعاكس، فكانت النتيجة كارثة حقيقية على الشعب اليهودي الذي خسر زهاء ثمانماية ألف ضحية بالإضافة إلى التشتت النهائي خارج فلسطين.

■ رابي عقيبا بن يوسف بحسب التقليد الرابيني

١ - "كان رابي عقيبا راعياً لأربعين سنة، وتلميذاً لأربعين سنة، ومدبراً لإسرائيل لأربعين سنة" (سفري" تث ٣١).

٢ - "يقول رابي عقيبا: الضحك وخفة الرأس يؤديان إلى التقلت. التقليد سياج للتوراة؛ والعشور سياج للغنى؛ والنذور سياج للتقشف؛ والصمت سياج للحكمة" (مشن، أبوت ١٣:٣).

٣ - "قال (رابي عقيبا): محبوب الإنسان لأنه خُلق على صورة (الله)، ومحبة أكبر كُشِفَتْ له أنه مخلوق على صورة (الله)، كما هو مكتوب: «لأنه على صورة الله صنع الإنسان» (تك ١:٦). محبوب إسرائيل لأنه دُعِيَ ابناً للمقام (الله)، محبة أكبر كُشِفَتْ له أنه دُعِيَ ابناً للمقام، كما هو مكتوب: «أنتم أبناء للرب إلهكم» (تث ١٤:١). محبوب إسرائيل لأنه وَهَبَ آنية نفيسة، محبة أكبر كُشِفَتْ له أنه وَهَبَ آنية نفيسة بها خُلق العالم، كما هو مكتوب: «فإني منحتكم علماً صالحاً: فلا تهملوا تعليمي» (أم ٢:٤) " (مشن، أبوت ١٤:٣).

٤ - "كان رابي عقيبا يقول: "ما أعظم أعمالك يا رب" (مز ١٠٤: ٢٤) - إن لك برايا عظيمة في اليم، وبرايا عظيمة على اليابسة؛ فالتى في اليم، إذا ما صعدت إلى اليابسة تموت للحال؛ والتي على اليابسة، إذا ما نزلت إلى اليم للحال

تموت. وإن لك برايا عظيمة في النار، وبرايا عظيمة في الهواء؛ فالتى في النار، إذا ما ارتفعت إلى الهواء تموت للحال. مكان حياة هذه هو موت لتلك، ومكان موت هذه هو حياة لتلك - " ما أعظم أعمالك يا رب " (تل با، حول ١٢٧).

٥ - " حدث أن صنع رابي عقيبا حلياً من ذهب لزوجته، رأتها زوجة ربان جمليل فحسدتها. جاءت إلى زوجها وأخبرته، فقال لها: هذا إن أنتِ عملتِ لي كما عملتُ هي له؛ أما كانت تبيع صفائر رأسها وتعطيه، وهو يهتّم بالتوراة؟ " (تل فل، شبت ١:٦).

٥ - رابي مئير (١١٠-١٧٥ م.)

هو حكيم من كبار التنايم، تتلمذ على يد رابي عقيبا بن يوسف وغيره من التنايم. كان كاتباً يخط أسفار التوراة مضيئاً حواشي تفسيرية على مخطوطاته. عُرف بوفرة علمه وصائب حكمه في مسألة ال هلكاه أو الوصايا السلوكية دون أن يهمل الأغداه القصصية التي طالما استعان بها في مواعظه في الجامع، أو في تعليمه في المدارس التوراتية. وهو من أبرز من ساهموا في تكوين المشناه التي رتبها في ما بعد رابي يهودا هالناسي. بعد نكسة ثورة بن كوزيبا (١٣٢-١٣٥ م.) أخذ موقفاً منفتحاً على الرومان وثقافتهم. تذر نصوص الأدب الرابيني، بذكر رابي مئير مشددة على قداسة سيرته وعمق فضائله واحترامه لآراء الآخرين من الحكماء، حتى الذين يخالفونه الرأي في المسائل الدينية والسلوكية. سعى مع الرابي ناتان إلى إبعاد رابي شمعون بن جمليل عن رئاسة المجمع اليهودي، ولكنه فشل في تحقيق ذلك فأنهى حياته في المنفى.

■ رابي مئير بحسب التقليد الرابيني

١ - " يقول رابي مئير: خفف من الاهتمامات وانشغل بالتوراة. كن شديد

التواضع أمام كل إنسان. إذا أهملت التوراة تعترضك أمور باطلة عديدة، أما إذا اجتهدت فيها فإن عنده أجرًا كبيرًا يهبه لك" (مشن، أبوت ٤: ١٠).

٢ - "قال رابي مئير: عندما أتيت لدراسة التوراة عند رابي يشمعل، قال لي: يا بني ما مهنتك؟ قلت له: كاتب أنا. قال لي: يا بني كن حريصاً في مهنتك، لأن مهنتك مهنة سماوية هي: فإنك إن أنقصت حرفاً واحداً أو أضفت حرفاً واحداً، تجد نفسك هادماً العالم بأسره" (تل با، عرو ١٣، سوط ٢٠).

٣ - "قال رابي آحاً برحنينا: إنّه واضح ومعلوم لدى من قال فكان العالم، أن ليس في جيل رابي مئير مثيل له. ولماذا لم يتمكّنوا من تحديد هلكاه مثله؟ لأن أصحابه ما استطاعوا أن يقفوا على مدى علمه، إذ كان يقول عن النجس طاهراً ويبرهنه، وعلى الطاهر نجساً ويبرهنه. تردّد أن ليس رابي مئير (منير) اسمه، بل رابي نهوراي (منير في صيغة آرامية) اسمه. ولماذا دُعي رابي مئير؟ لأنّه منير لعيون الحكماء في ال هلكاه" (تل با، عرو ١٣).

٤ - "يقول رابي مئير: كل من ينشغل بالتوراة لأجل التوراة يحظى بأمور كثيرة. ليس هذا فحسب، بل العالم كله يصبح لائقاً به، يدعى صديقاً ومحبباً، يحبّ المقام (الله) والبرايا ويفرحهم. تلبسه الوداعة والخافة. تؤهله ليصبح صديقاً وتقياً ومستقيماً وأميناً، تبعده عن الخطيئة، وتقربه من الفضل. ويستفاد منه مشورة وتديبيراً حسناً، فطنة وجبروتاً، كما هو مكتوب: "لي المشورة وحسن التدبير، أنا الفطنة، لي الجبروت" (أم ٨: ١٤). وتهبه الملك والسلطان والحكم الصائب، وتُكشف له أسرار التوراة، فيصبح كالنبع المتدفّق والنهر الذي لا ينضب. يصبح متواضعاً، وطويل الأناة، ويغفر لمن أهانه. هي تعظمه وترفع شأنه أكثر من كل الأعمال" (مشن، أبوت ١: ٦).

٥ - "تلك هي طريق التوراة: تأكل خبزاً مالحاً، وتشرب ماءً بمقدار، وتنام على الأرض، وتشظف بعيشك، وأنت منكبّ على دراسة التوراة. فإن عملت هكذا فالطوبى والخير لك" (مز ١٢٨: ٢). "الطوبى لك"، في هذا العالم، و "الخير

لك"، في العالم الآتي. لا تطلب عظمة لنفسك، ولا تطمح إلى المجد. لتفق أعمالك علمك. لا تطمح بمائدة الملوك فمائدتك أعظم منها، وتاجك أعظم من تاجهم. إن ربّ عملك أمين، فهو يجازيك على عملك " (مشن، أبوت ٦: ٤).

و- رابي يهودا هالناسي (١٣٨-٢١٧ م.)

ويقال له أحياناً كثيرة "رابي" فقط نظراً لشهرته بين سائر التنايم، وهو آخرهم، وقد جمع تعاليمهم وأقوالهم، ونظمها وبوّبها في ستة أنظمة (٥١٦) تحتوي على ٦٣ فصلاً (٦٣٣) ودعاها المشناه، لتصبح ركناً من أركان التوراة الشفهية. ويقال له أيضاً "معلمنا القديس" (רבינו הקדוש) نظراً للسيرة القشفة والمتواضعة التي كان يسلكها. أمّا لقب "ناسي" (נסי) الذي يعني الرئيس أو الأمير، فلأنّه كان رئيس المجمع اليهودي آنذاك، وقد استطاع بحنكته، أن يقيم علاقات جيّدة مع الرومان، عادت بالخير والسلام على جماعة إسرائيل.

■ رابي يهودا هالناسي بحسب التقليد الرابيني

١ - قيل فيه : " عندما مات رابي عقيبا، وُلد رابي (يهودا) " (تل با، قيد ٧٢).

٢ - قيل فيه أيضاً : " منذ موت موسى حتى رابي ما وجدنا التوراة والعظمة

في مكان واحد " (تل با، غيط ٤٩).

٣ - " يقول رابي: أي طريق مستقيم يختار الرجل لنفسه؟ الطريق الذي

يشرفّ سالكه ويكسبه احترام الآخرين. كن حريصاً على وصيّة صغيرة كما

على كبيرة، لأنك تجهل أجر الوصايا. قارن بين الإخلال بوصيّة وبين قيمة

أجرها، وأجر مخالفة تجاه ضررها. إفتكر بثلاثة أمور فلا تقع في الخطأ؛ أعلم أنّ

فوقك: عينا ترى، وأذنًا تسمع، وأنّ أعمالك كلها مدوّنة في الكتاب " (مشن، أبوت

٢: ١).

٤ - "أخرسان اثنان كانا في مسكن رابي. فكّلما كان يدخل إلى بيت الدراسة

كانا يدخلان هما أيضاً، ويجلسان أمامه، ويهزان برأسيهما، ويحركان شفاههما. طلب رابي الرحمة لهما فشفيا، فتبين أنهما يعرفان ال هلكاه، وسيفرا، وسيفري^{٣٤}، والتوسفتا^{٣٥} وكل التلمود " (تل با، حجي ١٣ أ).

٥ - " يقول رابي شمعو بن منسيا باسم رابي شمعو بن يوحاي: الجمال، والقوة، والغنى، والمجد، والحكمة، والشيخوخة، والشيبة، والأبناء، هذا كله يليق بالصدّيقين وبالعالم، كما هو مكتوب: «الشيبة إكليل فخر تجدها في طريق البر» (أم ١٦: ٣١)، مكتوب أيضاً: «تاج الحكماء غناهم» (أم ١٤: ٢٤)، ومكتوب أيضاً: «إكليل الشيوخ بنو البنين وفخر البنين آبؤهم» (أم ١٧: ٦)، ومكتوب أيضاً: «فخر الشبان قوتهم وبهاء الشيوخ المشيب» (أم ٢٠: ٢٩)، مكتوب أيضاً: «فيخجل القمر وتخزي الشمس لأن رب القوت يملك في جبل صهيون وفي أورشليم ومجده أمام شيوخه» (أش ٢٤: ٢٣). يقول رابي شمعو بن منسيا: الفضائل السبع هذه التي حددها الحكماء في الصدّيقين، وجدت جميعها في رابي (يهودا هالناسي) وبنيه " (مشن، أبوت ٨: ٦).

و - راب آبا برأيو (القرن الثالث للميلاد)

ويلقب بـ " راب " أي معلّم، وهو من أوائل وأعظم الأمورائيم البابليين، الذين خلفوا التّنائيم، وباشروا في تفسير المشناه، في مدارس فلسطين وبابل معاً، ليشكلوا ما يسمّى بالتلمود الفلسطيني والتلمود البابلي. درس في فلسطين على يد رابي يهودا هالناسي، ثم عاد إلى موطنه بابل حيث كان التعليم دونه في فلسطين، فسعى إلى بناء مدرسة توراتية في سورا، أصبحت تعاليمها في ما بعد أساساً للتلمود البابلي، وقد استمرت نحو ثمانماية سنة مرجعية مع مدرستي نهر دعا وبومباديتا، والتي أفل نجمها تبعاً حتى سنة ١٠٤٠ م.

٣٤ - سيفرا وسيفري هما اسمان لمدرّسين (أنظر الفصل الثامن، من هذا البحث، في المداشر).

٣٥ - وهي ملحقة للمشناه (أنظر الفصل السادس، من هذا البحث، في المشناه).

■ راب آبا برأيو بحسب التقليد الرابيني

١ - "فإنني أكون لهم مقدساً صغيراً" (حز ١١: ١٦) - قال رابي إلعرز: هذا هو بيت راب الذي في بابل " (مج " تعن ٢٩).

٢ - "قالوا لشموئل: لقد مات راب. فمزق عليه إثننتي عشر قميصاً قائلاً: لقد رحل الرجل الذي كنت أخشاه" (تل با، موع " قط ٢٤ أ).

٣ - "كانوا يأخذون عن قبر راب تراباً لشفاء المولود الجديد" (تل با، سنه ٤٧ ب).

٤ - "ودعا الله الرقيع سماء" (تك ١: ٨) - قال راب: نار ومياه؛ أخذ القدوس - مبارك - هو ناراً ومياهًا ومزج هذه بتلك فكانت السماء. تفسير آخر: إن البرايا مندهشة من أمر السماء (لتعرف) ما هي؟ أنار هي أم مياه؟ يا للعجب! " (تك " ربا ٤).

٥ - "بأشر راب بقراءة فصل من التوراة أمام رابي (يهودا هالناسي معلّمه). جاء رابي حيّا فأعاد راب القراءة منذ بدايتها. جاء بعده برقفراً فأعاد راب القراءة من بدايتها. جاء من ثمّ رابي شمعون، حفيد رابي، فأعاد كذلك القراءة من بدايتها. ووصل رابي حنينا برحماً، فقال راب: إلى متى أظلّ أعيد القراءة؟ وعوض أن يعيد القراءة أكملها من حيث توقّف. غضب رابي حنينا برحماً لأن راب لم يعره الاهتمام كما الآخرين. فكان راب طوال ثلاث عشرة سنة متتالية، في ليلة عيد الغفران، يجيء إليه ويعتذر منه ولكنّه كان يرفض له اعتذاره...

حلم مرّة رابي حنينا برحماً أن راب معلّقاً على نخلة مشنوقاً، ومن يحلم به معلّقاً على نخلة تفسيره أنّه سيصبح رئيس مدرسة توراتيّة. فأدرك رابي حنينا أن راب مهياً لهذا المنصب، فقرّر عدم مسامحته حتى يغادر أرض إسرائيل ويذهب فيعلم التوراة في بابل " (تل با، يوم ٨٧ أ).

ز - رابي يوحنان بن هَنَفَّاح (١٨٥ - ٢٧٩ ب.م.)

هو من أعظم الأمورائيم في فلسطين وأساس في التلمود الفلسطيني وكذلك في التلمود البابلي. له الباع الطويل في تحديد النوعين الأدبيين في كلا التلمودين : ال هَلْخاه السلوكيَّة والأَعْداه القصصية. تابع دراسته التوراتية على الرغم من فقره المدقع إذ كان ابن حدَّاد (نَفَّاح) ولكنه توصَّل، في نهاية المطاف، وبفضل علمه وجهده، أن يصبح رئيس مدرسة توراتية في فلسطين. عاصر رابي يهوذا ه هالْنَّاسي، كما شهد جمع المشناه التي درسها على يد هذا الأخير. عاش في آخر عمره منزوياً في المدرسة التوراتية، لا يغادرها مكرَّساً كل وقته للدراسة والتعليم، خاصة بعد ما فقد أبناؤه العشرة كما يذكر عنه التقليد الرابيني.

■ رابي يوحنان بن هَنَفَّاح بحسب التقليد الرابيني

١ - "حدث أنَّ امرأة (حبلَى) اشتَمَّت رائحة طعام في يوم الغفران (وهو يوم صيام إلزامي)، فجاؤوا إلى رابي. قال (لهم) : إنهبوا واهمسوا لها أنَّ اليوم هو يوم الغفران. فهمسوا لها فانصاعت لهم. فدعوا للجنين : "قبلما صوّرتك في البطن عرفتكَ" (إر ١: ٥) - فخرج منها رابي يوحنان " (تل با، يوم ٨٢ ب).

٢ - "قال رابي يوحنان : إنَّني فُضِّلْتُ على أجمل من في أورشليم. فالذي يريد أن يميّز جمال رابي يوحنان فليأت بكأس فضة خالصة وليملأه حبيبات رَمَان أحمر، وليتوّج شفته بإكليل من ورد أحمر، وليضعه بين شمس وظلّ، هكذا يسطع في العين جمال رابي يوحنان " (تل با، با "مص ٨٤).

٣ - "بينما كان رابي يوحنان جالساً أمام بيت دراسة بابل في صيْفُورين (في الجليل الأعلى) يقرأ، مرَّ الحاكم وما التفت إليه؛ فهمَّ عبّيده راغبين بضربه، فقال لهم الحاكم : أتركوه، فهو منهمك بوصية خالقه " (تل فل، برخ ٥: ١).

٤ - "التجديف على الإسم، كيف يكون؟ أجاب رابي يوحنان : مثلي أنا، عندما أسير أربعة أذرع من دون التوراة والعصائب (تفيلين) " (تل با، يوم ٨٦ أ).

٥ - عندما وصل رابي يوحنان (في قراءته) إلى هذه الآية : "هوذا قديسوه لا يأتهمهم" (أي ١٥: ١٥)، بكى (قائلاً) : إذا كان لا يأتهم قديسيه، فمن يأتهم إذًا؟ مرة كان سائرًا في الطريق فرأى رجلاً يقطف تينًا، يترك الناضجة ويقطف الفجة. قال له رابي يوحنان : أوليست هذه أفضل بكثير؟ أجابه : أريدها للطريق، هذه تدوم ولكن تلك لا تدوم. قال رابي يوحنان : لذلك قيل : "هوذا قديسوه لا يأتهمهم" (تل با، حجي ٥ أ).

ح - رابي رش لقيش (٢٠٠-٢٧٥ ب.م.)

هو رابي (ر) شمعون (ش) بن لقيش، وحرفا (ر) و (ش) مجتمعان (رش) يعنيان في الآرامية الرأس أو الرئيس، وهو دليل على موهبة رابي شمعون في إدارة المدرسة والجماعة. هو من بين أشهر الأورثيم في فلسطين وقد تخرج من مدارس طبرية في الجليل الأعلى، ولكنه قبل أن يتخرج ترك الدراسة مدة من الزمن ربما لأسباب مادية، لذلك عمل، وهو المشهور بقوة البدنية، كمصارع ليكسب بعضًا من المال لمعيشته. إلا أنه ما لبث أن عاد إلى الدراسة بتشجيع من رابي يوحنان بن هاننئاح ليصبح من بين لائحة كبار الأورثيم.

إن موت رش لقيش، ومن بعده رابي يوحنان، جعل حدًا زمنيًا لحقبة تدوين التلمود الفلسطيني، وتحول مركز الريادة الفكرية من طبرية، في فلسطين، إلى مدارس بابل، في بلاد ما بين النهرين.

■ رابي رش لقيش بحسب التقليد الرابيني

١ - "من كان رش لقيش يتحدث معه في السوق، كانوا يقرضونه دون شهود" (تل با، يوم ٩ ب).

٢ - قال رش لقيش : منهم من يعرف أن ينظم ولا يعرف أن يتعمق؛ ومنهم من يعرف أن يتعمق ولا يعرف أن ينظم. أمّا أنا فكنت المنظم والمتعمق" (نش ربا ١).

٣ - "كان رابي يوحنان مرّة يغتسل في الأردن، فرآه رش لقيش فقفز خلفه في وسط المياه. قال له رابي يوحنان : (إدّخر) قوّتك للتّوراة. فأجابته : وجمالكم للنساء. فقال له رابي يوحنان : إذا تُبّتَ أعطيك أختي وهي أجمل منّي. فأخذ بذلك على عاتقه. حاول أن يعود ليأخذ أغراضه فما استطاع (لأنّه أخذ على عاتقه نير التّوراة). علّمه (رابي يوحنان) التّوراة الكتابيّة والشفهيّة وجعل منه إنساناً عظيماً" (تل با، با "مص ٨٤).

٤ - "وأطلق الغراب فخرج وراح يتردّد" (تك ٨: ٧) - بدأ الغراب يعترض قائلاً : من بين سائر البهائم والحيوانات والطيور الموجودة هنا، ما أرسلت إلّاي. قال له : وما حاجة العالم لك؟ فأنت لا تصلح لا للأكل ولا للقربان. قال رش لقيش : لقد اعترض الغراب لدى نوح اعتراضاً صائباً قائلاً له : ربّك كرهني وأنت (أيضاً) تكرهني. ربّك كرهني، (فأدخل إلى السفينة) من (الحيوانات) الطاهرة سبعة، ومن النجسة إثنان؛ وأنت تكرهني، لأنك تركت الأنواع السبعة وأرسلت النوعين. إذا تعرّضت لحرّ شديد أو لبرد قارص، أفلن يخسر العالم (بعد) خليفة أخرى؟...!" (لا "ربّا ٣١).

بعد هذا الفصل الذي تعرّفنا فيه إلى بعض من أعلام الأدب الرايبي، من التّنايم والأمورائيم، سننتقل، في الفصل القادم، إلى الحديث عن المدارس التي علّم فيها هؤلاء الأعلام وجعلوا لأنفسهم تلاميذ كُثراً فساهاوا، هم أيضاً، في جهدهم ومحاوراتهم مع معلّميهم، في صنع هذا الأدب الذي ما برح ينتقل من معلّم إلى تلميذ، تجمعهما صفة واحدة وأساسيّة هي صفة "الحكيم"، فالأول يعلّم الحكمة ويكتسبها في آن معاً، والثاني يتعلّم الحكمة ليكتسبها ولينقلها إلى غيره، من هنا تسميته بالعبريّة חֲכָמִים חָכִים أي "التلميذ الحكيم" أو "تلميذ الحكيم".

الفصل الثامن

المحارس الرأبينية الفلسطينية والبابية

الفصل الثامن

المدارس الرابينية الفلسطينية والبابلية

مقدمة

إن أولى المدارس التوراتية التي يحدّثنا عنها التاريخ اليهودي، هي ساحة الهيكل، حيث كان عزرا والكتبة يجمعون الشعب (حوالي سنة ٤٢٠ ق.م.)، ويقرأون على مسامعه التوراة، ويفسّرونها. ولكن سرعان ما ظهر المجمع (בית מדרש) إلى جانب الهيكل، وكان محور العبادة فيه البيبليا التي كانت تتلى، مع ترجمتها الآرامية، على مسمع من الجماعة المصلية، تسهيلاً لفهمها وإدراكها ومن ثمّ عيشها. كما خُصّص في حرم المجمع، مكان معدّ لدراستها، والتعمّق فيها.

بعد الحرب اليهودية - الرومانية (٦٦-٧٣ م.)، ومع بداية الحقبة الرابينية، كثرت المدارس لتصبح أمراً أساسياً في المجتمع اليهودي، خاصة وأنّ التوراة أصبحت العنصر المركزي الأوحد للعبادة اليهودية، بعد دمار الهيكل، وزوال العبادة التابعة له. ساهمت هذه المدارس الرابينية، في أجيالها المتواصلة من معلّمين وتلامذة، مساهمة مباشرة في استمرارية التقليد الشفهي، بعد تدوينه وحفظه، في أنواع أدبية، وأساليب بحث متنوّعة.

الفصل الثامن

المدارس الرابينية والفلسطينية والبابلية

مقدمة

إن أولى المدارس التوراتية التي يحدّثنا عنها التاريخ اليهودي، هي ساحة الهيكل، حيث كان عزرا والكتبة يجمعون الشعب (حوالي سنة ٤٢٠ ق.م.)، ويقرأون على مسامعه التوراة، ويفسّرونها. ولكن سرعان ما ظهر المجمع (בית המדרש) إلى جانب الهيكل، وكان محور العبادة فيه البيبليا التي كانت تتلى، مع ترجمتها الآرامية، على مسمع من الجماعة المصلية، تسهيلاً لفهمها وإدراكها ومن ثمّ عيشها. كما خُصّص في حرم المجمع، مكان معدّ لدراستها، والتعمّق فيها.

بعد الحرب اليهودية - الرومانية (٦٦-٧٣ م.)، ومع بداية الحقبة الرابينية، كثرت المدارس لتصبح أمراً أساسياً في المجتمع اليهودي، خاصة وأنّ التوراة أصبحت العنصر المركزي الأوحد للعبادة اليهودية، بعد دمار الهيكل، وزوال العبادة التابعة له. ساهمت هذه المدارس الرابينية، في أجيالها المتواصلة من معلّمين وتلامذة، مساهمة مباشرة في استمرارية التقليد الشفهي، بعد تدوينه وحفظه، في أنواع أدبية، وأساليب بحث متنوّعة.

١ - المدارس التوراتية في فلسطين وبابل

في صلاة "إسمع يا إسرائيل... " التي يرددها اليهودي كل يوم ثلاث مرّات، تبرز وصيّة تُلزم كل أب يهودي، أن يعلم بنيّه أحكام الربّ ليحيوا بها : "وعلموها بنيكم مكمّلين إياهم بها..." (تث ١١: ١٩). نجد في هذه الوصيّة دعوة للأب إلى تعليم أولاده أسس الديانة وكأنّ البيت هو المدرسة الأولى في حلقة التدرّج في المعرفة والسلوك.

وُجِدَت المدارس في كلّ من فلسطين وبابل لتطبّق هذه الوصيّة. ويعود التقليد الرابيني بهذه الممارسة إلى شمعون بن شطّح (أواسط القرن الأوّل ق.م.)، وإلى يشوع بن جَمالا الكاهن الأكبر الذي نشرها، قبيل الحرب اليهوديّة - الرومانيّة (٦٦-٧٣ م.)، في جميع المدن حيث يتواجد اليهود، ليعلّموا أولادهم الذكور، منذ الخامسة من عمرهم. تذكر المشناه أعمار التلاميذ والمواد التي يجب أن يتعلّموها كلّ حسب سنّه : "قال (رابي شموئيل الصغير) : ابن الخامسة لدراسة الببليا. وابن العاشرة المشناه، وابن الثالثة عشر الوصايا، وابن الخامسة عشر التلمود..." (مشن، أبوت ٥: ٢١).

غالباً ما تكون المدرسة الابتدائيّة (בֵּית סֵפֶר)، جزءاً من مبنى المجمع، يتعلّم الولد فيها قراءة الببليا، بعد أن يكون قد تعلّم الأحرف العبريّة. ويقوم التعليم على حفظ النصوص البيبليّة غيباً مع الترجوم الآرامي، وذلك في تكرار مستمرّ للآيات بصوت عال. أمّا عندما يصبح عمره عشر سنوات، فيُعدّ لدراسة المشناه، على يد معلّم رابي، في مدرسة مخصّصة، تُدعى بيت الدراسة (בֵּית הַמִּדְרָשׁ أو בֵּית הַתְּלָמוּד)، حيث يتلقّن التلميذ المبادئ الأولى للسلوك اليهودي، ليعود فيدرسها بتمعّن أكثر، في سن الثالثة عشر، السن التي فيها يحتفل بالبرمّتصّاف (פֶּר מִצְוָה) حيث يصبح رجلاً يهودياً بالغاً، ملزماً كسائر الرجال، بمعرفة الوصايا وحفظها.

أما المدرسة العليا فتُدعى، في فلسطين، بالعبرية "يشيباه" (יִשְׁבִּיבָה)^{٢٦}، وفي بابل، تُدعى بالآرامية "متيتبا" (מְתִיבְתָּא). هذه المدارس هي للبالغين الراغبين في تحصيل أوفر للعلوم التوراتية، وفي الحصول على لقب "رابي" (רַבִּי) في فلسطين، وعلى لقب "راب" (רב) في بابل. يدير هذه المدرسة رابي يُدعى "رئيس يشيباه" (רֹאשׁ יִשְׁבִּיבָה)، وكان ذا نفوذ كبير في جماعة إسرائيل.

إنّ برامج هذه المدارس هي غير معروفة في زمن الهيكل الثاني (٥١٥ ق.م. - ٧٠ م. ب.م.)، وأشهرها مدرستا هيلل وشمائي. وكذلك بعد سنة ٧٠ م.، فإننا لا نجد مدارس منظّمة وصلت إلينا برامجها، ولكنها ظلت محصورة بأسماء أشخاص عُرفوا بعلمهم وتقواهم، كان التلاميذ يدرسون على أقدامهم، وفي بيوتهم، أمثال رابي عقيبا ورابي يشمعئيل، وغيرهم كثر...

يجب الانتظار حتى القرن الثالث للميلاد، أي حتى حقبة الأمورائيم، لتظهر المدارس الثابتة والعمومية، وأشهرها في فلسطين، مدرسة صفد ومدرسة طبرية. وفي ظلال هذه المدارس، تكوّنت المشناه أولاً، ثمّ المدراس هكّلاه، فالتمود الفلسطيني أو الأورشليمي. وكذلك في بابل، بدأت المدارس تظهر، كما في فلسطين، منذ القرن الثالث مع الأمورائيم، وأشهرها: مدرسة سورا على الفرات، ونهر دعا التي دمرها أوزينا الفارسي وبومباديتا التي بُنيت سنة ٢٥٩ م.، لتحلّ مكان مدرسة نهر دعا. تكوّن التلمود البابلي في ظلال هذه المدارس.

لم يختلف أسلوب التعليم بين مدارس فلسطين وبابل، ففي الموضوعين بقي الاعتماد الأول، حتى في الدراسات العليا، على الحفظ غيباً الأحكام والشروحات، ممّا يسهّل على التلميذ التأمّل، في كل حين، بما هو متوقّف في ذهنه، فيفهمه

٢٦ - من فعل "يَشَبُّ" (יָשַׁב) أي جالس، أو جلس للدراسة. و "يشيباه" هي المكان حيث يجلس التلاميذ لدراسة التوراة.

رويداً رويداً. يقوم بمهمة التدريس معلّم يقال له تَنّا (תנא), وفي ما بعد أمورا (אמורא), وكانا يتميّزان بحفظ الكتب غيباً، فيساعدان التلاميذ على حفظها.

٢ - التلاميذ الحكماء او تلاميذ الحكماء

تمتدّ سنو الدراسة طويلاً، ويكون فيها "تلميذ الحكيم" (תלמיד חכם)، في عهدة معلّم رابي، مع مجموعة من التلاميذ الآخرين، على يده يتلقّنون العلم والسلوك الواجبين لحيازة لقب "رابي". وبعد انتهاء الدراسة تتمّ سيامته (סמיכה) بوضع اليد.

هذا في فلسطين، أمّا في بابل فلا سيامة هناك، لأنّ السيامة محصورة فقط بفلسطين؛ واللقب الذي يحوز عليه التلميذ الحكيم، في بابل، بعد فراغه من الدراسة، هو لقب "راب" (רב)، وهذا ما يميّز هويّة الحكيم ومصدر تعليمه.

تُعطي السيامة الرابينيّة التلميذ الحكيم سلطة تعليميّة وحقّاً تشريعياً في مادة ال هلكّاه (قواعد السلوك) والقضاء... كانت السيامة، من حيث المبدأ، حقّاً لكلّ تلميذ أنهى دراسته، كما لكلّ معلّم حكيم الحقّ في أن يرسم هو بنفسه تلاميذه، إلّا أنّه مع الوقت حُصرت السيامة بيد رئيس المجمع الرابيني، ويُدعى "ربّان" (רבן) أي "معلّمنا"، فهو لم يعد يرسم من التلاميذ، إلّا من هم أهل للدخول في المجمع الرابيني، الذي يُقال له السنهدرين، لذلك لم تعد السيامة حقّاً مكتسباً لكل من أنهى دراسته.

توقّف العمل بالسيامة الرابينيّة، في عهد البيزنطيّين سنة ٤٢٩ م. بعد أن ألغى المجمع الرابيني ولقب ربّان، أيّام الامبراطور تيودوسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠ م.). عندها اعتُمدت عدّة طرق لإعلان تخرّج التلاميذ الحكماء، وإدراجهم في صفوف المعلّمين، الذين يحافظون على التقليد المقدّس، ويحرصون على تسليمه وديعة ثمينة للأجيال الآتية.

٣ - المدرسة العلوية (יְהוּדָה שֶׁל מַעְלָה)

هي المدرسة السماوية التي على شبه المدرسة الأرضية أو السفلية، والتي تجمع في العالم الآتي جميع الذين قضوا عمرهم، في هذا العالم، بدراسة التوراة الكتابية والشفهية وتعليمها والعيش بموجب أحكامها، ويذهب التلمود البابلي ليقول أنها هي أيضاً من نصيب الذين يساعدون بمالهم، من يدرسون التوراة: "كل من يرصد مالا لصالح التلاميذ الحكماء يحظى بالجلوس في المدرسة العلوية، لأنه قيل: "الذي في ظل الحكمة هو في ظل الفضّة (جا ١٢:٧) " (تل با، فسخ ٥٣ ب).

لهذه المدرسة العلوية محكمة علوية (בֵּית דִּין שֶׁל מַעְלָה) تابعة لها، وهي توازي المحكمة الأرضية (בֵּית דִּין שֶׁל מַטָּה) التابعة للمدرسة السفلية (יְהוּדָה שֶׁל מַטָּה)، نجد ذكراً لها في ليتورجيا "يوم الغفران" حيث ورد في إحدى الصلوات "كما غُفر لكم في المحكمة السفلية هكذا سيُغفر لكم في المحكمة العلوية" ^{٢٧}.

نصوص

■ المدارس الرابينية بحسب التقليد الرابيني

اشتهرت مدرستا هيلل وشمائي (בֵּית הֵלֵל וּבֵית שַׁמַּי) في أواخر القرن الأول ق.م. وأوائل القرن الأول ب.م.، أي قبل الحرب اليهودية - الرومانية (٦٦-٧٣ م.)، وقد مهّدتا في تعاليمهما لمرحلة ما بعد الحرب، وبداية الحقبة الرابينية. كثيراً ما كانتا تتعارضان حول موضوعات مختلفة من ال هكّاه، فيقال هذه هكّاه، أو قاعدة سلوكية، بحسب مدرسة هيلل المتسامحة، أو تلك بحسب

٢٧- كتاب صلوات يوم الغفران، دار سيناء، تل أبيب، إسرائيل، ١٩٩١، ص ٢٧ (عبري).

مدرسة شمّاي المتشدّدة. كان المجمع الرابيني غالباً ما يأخذ بمدرسة هيلل دون مدرسة شمّاي. جرت العادة أن تناقش كلّ هلكّاه في المدرسة الواحدة، ولكنّ هاتين المدرستين غالباً ما كانتا تناقشان معاً ما توصّلتا إليه من اجتهاد تشريعي وسلوكي؛ كان هذا النقاش يسعى إلى إبراز وجهات النظر المختلفة، لعلّه يتمّ التوصل إلى حلّ وسط أو إلى حسم في اختيار رأي دون الآخر. يعتبر الرّبّانيم هذا النقاش الذي كان يدور بين المدارس، "مجادلة لاسم السماوات" (מַחְלָקוֹת שְׁמַיִם וָאָרֶץ) وليس نقاشاً فارغاً.

١- "لما كثر عدد تلاميذ شمّاي وهيلل، وكانوا دون الخبرة الكافية، كثرَت المجادلات في إسرائيل حتى باتت التوراة كأنّها إثنان" (تل با، سنه ٨٨ ب).

٢- "قال رابي أبّا عن رابي شموئيل: تخاصمت مدرسة شمّاي ومدرسة هيلل لمدة ثلاث سنوات، فهؤلاء يقولون: ال هلكّاه بحسبنا، وهؤلاء يقولون: ال هلكّاه بحسبنا. فخرج صوت يقول لهم: هذه وتلك كلمات الله وحياة هي، أمّا ال هلكّاه فهي في كلمات مدرسة هيلل. ولماذا بعد (أن قيل إنّ) هذه وتلك كلمات الله وحياة هي، حازت مدرسة هيلل على تثبيت ال هلكّاه بحسبها؟ لأنّهم (في مدرسة هيلل) بسيطون ومتواضعون، وكلماتهم تختلف عن كلمات مدرسة شمّاي؛ وليس هذا فقط، بل يفضلون كلمات مدرسة شمّاي على كلماتهم. لتتعلّم أنّ كل من يضع نفسه، يرفعه القدّوس-مبارك-هو، وكل من يرفع نفسه، يحطّه القدّوس-مبارك-هو" (تل با، عرو ١٣ أ).

٣- "على الرغم من انقسام مدرسة شمّاي ومدرسة هيلل-هؤلاء يمنعون، وهؤلاء يسمحون- لم يمتنع أتباع شمّاي عن الزواج من نساء من أتباع هيلل، ولا أتباع هيلل من نساء أتباع شمّاي. لتتعلّم أن الحبّ والصدّاقة يسيران بعضهما بعضاً، ليتّم ما قيل: "أحبّوا الحقّ والسلام" (زك ٨: ١٩) (تل با، ييم ١٤).

تعود مدرستا رابي عقيبا بن يوسف ورابي يشمعل بن إيشاع، إلى الحقبة الرابينية التي تلت الحرب اليهودية - الرومانية (٦٦ - ٧٣ م.)، وكانتا تهتمان بالبحث في التوراة وتفسيرها، حسب مقاييس وأساليب، تتميز بها كل مدرسة عن الأخرى: فرابي عقيبا يشدد في بحثه على بعض التفاصيل الصغيرة التي في النص كالبودائى préfixes و اللواحق suffixes، أو أداة المفعولية "إِتْ" (תָּ) وغيرها من أدوات اللغة وأحرفها التي هي، في نظره، ذات أهمية بالغة، طالما أنها موجودة في نصّ الببيليا. كل هذا، جعل من أسلوب رابي عقيبا التفسيري واسع الآفاق، ويفتح أمام الباحث، سبلاً عديدة لبحثه، ولاستنباط قواعد سلوكية عديدة. أمّا أسلوب رابي يشمعل بن إيشاع فيختلف من حيث المبدأ إذ يعتبر، هذا الأخير، أنّ "التوراة تتكلم بلغة البشر"، أي إنّها واضحة للإنسان وتهبه، في أكثر الأحيان، معانيها بوضوح، لذلك ليس من الضروري البحث والتدقيق حيث لا يجب، طالما أنّ المعنى واضح ومعروف.

١ - "قال رابي إلعزر ابن رابي يوسي: بكلامي هذا أظهرت زيف كتب الهراطقة الذين يقولون أنّ لا (ذكر) لقيامة الأموات في التوراة. قلت لهم: لقد حرّفتُم توراتكم دون أن ينفعكم هذا شيئاً. طالما أنكم تنكرون أنّ لقيامة الأموات (ذكرًا) في التوراة، ها هو نصّ يقول: "لأنّها احتقرت كلام الربّ ونقضت وصيّته. قطعاً تُقطع تلك النفس، ذنبها عليها" (عد ١٥: ٣١). "قطعاً تُقطع هذه النفس" في هذا العالم، و "ذنبها عليها"، إلى متى؟ أليس في العالم الآتي؟

قال راب فافا لأبّي: لماذا لم (يستنتج هذا العالم والعالم الآتي) من تكرار الفعل) "قطعاً تُقطع"؟ لأنّه كان بوسعهم أن يقولوا له: "إنّ التوراة تتكلم بلغة البشر"، وهناك تعليم يقول أنّ "قطعاً تُقطع": "قطعاً" في هذا العالم، و "تُقطع" في العالم الآتي. هذا رأي رابي عقيبا. قال له رابي يشمعل (بن إيشاع) ها قد ذكر (في الآية السابقة) "...فهي تزدرى بالربّ فتُقطع تلك النفس من بين شعبها" (عد ١٥: ٣٠) أ يوجد إذًا ثلاثة عوالم؟ وإلّا فإنّ "تُقطع" (في الآية

(٣٠) في هذا العالم، و "قطعاً" (في الآية ٣١) في العالم الآتي، و "قطعاً تقطع" كأن التوراة تتكلم بلغة البشر.

بين رابي يشمعل و رابي عقيبا تبقى مسألة "ذنبها عليها" عالقة، وما العمل بها؟ هناك تعليم يقول : (يبقى ذنبها عليها) حتى ولو أظهرت توبة، لهذا قالت التوراة "ذنبها عليها"، ولا أقول هذا إلا عندما يكون ذنبها عليها (وليس إذا أظهرت توبة قبل الموت) " (تل با، سنة ٩٠ ب).

■ تلاميذ الحكماء بحسب التقليد الرابيني

تقوم الحركة الرابينية على إعلاء شأن التوراة في شقيها الكتابي والشفهي، وليس من وسيلة للوصول إلى هذا الهدف أفضل من دراسة التوراة والانشغال بها؛ من هنا الحاجة الماسة إلى هيكليّة تترجم هذا الهدف في واقع محسوس، فكان تنظيم الصفوف في بينه (בֵּינֵה)، مع ربان يوحنا بن زكاي، على هذا الأساس : إنشاء مجمع رابيني يكون السلطة العليا في جماعة إسرائيل، يسهر أعضاؤه على أن تكون التوراة محور حياة الناس، ويجمعون التقاليد والتعاليم لتكون بين أيديهم لتحقيق هدفهم؛ ويختارون معلمين من بينهم لينقلوا هذه التعاليم إلى الأجيال الصاعدة، من هنا الدعوة الأساسية من قبل المجمع الكبير إلى المعلمين أن يقيموا تلاميذ كثرًا، على ما جاء في المشناه : "أقيموا تلاميذ كثيرين، واجعلوا للتوراة سياجاً" (مشن، أبوت ١: ١).

وفي ما يلي نصوص تبرز مدى أهمية الرابي الحكيم في المجتمع اليهودي الذي تحول إلى مجتمع أحادي - بعد غياب سائر الفرق الدينية إثر الحرب ضد الرومان - يرتكز على أحادية دينية هي التوراة، فأصبح المعلم والتلميذ ركنين أساسيين من أركان المجتمع اليهودي الرابيني، وعلّة استمراريّته، رغم الصعوبات والويلات التي يذخر بها التاريخ اليهودي.

١ - "...يقول يوسِي بن يوعِزِر: ليكن بيتك موضع لقاء للحكماء. تعلق بغبار أرجلهم، واستق بشغف كلامهم" (مشن، أبوت ٤:١).

٢ - "يقول أبطلْيُون: تنبّهوا لأقوالكم أيّها الحكماء، لئلا تُعاقبوا بالجلاء، فتُجَلّوا إلى موضع مياهه آسنة، فيشرب منها تلاميذك، من بعدكم، فيهلكوا ويُجَدّف على اسم السماوات" (مشن، أبوت ١١:١).

٣ - "إستدْفى بنار الحكماء، ولكن احذر جمرهم لئلا تحترق. عضّتهم عضّة ثعلب، وعقصتهم عقصة عقرب، وشوشاتهم كفحيح الأفعى، وكجمر النار كلامهم" (مشن، أبوت ١٠:٢).

٤ - "التلاميذ أربعة أنواع: السريع الى الفهم والسريع إلى النسيان، يفوق سوءه حسنه. الصعب الفهم والصعب النسيان، يفوق حسنه سوءه. السريع إلى الفهم والصعب النسيان، هو الحكيم. الصعب الفهم والسريع إلى النسيان، هو نصيب سيئ" (مشن، أبوت ١٢:٥).

٥ - "رواد المدارس أربعة أنواع: الذي يذهب ولا يدرس، يُجازى على ذهابه. الذي يدرس ولا يذهب، يُجازى على دراسته. الذي يذهب ويدرس، هو الحكيم. الذي لا يذهب ولا يدرس، هو الشرير" (مشن، أبوت ١٤:٥).

٦ - "الجالسون في حضرة الحكماء أربعة أنواع: الإسفنجة، والقمع، والمصفاة، والمنخل. الإسفنجة تستوعب كلّ شيء. القمع يُدخل من جهة ويُخرج من جهة أخرى. المصفاة تُخرج الخمر وتلتقط الرواسب. المنخل، يُخرج الطحين ويلتقط الصفوة" (مشن، أبوت ١٥:٥).

في الختام، يمكننا القول أنّ الأدب الرابينيّ - موضوع هذا الكتاب - رأى النور في هذه المدارس الرابينيّة، وعلى يد أجيال من المعلّمين الحكماء الذين حملوا نير التوراة في علمهم وفي مسلكهم، فأوصلوا هذه الوديعه إلى أجيال وأجيال

من التلاميذ الذين اختاروا الحكمة ليتعلّموا منها، فيصيروا هم بدورهم حكماء، يواصلون سلسلة التقليد، بكل أمانة وتأن، جاعلين للتوراة، وهي حكمة الله، سياجاً بأجسادهم وأرواحهم.

لذلك، سنبدأ في الفصول المقبلة، بمعالجة عناصر الأدب الرأبنيّ، التي تحمل سمات هذه المدارس، وهؤلاء الحكماء وتلامذتهم، عارضين كلّ عنصر على حدة، آملين إيفاء كلّ منها حقّه من الوضوح والعمق لإبلاغ ما يروم هذا الكتّيب إبلاغه إلى القارئ.

الفصل الرابع

البَيْبِ أَوْ «تَنْخ»

الفصل الرابع

البَيْبِلِيا أَوْ «تَنْخ»

ليست البيبلييا من وضع الحقبة الرابينية، ولكنّها تعتبر أساساً للأدب الرابينيّ، إذ سوف نرى في الفصول القادمة، أنّ محور هذا الأدب، في جميع أنواعه ومختلف كتبه، هو كلمة الله التي أعطيت لموسى وللأنبياء من بعده. وجوهر الأدب الرابينيّ هو تفسير هذه الكلمة، لتصبح قاعدة سلوك، يسير اليهودي بموجبها، فيكون شاهداً لوحداية الله دون سائر الآلهة، ولفردة إسرائيل بين سائر الأمم.

سنبدأ بحثنا حول الأدب الرابينيّ بعرض بعض المبادئ الأوليّة حول البيبلييا، والتي لا بدّ من ذكرها لكي يكون عملنا منهجياً ومتكاملاً.

١ - الوحي في البيبلييا

يعني أنّ الله وهو خفيّ لا يدرك، يكشف عن نفسه بنفسه للإنسان. ليس الوحي اكتشاف سرٍّ غامض، بل كشفٌ إله مستور (אֱלֹהִים נִסְתָּר) عن ذاته المستورة، بمبادرة منه، مجانيّة، نحو الإنسان : الله هو الذي يكشف عن ذاته المستورة إلى الإنسان. الأفعال العبريّة التي تدلّ على الوحي تدلّ على هذه الحقيقة اللاهوتيّة : تراءى (נִרְאָה) أو عرّف عن ذاته (נִתְּנָה).

في أسفار التوراة الخمسة، كما في أسفار الأنبياء، يكشف الله عن ذاته من خلال كلماته وأعماله، التي تكشف عن إرادته للإنسان. فإبراهيم وموسى لم

يبحثا عن الله، بل هو جاء إليهما وكشف عن ذاته لهما، وكلفهما بمهمة تحمل إرادته للناس (تك ١٢: ١-٣، خر ٣: ٢)، وكذلك ما كان النبي ذاك الرائي الذي ينتظر وفود الناس إليه لاستشارته، بل كان يحمل إليهم كلام الله الموحى إليه.

أما في التلمود (תלמוד)، فقد فسّر الحكماء الوحي الإلهي بالنبوءة (נבואה)، التي تتم بفعل روح القدس (רוח הקודש)، أو بالسكّنة (שכינה)، وتعني الحضور الإلهي. واعتبر الحكماء أنّ روح النبوءة لا ينزل إلّا على من هم ذوو فضائل أخلاقية وروحية، كما جاء في التلمود البابلي: "لا تحلّ السكّنة إلّا على حكيم جبار وغنيّ وصاحب شأن" (تل با، شبت ١٩٢أ).

توقّف روح النبوءة بُعيد بناء الهيكل الثاني (٥١٥ ق.م.)، فكان أنبياء هذه الحقبة: حجّاي، وزكريّا، وملاخي آخر أنبياء إسرائيل، ويقول التلمود البابلي، في هذا الصدد: "علم معلّمونا: منذ وفاة الأنبياء المتأخّرين، حجّاي وزكريّا وملاخي، تخلّى روح القدس عن إسرائيل، على الرغم من استعانتهم بأصوات من السماء (עצמות). بينما كان (حكماء) متّكئون في عليّة بيت جوريا في أريحا، كان لهم صوت من السماء (قائلًا): يوجد هنا أحد بينكم من يستأهل أن تحلّ عليه السكّنة مثل موسى معلّمنا، ولكنّ جيله لا يستأهل ذلك، فوضع الحكماء عيونهم على هيلّل الشيخ..." (تل با، سنه ١١أ).

إذن، على الرغم من انقطاع مؤسّسة النبوءة بمفهومها البيبلي، في إسرائيل، لم ينقطع الوحي الإلهي، فإنّ الرّبّانيم الذين خلفوا الأنبياء في حمل مشعال الوحي، ظلّوا على اتصال بالحضور الإلهي، بسماع صوت السماء، الذي يأتي في الأوقات المناسبة، ليظهر الحقيقة التي تخفى، في كثير من الأحيان، عن الحكماء، فيُجمعون عليها، ويسيرونها بهديها.

٢ - تسميات البيبليا

للبيبليا في اللغة العبريّة عدّة تسميات هي: "الأسفار" (הספרים)، أو

"أسفار القداسة" (ספרי הקדש)، أو "كتب القداسة" (כתבי הקדש). تدلّ جميع هذه التسميات على طابعها القدسي والمهم لما تحويه من كلام وتعليم إلهيين، خصوصاً وإنّها اختيرت من بين العديد من الكتب، التي نافستها على هذه المنزلة الرفيعة، في أن تصنّف في عداد كلام الله.

هناك تسميات أخرى، ذات طابع عملي، مثل تسمية الببليا بـ "القراءة" (מקרא)، للدلالة على واجب قراءة ما هو مدوّن فيها، قراءة علنية وجمهورية إلى جانب القراءة الشخصية والفردية. وتسمية أخيرة هي الأكثر شيوعاً واستعمالاً، هي العبارة الثلاثية الأحرف "ت ن خ" (תנ"ך)، وكلّ حرف منها يدلّ على قسم من أقسام الببليا الثلاثة، بحسب القانون الفلسطيني، وهي كالتالي : التاء (ת) وهي التوراة (תורה)، النون (נ) وهي الأنبياء أو النبيّون (נביאים)، والكاف (או الخاء) (כ)، وهي الكتب (כתובים). وفي أغلب الأحيان، تُسمّى الببليا بمجملها، بأسم الجزء أي "التوراة" وهي تسمية شعبية شائعة حتى عند المسيحيين.

أمّا التسمية الرسميّة والمعتمدة بين اليهود فهي "تَنَخْ"، وهي تسمية نهائية، لقانون ببلي نهائيّ، يحتوي في أقسامه الثلاثة على ٢٤ سفرًا مقدّساً، أو ٣٩ سفرًا، إذا ما احتسبنا الأسفار المزدوجة، كمثّل سفرَي صموئيل الأوّل والثاني، وكأنّهما سفران اثنان لا واحد...

٣ - قانون الببليا

يحتوي قانون الببليا على ٢٤ سفرًا، انتقاها وأكّد عليها المجمع الرابّينيّ، في يَبْنَه (יבנה)، حوالي سنة ٩٠م. لتكون أساس الحياة اليهودية، وليصبح معها الشعب اليهودي، "شعب الببليا". أصبح هذا القانون قاعدة السلوك اليهودي عبر الأجيال. يؤكّد التقليد الرابّينيّ على هذا العدد للأسفار المقدّسة، معتبراً إيّاها عقداً واحداً، لا يجوز فرط حبة منه، لئلاّ يفرط بأسره.

أُخِذَت عبارة " قانون " العربيّة من عبارة canon اليونانيّة المشتقة أصلاً من لفظة "قَنَه" (קָנָה) العبريّة وتعني القصة أو المقياس.

أساس انتقاء الكتب المقدّسة، هو أن تكون مدوَّنة بإلهام من روح القداسة (שְׁמִינִי הַקָּדוֹשׁ). لم يكن هذا الانتقاء اعتباطياً، لأنّ الأسفار التي اختيرت، إنّما اختيرت، في بادئ الأمر، بعد اختبار في إطار الهيكل، ومن ثم في إطار المجمع، حيث كانت الجماعة المصلية تحكم، إلى جانب الحكماء، على صحّة تعاليمها.

من مميّزات الببليّا، أنّ نصوصها لم تُكتب دفعة واحدة، لذا هي كتوثيق لمجموعة من التعاليم والتوجيهات، جُمعت، رويداً رويداً، عبر تاريخ شعب إسرائيل، وتمّ حفظها، في شكلها الحالي، بدءاً من فترة السبي والعودة منه، مع الكتب وعلى رأسهم عزرا الكاتب.

كان لا بدّ من التوافق والإجماع عليها لتعلن نصّاً مقدّساً ملهمًا. فكان كلّما اتَّفَق على نصٍّ ليدرج في قانون الببليّا، يُختم هذا النصّ فيصبح نهائياً في عدد كلماته وأحرفه؛ ومنذ ذاك الحين، يصبح الكتب ملزمين بنقله حرفياً، وبأمانة كلّية؛ وكذلك يُصار مع المجموعات التي تكتمل باكتمال الكتب التي تندرج فيها، فلا يعود من الممكن إدخال أي كتاب عليها (سفر دانيال، لم يُدرج بين الكتب النبويّة، لأنّ المجموعة النبويّة خُتِمت قبل أن يحسم أمر هذا السفر). خضعت عملية انتقاء الأسفار القانونيّة لمسيرة طويلة فكان لكل قسم منها تاريخه لدى قبوله في القانون الببلي:

أ - **التوراة** (תּוֹרָה) : ظهرت بواكر إعلان قانونيّتها في أيّام الملك يوشيا (٦٤٠-٦٠٩ ق.م.)، حيث اكتُشف كتاب الشريعة، في الهيكل، أثناء ترميمه. أخذ حلقياً عظيم الكهنة الكتاب الى الملك، فقرأه ومزّق ثيابه وأمر بتلاوته على مسمع الشعب، لكي يُعمل بأحكامه، أحكام الربّ (راجع ٢ مل ٢٢-٢٣). وكذلك بعد العودة من السبي، كان عزرا الكاتب يتلو كتاب الشريعة على مسمع الشعب، ويعلمهم أحكام الربّ (راجع نح ٨-١٠). هذا يعني، أنّ التوراة وُجدت منذ العهد

الملكي، وجمعت أقسامها أثناء السبي، واكتملت ليُبأشَر العمل بأحكامها بعد العودة.

أمّا عن مبرّر عدد أسفارها الخمسة، فالتقليد الرابيني يقول إنّه تفسير لعبارة "نور" التي تتكرّر خمس مرّات في (تك ١: ٣-٥) :

"قال الله ليكن نور" للدلالة على سفر التكوين الذي نشهد فيه كيف أنّ القدّوس-مبارك-هو خلق العالم. "فكان نور" للدلالة على سفر الخروج حيث يخرج إسرائيل من الظلمة إلى النور. "ورأى الله النور أنّه حسن" للدلالة على سفر اللاويين المليء بالشرائع المتنوّعة. "وفصل الله بين النور والظلمة" للدلالة على سفر العدد حيث نشهد كيف فصل الله بين الذين خرجوا من أرض مصر والذين سيدخلون إلى أرض الميعاد. "ودعا الله النور نهراً" للدلالة على سفر تثنية الاشتراع المليء بأنواع الشرائع" (تك "ربّا، ٣: ٥).

ب - **الأنبياء (נביאים)** : تعود كتبهم إلى أيّام الهيكل الأوّل، وقد أضيف عليها فيما بعد، كتب الأنبياء الذين رافقوا الشعب في عودته من السبي : حجّاي وزكريّا وملاخي؛ ويعتبرهم التقليد اليهودي، آخر الأنبياء الملهمين من روح القداسة. خُتمت مجموعة الكتب النبويّة في نهاية الحقبة الفارسيّة (نحو ٣٣٣ ق.م).

ج - **الكتب (כתובים)** : بدأ الحديث عن أجزاء ثلاثة للبيليا، منذ الحقبة الهلنيّة (٣٣٣-١٤٢ ق.م). لم تكن تسمية هذا القسم قد تحدّدت بعد، فهي تُدعى تارةً "حكمة الأقدمين"، وتارةً "المزامير والكتب الأخرى"، وطوراً "الكتب الأخرى". لم تُختم هذه المجموعة، كما ذكرنا سابقاً، إلّا في نهاية القرن الأوّل للمسيح، إبّان الحقبة الرابينيّة، في مجمع يَبْنَه، نحو سنة ٩٠ م.

القانون الأورشليمي والقانون الإسكندري

يقتصر حديثنا على البيبليا في لغتها الأصليّة العبريّة، وبالتالي على نصّها الأساسي غير المترجم، ويقال له القانون الأورشليمي، لتمييزه عن القانون الإسكندري، أو الترجمة اليونانيّة، للنصّ العبري. والفارق بينهما، بالإضافة إلى اللغة، هو عدد الأسفار؛ فالقانون الأورشليمي يحتوي على ٢٤ سفرًا (أو ٣٩ سفرًا)، بينما القانون الإسكندري يحتوي على ٤٦ سفرًا، أي بزيادة سبعة أسفار، لم يقبل بها الحكماء، لأنها كُتبت أصلاً باليونانيّة، وتسمّى "أسفار خارجيّة" (ספרים חיצונים) لدى اليهود، و"قانونيّة ثانية" لدى الكاثوليك، و"منحولة" لدى البروتستانت؛ كما يختلفان أيضاً، من حيث تقسيم الأسفار وتوزيعها على أربع مجموعات في القانون الإسكندري، مقابل ثلاث في القانون الأورشليمي.

٤ - نصّ البيبليا المسوّري

يتألّف النصّ العبري التقليدي من ثلاثة عناصر : الأحرف، والحركات، والنغمات. كان النصّ المكتوب يتألّف، في مرحلة أولى، من أحرف فقط، دون حركات أو نغمات ظاهرة، إذ أنّ الأحرف أ،ه،وي (אהוי) كانت بمثابة حركات تساعد على القراءة، وتُدعى "أمّهات القراءة" (אִמְהוֹת הַקְרִיָּאָה). أمّا في القرون الوسطى، أي بدءاً من القرن التاسع للميلاد، فظهرت الحركات والنغمات على النصّ المقروء، ليصبح أكثر ضبطاً، وأصبحت الحركات والنغمات، جزءاً لا يتجزّأ، من النصّ المكتوب بالأحرف المربّعة (פְּתִיב מְרִבֵּעַ). وهكذا صار لدينا نصّ متكامل ليوضع في متناول الجميع، ويُدعى النصّ المسوّري (מְסוֹרֶתִי) أي النصّ المقروء بحسب التقليد (מְסוֹרֶת). هذا النصّ هو الوحيد المتداول حتى أيّامنا هذه.

قسّم اليهود نصوص التوراة، في أسفارها الخمسة، إلى ٥٤ قسماً (פְּרָשָׁה)، يتوزعون على عدد سبوت السنة لتُقرأ في المجامع. وتسمّى هذه الفصول بأول

اسم تبدأ فيه، على سبيل المثال : قسم " في البدء " (פְּרִשְׁתַּת בְּרֵאשִׁית)، هو أول أقسام التوراة ويمتدّ من تك ١:١ حتى ٨:٦، وكذلك قسم " نوح "، وهو القسم الثاني (פְּרִשְׁתַּת נֹחַ) يمتدّ من تك ٩:٦ حتى ١١:٣٢... إلخ.

أما التقسيم الحالي للبيليا إلى فصول أو مقاطع (פְּרָקִים)، وإلى آيات (פְּסוּקִים). فيعود إلى القرن الثالث عشر للميلاد، وقد اقتبسه رابي ناتان، عن البيليا المسيحية، سنة ١٤٤٠ م.

نصوص

■ البيليا بحسب التقليد الرابيني

١ - " كمثل عروس لديها أربع وعشرون حلية، فإذا نزعت ولو واحدة منها، تفقد جميعها قيمتها؛ هكذا وَجَبَ على تلميذ الحكماء أن يعتني بالأسفار الأربعة والعشرين، لأنّه إذا أهمل ولو واحداً منها، تفقد جميعها قيمتها " (نش " ربّا، ١١:٤).

٢ - " دَرَجَت عادة أحد الحكماء، أن يردّد أمثولاته أربعاً وعشرين مرّة، قبل أن يدخل أمام معلّمه، تطابقاً مع عدد الأسفار المتضمّنة في التوراة، والأنبياء، والكتب " (تل با، تعن ٨ أ).

٣ - " قال راب يهودا إبن راب شموئيل برشيلات نقلاً عن راب : أراد حكماء أن يضعوا جانباً (לְיָדָם) سفر الجامعة لأنّ كلماته تناقض بعضها بعضاً. ولماذا لم يضعوه جانباً؟ لأنّ بدايته كلمات توراة، ونهايته كلمات توراة. بدايته كلمات توراة، لأنّه مكتوب : " ما الفائدة للإنسان من كل تعب الذي يتعبه تحت الشمس " (جا ٣:١)؛ ومعناه بحسب مدرسة رابي يتّاي، أن لا فائدة للإنسان ممّا تحت الشمس، إنّما ممّا سبق الشمس، أي التوراة (التي كانت أداة الخلق). ونهايته

كلمات تورا، لأنه مكتوب : " فلنسمع ختام الأمر كله. اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله " (جا ١٢: ١٣)؛ وما معنى " هذا هو الإنسان كله "؟ معناه أن العالم بأسره هو بفضل هذا (أي الإنسان الذي يتقي الله ويحفظ وصاياه) (تل با، شبت ٣٠ ب).

٤ - " كانوا يقولون في بادئ الأمر إن (أسفار) الأمثال، ونشيد الأناشيد، والجامعة، وضعت جانباً، لأنها تنطق بالأمثال، وهي ليست في عداد الكتب (التاريخية والحكمية)، لذلك وضعوها جانباً، إلى أن جاء رجال المجمع الكبير وفسروها (بمعنى روحي) " (أبوت " نات ١).

٥ - " جميع الأسفار المقدسة تدنس الأيدي (מַטְמְאִים אֵת הַיָּדִים). يقول الصادوقيون (للفريسيين): لنا عليكم مأخذ، أيها الفريسيون، لأنكم تقولون إن الأسفار المقدسة تدنس الأيدي، بينما أسفار هوميروس فلا. أجابهم رابي يوحنان بن زكاي : أما من مأخذ للصادوقيين على الفريسيين إلا هذا فقط؟ فهم يقولون إن عظام حمار هي طاهرة بينما عظام يوحنان كبير الكهنة فمدنسة! قالوا له : بحسب أهميتها يكون دنسها، إذ لا أحد يجعل من عظام أبيه وأمه ككثيراً. أجابهم : كذلك الأسفار المقدسة هي مدنسة نظراً لأهميتها، بينما أسفار هوميروس لا تدنس الأيدي لأن ليس لها الأهمية عينها " (مشن، ידי ٣: ٤).

٦ - " جلس أحد الحكماء أمام رابي شموئيل بن نحمان قائلًا : لا وجود لأيوب ولم يُخلق، وما هو إلا مثل. قال له : لأجلك كُتب : " كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب " (أي ١: ١) (تل با، با " بت ١٥).

٧ - " كتب موسى سفره، والفصل الذي لبلعام، وأيوب. كتب يشوع سفره والآيات الثماني (الأخيرة) في التورا. كتب صموئيل سفره، والقضاة، وراعوت. وداود كتب سفر المزامير على يد عشرة شيوخ. وكتب إرميا سفره، وسفر الملوك، والمراثي. حزقيال وحوزته كتبوا سفر أشعيا، والأمثال، ونشيد الأناشيد، والجامعة. ورجال المجمع الكبير كتبوا حزقيال و(الأنبياء) الإثني

عشر، ودانيال، وسفر أستير. كتب عزرا سفره ورَّتب (سفر) الأخبار حتى أيامه. كتب داود سفره على يد عشرة شيوخ : على يد آدم الأول، على يد ملكيصادق، على يد إبراهيم، على يد موسى، على يد هيمان، على يد يديتون، على يد آساف، وعلى يد أبناء قورح الثلاثة " (تل با، با "بت ١٤-١٥).

٨ - " قال القدّوس -مبارك- هو: لقد جعلت لكم أربعة وعشرين سفرًا، إحدروا من أن تضيفوا عليها شيئًا. لماذا؟ (لأنّه) " لا نهاية لعمل كتب كثيرة " (جا ١٢:١٢). والذي يقرأ ولو آية واحدة غير موجودة في الكتب الأربعة والعشرين، يكون وكأنّه يقرأ في " الكتب الخارجيّة " (ספרים חצוניתם). إحدروا أن تُكثروا من الكتب، لأنّ من يعمل هذا لا نصيب له في العالم الآتي " (عد "ربّا، ١٤:٤).

٩ - " الذي يقول إنّ التوراة ما جاءت من السماء، لا نصيب له في العالم الآتي " (مشن، سنه ١٠:١).

كان هذا عرضاً سريعاً حول الببليا، في معلومات أولية عن القانون الببلي، من منظار يهودي. شمل هذا العرض مجمل الببليا، وقد ذكرنا نصوصاً من التقليد الرابيني، لتظهر جلياً نظرة الحكماء، في تتبعهم لمسيرة تكوين أسفارهم المقدّسة.

في الفصل التالي، سوف ندخل أكثر فأكثر، في خصوصيات الأدب الرابيني الذي تمحور، كما ذكرنا سابقاً، حول الجزء الأوّل من الببليا، أي خمسة أسفار التوراة، أو بالأحرى " التوراة الكتابيّة " لتمييزها عمّا يُسمّى " التوراة الشفهية ". هاتان التوراتان، كما سنرى لاحقاً، ليستا سوى تورااة واحدة، أو تعليم واحد، أعطي لموسى على جبل سيناء.

الفصل الخامس

التوراة أو التعديم الإلهي

الفصل الخامس

التوراة أو التعليم الإلهي

١ - معنى لفظة توراة

هي لفظة عبرية مشتقة من الجذر العبري "ي ره" (יהר), ومعناه "عَلَّمَ", ومنه "توراة" (תורה), ومعناها "التعليم". وتُدعى أيضاً "الشريعة"^{٣٨}, بتأثير من الترجمة السبعينية اليونانية، التي تترجم "توراة" بعبارة nomos التي تحمل معنى تشريعياً، يحدّد السلوك اليهودي.

٢ - استعمال اللفظة في الإنجيل

يرتبط أحياناً استعمال لفظة "توراة" في أسفار الشريعة الخمسة، بموضوع يحدّد حالة معينة من السلوك الديني، كمثال "تلك هي شريعة (توراة) في حالة الإضافة (תורה ה')" من نذر أن يكون نذيراً" (عد ٦: ٢١)؛ وأحياناً أخرى، تُستعمل في صيغة الجمع، لتدلّ على مجمل التعاليم والوصايا التي أمر الربّ الشعب بحفظها: "فقال الربّ لموسى: "إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعي (توراة في صيغة الجمع תורה)؟" (خر ١٦: ٢٨). وفي سفر تثنية الاشتراع، استعملت في صيغة المفرد المعرّف، للدلالة على مجمل التشريعات الموسوية، وكأنّها في وحدة متكاملة: "هذه هي الشريعة (التوراة

٣٨ - عبارة شائعة في الترجمات العربية فتكون التوراة بمعناها التشريعي وليس التعليمي.

הַתּוֹרָה) التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل " (تث ٤: ٤٤). وقد يأتي استعمال هذه اللفظة، خارج الأسفار الخمسة، مرتبطة باسم الرب، أو باسم موسى، لتمييزها عن سائر الكتب القانونية: "فقام يشوع بن يوصاداق وإخوته الكهنة وزربابل بن شالتييل وإخوته، وبنوا مذبح إله إسرائيل ليصعدوا عليه محرقات، كما كُتب في شريعة موسى (תּוֹרַת מֹשֶׁה)، رجل الله" (عز ٣: ٢). وفي موضع آخر من السفر عينه، قيل: "لأنّ عزرا وجّه قلبه لدرس شريعة الرب (תּוֹרַת יְהוָה) والعمل بها، وليعلّم في إسرائيل الفرائض والأحكام" (عز ٧: ١٠).

٣ - قبول التوراة "من سيناء"

ترتكز الديانة اليهودية على "تعليم" (תּוֹרָה) تقبله موسى من الله، على جبل سيناء، وتناقلته الأجيال ليصبح تقليداً (מִסְפָּרָה) مقدساً وحيوياً، نما مع الأيام، ليصير ساجاً واقياً، لشعب اختير ليحمل إلى البشرية خميرة الخلاص. يقول التقليد الرايبي في هذا الصدد: «تقبل موسى التوراة من سيناء، وسلّمها بدوره إلى يشوع (بن نون)، ويشوع إلى الشيوخ، والشيوخ إلى الأنبياء، والأنبياء بدورهم، سلّموها إلى رجال المجمع الكبير. وهؤلاء قالوا ثلاث عبارات: كونوا متأنين في الحكم، وأقيموا تلاميذ كثيرين، واجعلوا للتوراة ساجاً» (مشن، أبوت ١: ١).

وهذا "التعليم" تقبله موسى تحت شكلين، تعليم مكتوب، وآخر شفهي، كما جاء في هذا المدرّش: «وهب القدّوس -مبارك- هو، إسرائيل توراتين اثنتين، المكتوبة والشفهية. وهبه التوراة المكتوبة وفيها ستمائة وثلاث عشرة وصية، لتكون مبادئ الإسرائيليين بواسطتها كسب الفضائل. وهبه التوراة الشفهية، ليميزه عن سائر الأمم. هذه الأخيرة، لم تكتب لئلا ينسخها الإسماعيليون (المسيحيون) كما فعلوا بالتوراة المكتوبة وادّعوا أنّهم هم شعب إسرائيل» (عد "ربا" ١٤: ١٠).

٤ - «التوراة المكتوبة» (תּוֹרָה שְׂבִיכָה)

قد يُقصد بها مجمل الببليا بحسب القانون الكتابي اليهودي الفلسطيني، وهو يتألف من ثلاثة أقسام: التوراة (תּוֹרָה)، الأنبياء (נְבִיאִים)، الكتب (כְּתוּבִים). والأقسام الثلاثة هذه تحتوي على ٢٤ سفرًا (او ٣٩ سفرًا) قانونيًا. إلا أنّ الدقة في التحديد، تحصر التوراة المكتوبة بأسفار الشريعة الخمسة: التكوين (בְּרֵאשִׁית) الخروج (שְׁמֹת)، اللاويين (וַיִּקְרָא)، العدد (בְּמִדְבָּר)، تثنية الإشتراع (דְּבָרִים).

يعتبر التأريخ اليهودي، أنّ شريعة موسى التي تسلّمها من على جبل سيناء، قد أصبحت مذكّ الحين، دستور الشعب الخارج من مصر إلى أرض الميعاد. فهي التي نظّمت دخوله إلى أرض كنعان مع يشوع بن نون، واستيطانهم فيها بحسب أسباطهم، وعربون وحدتهم، كما رافقت التحوّل الذي طرأ في تاريخ الشعب، إذ انتقل أيام صموئيل النبي من القبلية إلى الملكية، فكانت عمومًا الصراط المستقيم الذي وجب على الملوك السير بموجبه مع كافة الشعب، إلا أنّهم ما كانوا دومًا على العهد ولا على الأمانة، ولكنّ هذا لم يمنع قطّ استمرارية التوراة ونموّها لتصير، أيام السبي وبعده، رمز جماعة إسرائيل وميزتها، تتناقلها الأجيال وتفسّرها حتى أيامنا هذه.

على الرغم من قداستها، عند اليهود، ورفع شأنها، تبقى التوراة المكتوبة، في نظر الرابّانيم، غير كافية بحدّ ذاتها، لأنّها لا تُفهم إلاّ بعد اللجوء إلى تفاسيرها المحفوظة في التوراة الشفهية، منذ أن تقبّلها موسى من جبل سيناء.

٥ - «التوراة الشفهية» (תּוֹרָה שְׁבִעִלִפֶּה)

يُقرّ الرابّانيم إذن، بتوراة شفهيّة، إلى جانب توراة مكتوبة، وقد تُنوّقتُ شفهيًا من جيل إلى جيل، وفيها أبحاث وتفسير الآباء، حول التوراة الكتابيّة، وخاصة أسفار الشريعة الخمسة، التي بدت للحكماء مقتضبة، لذلك سعوا

جاهدين من خلال دراستهم لها، وتعمّقهم بها، إلى تكملة ما نقص، ظاهراً، في نصوصها المكتوبة، وإلى تأوين التعليم وتحديثه (17177)^{٣٩} ليصبح طوعاً للفكر، وسهلاً للممارسة، في الحياة اليومية. ساعد هذا الأمر، التقليد اليهودي، على الاستمرارية، بطريقة حيوية متجددة وناشطة، ليرافق الأجيال والعصور التي تتوالى وتختلف حتى أيامنا هذه.

تعود التوراة الشفهية في أصولها، بحسب التقليد الرابيني، إلى موسى حين تسلّمها مع التوراة الكتابية، من على جبل سيناء. ولكن تاريخياً يمكننا أن نحدّد بدايتها مع التعليم الذي باشره عزرا الكاتب و"الماهر في شريعة موسى التي أعطاه الربّ إله إسرائيل... " (عز ٦:٧)، وقد "وجّه قلبه لدرس شريعة الربّ والعمل بها، وليعلّم في إسرائيل الفرائض والأحكام" (عز ٧: ١٠). ومن بعده مع المجمع الكبير الذي أسّسه من الكتبة أعوانه، إلى أن أخذت حجماً كبيراً في الحياة اليهودية اليومية مع الفريسيين، ومن ثمّ مع خلفائهم الرّبّانيين بعد الحرب اليهودية - الرومانية (٦٦-٧٣ م).

٦ - أقسام التوراة الشفهية

أهم أقسام التوراة الشفهية هي: المشناه، التوسّفتا، التلمود الفلسطيني، التلمود البابلي والمدراسيم والتراجيم... يضاف إليها بعض الكتابات التعليمية المتعلقة بهذه أو بتلك من المدارس الرابينية في كل من فلسطين وبابل، في بلاد ما بين النهرين.

جمّعت هذه التعاليم الشفهية وحُفظت، ومن ثمّ دوّنت، خوفاً عليها من الاندثار والنسيان، في ظروف صعبة مليئة بالحروب والثورات المتتالية، والتي

٣٩ - تفسير التوراة الكتابية على ضوء معطيات جديدة، بإيجاد قوانين وفتاوى جديدة، تتلاءم والظرف الجديد. أسلوب اعتمده الكتبة والفريسيون، ومن بعدهم الرّبّانيين، منذ العودة من سبي بابل سنة ٥٣٩ ق. م. إلى اورشليم واليهودية. أصبح "التحديث" قاعدة أساسية في تطوّر التوراة الشفهية، بالاستناد إلى التوراة المكتوبة.

قام بها اليهود ضد المحتل الروماني، في أيام الإمبراطور فسباسيانوس، وابنه تيطوس، بين سنتي ٦٦-٧٣ م.، ومن ثم سنة ١٣٢ حتى ١٣٥ م.، أيام الامبراطور أدريانوس، مع ثورة بن كوزيبا.

وعلى الرغم من تدوينها، في مجموعات مختلفة، ظلّت هذه التعاليم محافظة على خصائص التقليد الشفهي المتجدّد دائماً والمتحرّر من الجمود الفكري، الذي يحفظ كلام الله في خانة الماضي.

٧ - إنقسام حول مبدأ التوراة الشفهية

لم يكن مبدأ القبول بالتوراة الشفهية محسوماً بين فئات الشعب اليهودي : فالصادوقيون، ومنهم الكهنة، اقتصرت إهتماماتهم الدينية، على تنظيم وتطبيق الممارسات المتعلقة بالخدمة في الهيكل، كتنظيم الأعياد وتقديم الذبائح، طبقاً لحرفية ما ورد في الشريعة المكتوبة. أمّا الفرّيسيون، فكانت ممارستهم الدينية أكثر ارتباطاً بالمجمع حيث يركز محور العبادة، على درس التوراة وشرحها، فقدموا للشعب العديد من الممارسات الموروثة عن آبائهم (מִצְוֹת דִּבְרֵינִי)، رفضها الصادوقيون لأنّها ليست مدوّنة في توراة موسى، وباعتبار أنّها ليست من لدن الله (מִצְוֹת מִן הַשָּׁמַיִם)، فكان الخلاف والصراع في ما بينهم.

حتّى هذا الصراع، حول التوراة الشفهية ومصادقيّتها، أنصارها أمثال التّنאים (תַּנָּיִים)، والأمورائيم (אֲמורַיִים)، والسبورائيم (סְבוּרַאִים)، والجوّنيم (גִּיטָּיִים) إلى الانكباب الحثيث على دراسة التوراة والأنبياء وسائر الكتب، درساً وافياً، وفق أساليب بحثية ونقدية متعدّدة، وذلك من أجل الدفاع عن سلطة التوراة الشفهية، وعن ارتباطها الوثيق بالتوراة المكتوبة، وعن وحدة أصلهما. وهاك نصّ من التلمود يظهر لنا موقفاً يدافع عن التوراة الشفهية انطلاقاً من التوراة المكتوبة: «قال رابي لاوي بن حاما ورابي شمعوّن بن لقيش: ماذا يمكن

أن تعني هذه الآية: «وأعطيك لوحَي الحجارَة وعليهما الشريعة والوصايا التي كتبتَها لتعليمهم»؟: "اللوحين" هما الوصايا العشر، و"التوراة" هي كتب الشريعة (الخمسة)، و"الوصايا" هي المشناه، "التي كتبتَها" هي الكتب والأنبياء، "لتعليمهم" هو التلمود. وهذا يعلمنا أنَّها أُعطيت كُلَّها لموسى دفعة واحدة في سيناء (عد" ربا ١٤: ١٠).

جاءت الظروف التاريخية لتحسم هذا الخلاف لصالح الفريسيين. فبعد دمار الهيكل الثاني سنة ٧٠ م، اضمحلَّ دور الكهنة الصادوقيين وتأثيرهم بين الشعب، بينما قوي التيار الفريسي، الحامل مشعال التوراة الشفهية، ليستمرَّ حتى أيامنا هذه، انطلاقاً من مدرسة يَبْنِه التي أسَّسها يوحَنان بن زَكَّاي، وأسَّس فيها كذلك مجمع رابيني. في هذه المدرسة الرابينية، ومع هذا المجمع الرابيني، بدأت عملية جمع وتدوين الشروحات والتفاسير والتعاليم المتناقلة على ألسنة الحكماء والحفاظ. كانت باكورة هذا النشاط، المشناه التي تمَّ جمعها نهائياً، حوالي سنة ٢٠٠ م، على يد رابي يهودا هالنَّاسي (אמוראי)، رئيس الجماعة اليهودية الفلسطينية آنذاك.

٨ - دراسة التوراة الكتابية والشفهية عبر التاريخ اليهودي

بعد تفصيل مفهوم التوراة في التقليد الرابيني، بين توراة مكتوبة وأخرى شفهية، لا بدَّ من التأكيد على وحدتهما، وعلى ضرورة الأخذ بهما معاً، وعدم التمييز بينهما، وخاصة عند دراستهما. فالحديث عن التوراة، من الآن وصاعداً، يعني الحديث عن التوراة المكتوبة والشفهية معاً.

بعد دمار الهيكل الثاني سنة ٧٠ م، أصبحت التوراة المحور الأساسي للديانة اليهودية. فمن بين الكتب القانونية، تمَّ اعتبار أسفار الشريعة الخمسة، أكثر من

الأسفار الأخرى، لأنها في نظر الربّانيم أخذت مباشرة من فم القدرة الإلهية (מִפִּי הַיְיָהוָה)، في سيناء، وأنّ قوّة الوحي والكشف الإلهيين فيها، أسطع وأبهى، بينما سائر الكتب، النبويّة والتاريخيّة والحكميّة، فقد أخذت بالواسطة^{٤٠}.

بعد ضبط المشناه وشرحها في التلمودين الفلسطيني والبابلي، وبعد اكتمالهما بين القرنين الخامس والسادس، أخذت الدراسة تنصبّ، أكثر فأكثر، عليهما ويُنظر إلى الببليا من خلالهما، ممّا حدا بالقرّائين، في القرن العاشر، إلى رفض التقليد الشفهي، وخاصة التلمود وأحكامه، للحفاظ على أفضليّة التوراة الكتابيّة، التي هي وحدها الموحى بها. ردّة فعل القرّائين هذه، دفعت بالربّانيم إلى تكثيف دراستهم للتوراة في نصّها المكتوب، للتعمّق في معاني أحكامها، وللتأكيد على وحدة التوراتين، وترابطهما الوثيق؛ فعلى سبيل المثال، نجد رابي شلومو بن يتصحق (١٠٤٠-١١٠٥ م.)، المعروف بـ "راشي"^{٤١}، يفسّر التوراة الكتابيّة، انطلاقاً من التقليد المتوارث، كالتلمود وغيره من العناصر الأساسيّة للتوراة الشفهية، ليصبح تفسيره جزءاً لا يتجزأ من التوراة الشفهية. يتبيّن لنا هنا أنّ الربّانيم لا يميّزون إطلاقاً بين التوراتين ولا يرضون بتفضيل الواحدة على الأخرى.

ولكن عادت مسألة الأوليّة بين التوراة المكتوبة والتوراة الشفهية، لتُطرح ثانية في عصر الأنوار (القرن الثامن عشر)، وبقوّة. وكان رائد المتنوّرين من اليهود موسى مندلسون، (١٧٢٩-١٧٨٦ م.) وهو ألماني متنوّر تلقّن دروساً فلسفيّة في جامعة برلين. سعى هذا الأخير إلى دمج الديانة اليهوديّة، بعد تحديثها، بالمجتمع الألماني والأوروبي المتنوّر.

٤٠ - قانون الإيمان اليهودي بحسب رابي موسى بن ميمون، المقال الثامن "في كشف التوراة إلى موسى".

Maimonide M., Epitres, traduit de l'hebreu par Jean de Hulster, Gallimard, 1983, p. 190-192.

٤١ - وهو اختصار لقبه واسمه : را = رابي، ش = شلومو، ي = يتصحق (إسحق).

ومن أجل تحقيق أهدافه الفكرية، عمل على ترجمة الببيليا إلى الألمانية، لتكون في متناول يد كل يهودي ويهودية دون استثناء، لأن اللغة العبرية باتت لغة الصفوة الفكرية الرأبينية دون سواها. فكانت حركته الفكرية هذه، الدافع الأساسي لنشوء يهودية إصلاحية، أرادها أتباعها متلائمة وعصر الأنوار. ابتعدت هذه اليهودية المتجددة مسافة غير قليلة عن اليهودية التقليدية عندما رفضت العمل بمعظم أحكام التوراة بشكلها، لأنها تتعارض مع الحالة الراهنة التي يعيشها معظم يهود أوروبا. وبالمقابل، ركزت اليهودية الإصلاحية أكثر على الأسفار النبوية، لما تحمل من قيم يحتاجها المجتمع المتنور، كالعدالة والمساواة، وغيرها... ولكن بقيت بعض الأوساط اليهودية المتشددة، ويقال لها أورثوذكسية، حتى أيامنا هذه، تركّز في دراستها اليومية على التلمود البابلي والفلسطيني، ومن خلالهما، على الببيليا، محافظة في ذلك على وحدة التعليم في وحدة التوراة، ووحدة التقليد المقدس كما تقبله موسى من سيناء.

٩ - منزلة التوراة بحسب التقليد اليهودي

تحتلّ التوراة المركز الأساسي في الحياة اليهودية؛ فهي محور الممارسات الدينية والاجتماعية ومصدرها، لذا لا يتوانى الرأبين عن مدحها وتبيان قيمتها، في حياة كلّ يهودي، في هذا العالم وفي العالم الآتي، وهذا بعض ممّا يقولونه فيها : «عظيمة هي التوراة، فهي تهب الحياة لمن يمارسها في هذا العالم، وفي العالم الآتي» (مشن، أبوت ٦: ٧).

ليست التوراة مجرد مجموعة قوانين وتعاليم، يتقيّد بها اليهودي التقى وحسب، بل هي أيضاً، على ما قاله فيها رابي شمعوون الصديق، ركن من ثلاثة يرتكز عليها العالم: «إنّ العالم يقوم على أمور ثلاثة: على التوراة، وعلى العبادة، وعلى العطاء» (مشن، أبوت ١: ٢). ويعتبر رابي عقيبا أنّ الله خلق العالم بالتوراة

وأهداها، كعربون حبٍّ لإسرائيل: «محبوبٌ إسرائيل لأنه وهبَ آنية نفيسة، مَحَبَّة أكبر كُشِفَتْ له، أَنَّهُ وَهَبَ آنية نفيسة بها خُلِقَ العالم...» (مشن، أبوت ١٤:٣).
والتوراة هي أوَّلُ الأمور الخمسة التي جعلها الله مقتنىً له: كالسما، والأرض، وإبراهيم، وإسرائيل، وبيت المقدس: «التوراة! من أين نعرف ذلك؟ إِنَّهُ مكتوب: «الربّ خلقني أولى طرقه، قبل أعماله منذ البدء (أم ٢٢:٨)» (مشن، أبوت ١٠:٦). ومن بين ركائز الديانة اليهودية، للتوراة المرتبة الأولى والفضل الأوَّل، فهي أعظم من الكهنوت والملك (مشن، أبوت ٥:٦)؛ طابعها كوني شامل، وأسرارها لا تُدرَك، والعمر لا يكفي لدراستها وسبر أغوارها، لذا يقول ابن بَجِجُ فيها: «إقلبها ثم اقلبها، لأنَّ كل شيء فيها، فنَدَّها فتشيب وتشيب في دراستها» (مشن، أبوت ٢٢:٥).

أمام هذه الحقائق السامية التي في التوراة، يقف الإنسان اليهودي وقفة احترام ومهابة وإكرام لأنَّ: «كُلٌّ من يُكْرِمُ التوراة تُكْرِمُ البرايا جسده، ومن احتقرها احتقرت البرايا جسده» (مشن، أبوت ٦:٤). ويضيف رابي يَهُوشوع بن لاوي في هذا الصدد، قائلاً: «في كل يوم يطلع صوت من جبل حوريب فيكرز قائلاً: الويل للبرايا من إهانة التوراة، لأنَّ كل من لا ينشغل بها يُزدرى» (مشن، أبوت ٢:٦). ومن ينشغل بها فهو إنسان حرٌّ (مشن، أبوت ٢:٦) و«الذي يرضى بنير التوراة يتحرَّر من نير الحاكم ونير هموم العالم. أمَّا الذي يرفض نير التوراة فيستحوذه نير الحاكم ونير هموم العالم» (مشن، أبوت ٥:٣).

١٠ - دراسة التوراة وصية دينية أساسية

«لكن انتبهوا، وانتبهوا جيِّداً لئلا تنسوا الأمور التي رأتها عيونكم، لا تدعوها تزول من قلوبكم كل أيام حياتكم، بل علِّموها لبنيكم وبني بانيكم» (تث ٩:٤).

في هذه الآية تنبيه من موسى لبني إسرائيل بعدما علَّمهم سنن الربِّ وأحكامه (تث ١:٤). ينبِّههم ألا ينسوها وأن يعلموها لأبنائهم لأنَّ لهم فيها،

ولأبنائهم، حياة. هذه الآية (تث ٩: ٤) هي في أساس الوصية رقم ٤١٨ من مجموعة الوصايا، التي يبلغ عددها ٦١٣ وصية. وعنوان هذه الوصية هو «وصية دراسة التوراة»، وهي تقوم على إلزامية دراسة التوراة وتعليمها للآخرين، في سبيل معرفة كيفية ممارسة ما تأمر به، وتجنب ما تُنهي عنه. فهِمَ الحكماء هذه الوصية وترجموها عملياً بإقامة المدارس واستقبال التلاميذ، وقد أصبحوا بالنسبة إليهم بمنزلة الآباء الروحيين، يتلقنون على أيديهم التوراة ويؤمنون استمراريتها، فلا تُنتسى إلى الأبد.

وفي موضع آخر جاء على لسان الربّ قائلاً ليشوع بن نون، الذي أخذ التقليد عن موسى : «لا يغبُ كتاب هذه التوراة عن فكرك، بل تأمل فيه نهراً وليلاً لتحفظه وتعمل بكل ما هو مكتوب فيه، فتستقيم حياتك وتنجح» (يش ١: ٨).

هذه وصية أخرى، شبيهة بالأولى، أوصى بها الله يشوع بن نون. رأى فيها الحكماء وصية لكل شعب إسرائيل، وفي كل زمان ومكان، ممّا جعل الانشغال بالتوراة يحتلّ مركزاً أساسياً في الحياة اليهودية. وتقع الدراسة اليومية في قمة هذا الانشغال إذ، كما يقول رابي هيلل : «(إنّ) الذي لا يتعلّم (التوراة) جزأه الموت» (مشن، أبوت ١: ١٣)؛ ورابي مئير يحرّض تلاميذه على الانشغال بها قائلاً : «خَفَّفْ من الاهتمامات وانشغل بالتوراة... إذا أهملت التوراة تعترضك أمور باطلة عديدة، أمّا إذا اجتهدتَ فيها فإنّ عنده أجرٌ كبيراً يهبه لك» (مشن، أبوت ٤: ١٠)، ويضيف في موضع آخر : «كلّ من يانشغل بالتوراة لأجل التوراة يحظى بأمور كثيرة. ليس هذا فحسب، بل العالم كلّه يصبح لائقاً به، ويُدعى صديقاً ومحبوباً، ويحبّ المقام (الله) والبرايا ويفرّحهما...» (مشن، أبوت ٦: ١). وكذلك «إذا جلس اثنان ولم يتحدثا بالتوراة يكون مجلسهما مجلس ماكرين، لأنّه مكتوب: «ولا يجلس في مجلس الماكرين» (مز ١: ١). أمّا إذا جلس اثنان وحديثهما في التوراة فالسكّنى تكون بينهما...» (مشن، أبوت ٣: ٢).

والمواظبة على الدراسة هي شرط أساسي يحرّض عليها رابي شَمّاي قائلاً :

"واظب على دراسة التوراة... (مشن، أبوت ١: ١٥)؛ كما يرى رابي يوحنا بن زكاي أن الإنسان خلق من أجل التوراة، فلا فضل له إن وازب على دراستها : «لا تفخر بنفسك إن أنت أكثر من دراسة التوراة، لأنك لهذا خلقت» (مشن، أبوت ٨: ٢).

ودراسة التوراة هي مسؤولية شخصية تقوم على الجهد الشخصي لكل فرد. فهي لا تنتقل بالوراثة بل بالتلمذ على يد معلم متمرّس كما يقول رابي يهوشوع بن فرحيا : "إجعل لنفسك معلماً... (مشن، أبوت ١: ٦) وتفسيره : لكي تدرس على يده التوراة، فلا تتكل على مجهودك الشخصي، فتقع في أخطاء كثيرة، تُبعدك عن الحقيقة. وفي موضع آخر، يقول رابي يوسي : "كن دوماً مجتهداً لدراسة التوراة، لأنها لا تُعطاك بالميراث" (مشن، أبوت ٢: ١٢)، بل بالكد والجهد وبذل الذات، «تلك هي طريق التوراة: تأكل خبزاً مالحاً، وتشرب ماءً بمقدار، وتنام على الأرض، وتشظف بعيشك، وأنت منكب على دراستها» (مشن، أبوت ٦: ٤). ويقول رابي نهوراي: "إذهب إلى حيث التوراة ولا تقل إنها ستلحق بك، وإن زملاءك يضعونها بين يديك» (مشن، أبوت ٤: ١٤).

إلى جانب المواظبة والاجتهاد، تتطلب دراسة التوراة، على حد قول رابي إلغاز بن عزريا، استعدادات أدبية وخلقية من قبل التلميذ حتى ترسخ فيه بفعل الدراسة : «من دون دراسة التوراة لا سلوك حسن، ومن دون السلوك الحسن لا توراة» (مشن، أبوت ٣: ١٧).

ويعتبر رابي يوناتان أنه على دراسة التوراة أن تتخطى الواقع الاجتماعي والمادي للتلميذ إذ «من يحفظ التوراة في فقره ينتهي إلى حفظها في غناه. ومن يهمل التوراة في غناه ينتهي إلى إهمالها في فقره» (مشن، أبوت ٤: ٩). ويضيف ، ربان جمليل بن رابي يهودا هالناسي، أن دراسة التوراة، لا تتناقض وواقع الحياة ومتطلباتها اليومية (٢٦٦ ٢٦٨)، قال: «جيدة هي دراسة التوراة إذا ما

رافقتها مهنة» (مشن، أبوت ٢:٢) ضرورة لاستمرارية الحياة، وهذا ما حدا برابي إلغاز بن عزريا إلى القول : «من دون طحين لا تورا، ومن دون التورا لا طحين» (مشن، أبوت ٣:١٧).

كما كل ممارسة للوصايا اليومية، تبدأ دراسة التورا يومياً بصلاة " بركة التورا " (בְּרַכַּת הַתּוֹרָה)، وهي مدرجة ضمن صلاة الصباح اليومية. وهذه البركة هي تهيئة للدراسة، جاء فيها : " مبارك أنت أيها الرب إلهنا، ملك العالم، الذي قدسنا بوصايا، وأوصانا بالانشغال بكلمات التورا "٤٢.

تطاول إلزامية الدراسة الذكور دون الإناث، إذ على الذكور أن يبدؤوا بمزاولة الدراسة في بيت الدراسة بدءاً من عمر خمس سنوات كما جاء في فصول الآباء على لسان رابي شمعون الصغير : "ابن الخامسة لدراسة البيبليا. وابن العاشرة المشناه، وابن الثالثة عشر الوصايا، وابن الخامسة عشر التلمود... " (مشن، أبوت ٥:٢١).

١١ - الدراسة في سبيل الممارسة

يقول شمعون بن جمليل: «وليس البحث هو الأساس إنما الممارسة» (مشن، أبوت ١:١٧). وما الهدف من الدراسة إلا المعرفة؛ وما المعرفة إلا من أجل التطبيق العملي للتورا وممارستها، وهذا هو الأساس والغاية الأخيرة. عملاً بهذا المبدأ يوصي رابي يهودا هالناسي كل تلميذ من تلاميذه قائلاً له: «كن حريصاً على وصية صغيرة كما على كبيرة» (مشن، أبوت ١:٢). ويشدد رابي بن عزري أيضاً على أهمية ممارسة الوصايا، سهلة كانت أم صعبة، لأن في ذلك جزاء لمن يمارسها : «أسرع إلى حفظ الوصية السهلة كما الصعبة وابتعد عن المخالفة، لأن لوصية تجر الوصية، والمخالفة تجر المخالفة» (مشن، أبوت ٤:٢). وكذلك رابي إلغاز بن يعقوب يصر على الممارسة لأن فيها للمرء تعزية، بينما الإهمال

والمخالفة يوصلان بالمرء إلى الدينونة : «مَنْ حفظ وصيّة واحدة اقتنى لنفسه محامياً براقليطاً. وَمَنْ خالف ولو وصيّة واحدة اقتنى لنفسه محامياً اتّهامٍ» (مشن، أبوت ٤: ١١).

بعد هذا العرض للتوراة الثنائيّة الشكل : المكتوبة والشفهيّة، والتأكيد على أحاديّة التعليم الإلهي الذي أعطي لموسى على جبل سيناء، سنباشر إبتداءً من الفصل التالي، بعرض عناصر التوراة الشفهيّة؛ وباكورة هذه العناصر، هي المشناه، التي دوّنها ونسّقها رابي يهودا هالنّاسي نحو سنة ٢٠٠ م.

الفصل السادس

المحذنه

الفصل السادس

المشناه

١ - معنى لفظة «مشناه» وأبعادها

لغويًا، هي لفظة عبرية مشتقة من الجذر الثلاثي «ش ن ه» (שנה) الذي يعني بالعربية، ثنى وكرّر وردّد، أو علّم وتعلّم أمور التوراة الشفهية. ويراد بلفظة «مشناه» (משנה)، التعليم الشفهي، وهي تقابل لفظة «مقرا» (מקרא)، والتي يُقصد بها التوراة الكتابية التي تُقرأ علانية، في المجمع. وتُدعى أيضًا، بالآرامية "مَنْتِنَا" (מנתינא)، من الجذر الآرامي "ت ن ا" (תנא)، وله معنى الجذر العبري نفسه.

والمشناه، عمليًا، هي مجموعة الفتاوى والشرائع الدينية اليهودية الشفهية، المتناقلة منذ فترة الهيكل الثاني (٥٣٨ ق.م - ٧٠ ب.م.)، حتى أوائل القرن الثالث للميلاد، حيث تمّ ضبطها وتنسيقها، على يد رابي يهودا هالنّاسي، وقد كان هدفه من عمله هذا، أن يُقدّم إلى العلماء والمعلّمين والقضاة دليلًا إلى الشرائع اليهودية. لا شكّ في أن خلفيّة هذا الهدف، هي أيضًا الخوف من اندثار التعاليم والتقاليد، التي تتناقلها المدارس الرابينيّة، وقد كانت هذه الأخيرة، تحتفظ في خزائنها، ببعض من التعليم الشفهي المدوّن بخفر لحفظه. هذا يعني، أنّ اتجاهات عديدة، تمثّل مدارس مختلفة، هي محفوظة في المشناه، تحت شكل محاورات، بين مختلف الرّبّانيم (نحو ١٥٠ رابي) المذكورة أسماءهم في طيّاتها. تحتوي المشناه في مجملها، على أحكام سلوكيّة تُدعى الهكّاه (הלכה)، أي

أحكام العبادة، والقضاء، والمبادئ الأخلاقية والدينية... بالإضافة إلى بعض الأمثال والحكم والقصص الديني، ويُقال لها الأجداه (אֲגָדָה).

أصبحت المشناه، بعد جمعها وتنسيقها، الشغل الشاغل للأُمُورائيم حتى باتوا يدعونها " مشناتنا " (מִשְׁנַתָּנוּ بالعبرية أو מִשְׁנַתֵּינוּ بالأرامية) لتمييزها عن مجموعات مشنّية أخرى، خاصة ببعض المدارس، والتي لم تُعتمد في المشناه القانونية، وتُدعى " برّيتنا " (בְּרִיתָא) أي البرّانية أو الخارجية.

٢ - لغة المشناه

كُتبت المشناه بلغة عبرية واضحة وسلسة، تتميز بمفردات قضائية وسلوكية (طالما أنّ محتواها بمجمله هو سلوكي وقضائي). تختلف عبرية المشناه، عن عبرية التوراة الكتابية أو البيبلي، في الأسلوب والمفردات، وأحياناً كثيرة في النحو، وذلك بتأثير من اللغة الآرامية المحلية، بلهجتها الفلسطينية.

والعبرية المشنّية هي، بحسب علماء اللغة، مرحلة هامة من مراحل تطوّر اللغة العبرية على مرّ الزمن : منذ النصوص القديمة في البيبليا التي تحمل، في لغتها، آثاراً قديمة، للغة عبرية قديمة (نشيد موسى في سفر الخروج ١٥؛ ونشيد ديبورا القاضية في سفر القضاة ٥...)، مروراً بمرحلة ما بعد السبي، حيث نجد تأثيراً مباشراً، لا بل غلبة للعنصر الآرامي (في سفرَي دانيال وعزرا)، إلى أن أصبحت الآرامية اللغة المحكية بين أفراد الشعب، وقد تُرجمت البيبليا العبرية، في المجمع، إلى الآرامية، لأنّ العبرية كانت قد أصبحت لغة النخبة المثقفة، في المجتمع اليهودي، إلى أن ظهرت لغة المشناه، لتؤكد على أنّ العبرية لم تمت تماماً، بل اندمجت مع الآرامية، لتعطي لغة متميّزة، اعتمدت في إعادة بناء اللغة العبرية الحديثة، على يد إليعزّر بن يهودا، في أوائل القرن العشرين، إثر الهجرة إلى أرض فلسطين، وقد فرضت نفسها كلغة رسمية منذ سنة ١٩٤٨، سنة قيام دولة إسرائيل.

٣ - تكوين المِشْنَاه

المِشْنَاه هي نتاج أحد عشر جيلاً من الحكماء اليهود (٥٣٨ ق.م. - ٢٠٠ م.): كالسوفريم (סופרים) أي الكتبة، والتنايم (תנאים) أي المعلمين. تقليد يهودي قوي يؤكد أن يهودا هالناسي (١٣٨-٢١٧ م.) هو الذي، نحو سنة ٢٠٠ م.، جمع هذا التراث الشفهي ودوّنه، ودعا المِشْنَاه.

في عمله هذا استند إلى بعض التقاليد التي دُوّنت وجمعت من قبله في بعض المدارس الرابينيّة. نتبين منها أربعة:

١- تعاليم رابي يوحنان بن زكّاي (القرن الأوّل للميلاد) وتلاميذه وكان جمعها ونسّقها رابي جمليل.

ب- تعاليم رابي جمليل (القرن الأوّل للميلاد) ودونها رابي عقيبا.

ج- تعاليم تلامذة رابي جمليل، جمعها ونسّقها رابي شيمعون بن جمليل (نهاية القرن الأوّل وبداية القرن الثاني للميلاد).

د- تعاليم تلامذة رابي عقيبا وأشهرهم رابي مئير (القرن الثاني للميلاد). هذه التقاليد الأربعة جمعها رابي يهودا هالناسي ورتّبها، في ديوان واحد، مبوّب في ٦ أنظمة (סידורים) أو ٦٣ مقالاً، مقسّمة بدورها إلى فصول، وبالتالي إلى مقاطع؛ وفي ما يلي ترتيب لهذه الأنظمة مع مقالاتها.

٤ - أنظمة المِشْنَاه ومقالاتها

سنسرد هنا الأنظمة والمقالات التي تتألف منها المِشْنَاه بحسب الترتيب الرسمي الذي تعتمد الطبعات، إن كان بالعبريّة، أو بأي لغة أجنبيّة أخرى. كما إننا نضيف لمحة وجيزة عن فحوى كل مقال منها.

النظام الأول

זרעים וברכות (بذور) وهو يتألف من أحد عشر مقالاً

(١) בְּרָכוֹת בְּרָכוֹת (بركات): وهو في تسعة فصول. يعالج مسألة الصلوات اليومية كصلاة "إسمع يا إسرائيل..." (تث ٦: ٤-٩؛ ٨: ١٠؛ ١١/١٣؛ ١١/١٨-٢٠) وصلاة البركات الثماني عشرة...

(٢) פאה פאה (زاوية): وهو في ثمانية فصول. يعالج مسألة زاوية الحقل المتروكة دون حصاد للفقراء (لا ١٩: ٩-١٠؛ ٢٣: ٢٢؛ تث ٢٤: ١٩-٢٢).

(٣) דמאי דמאי (الثمار المشكوك بأمريها): وهو في سبعة فصول. يعالج مسألة الثمار التي لم يُرفع عشرها للكهنة بطريقة أكيدة.

(٤) כללים כללים (أشياء غير متجانسة): وهو في تسعة فصول. يعالج أمر المزج بين أشياء متنوّعة من النباتات أو الحيوان أو الأقمشة (لا ١٩: ١٩؛ تث ٢٢: ٩-١١).

(٥) שביעית שביעית (السنة السابعة): وهو في عشرة فصول. يعالج مسألة إراحة الأرض وإلغاء الديون وعق العبيد في السنة السابعة (خر ١١: ٢٣؛ لا ٢٥: ١-٧).

(٦) תרומות תרומות (هبات): وهو في فصل واحد. يعالج أمر الهبات للكهنة في الهيكل بحسب ما ورد في الشريعة (عد ١٨: ٨؛ ١١: ١٢؛ ١٨: ٢٥-٣٢؛ تث ١٢: ١٦؛ ١٨: ٤؛ لا ٢٢: ١٠-١٤).

(٧) מעשרות מעשרות (عشور): وهو في خمسة فصول. يعالج مسألة العشر الأول المخصّص بحسب الشريعة للأويين (عد ١٨: ٢١-٢٤).

(٨) מעשר שני מעשר שני (العشر الثاني): وهو في خمسة فصول. يعالج

ما جاء في كتاب الشريعة حول العشر الثاني المأمور به في (تث ١٤: ٢٢-٢٧؛ ٢٦: ١٢-١٥؛ أحم ٢٧: ٣٠-٣١؛ ١٩: ٢٣-٢٥).

(٩) **חֶלֶה** (خبز الرفيعة): وهو في أربعة فصول. يعالج ما ورد في (عد ١٥: ١٧-٢١) من رفع خبز للكهنة في الهيكل.

(١٠) **עֹרְלֵה** (ثمار الأشجار): وهو في ثلاثة فصول. يعالج ما ورد في (أحم ١٩: ٢٣): «وإذا دخلتم أرض كنعان وغرستم أي شجر يؤكل فليكن أكله محرماً عليكم ثلاث سنين، تقطعون فيها ثمره كما لو كنتم تختنونونه».

(١١) **בִּיגְוִרִים** (بواكير): وهو في ثلاثة فصول. يعالج مواعيد قطف البواكير وتقدمتها إلى الهيكل (خر ١٩: ٢٣؛ ٢٦: ٣٤؛ عد ١٨: ١٣؛ تث ٢٦: ١-١١).

النظام الثاني

מוֹעֵד זֵמַנִּי (عيد) وهو يتألف من اثني عشر مقالاً

(١) **שִׁבְתֵּי זֵמַנִּי** (سبت): وهو في أربعة وعشرين فصلاً. يعالج كل ما يتعلق بأمور يوم السبت وحفظه (تك ٢: ١-٣؛ خر ١٦: ٢٢-٢٦؛ ١٦: ٢٩-٣٠؛ ٢٠: ٨-١١؛ ٢٣: ١٢؛ ٣١: ١٢-١٧؛ ٣٤: ٢١؛ ٣٥: ٢-٣؛ لا ١٩: ٣؛ ٢٣: ٣؛ عد ١٥: ٣٢-٣٦؛ تث ٥: ١٢-١٥).

(٢) **עֲרֻבֵין זֵמַנִּי** (دمج): وهو في عشرة فصول. يعالج مسألة دمج بعض الأحكام في سبيل اجتهاد جديد أكثر سهولة.

(٣) **פְּסָחִים** (فصح): وهو في عشرة فصول. يعالج كيفية الاحتفال

بعيد الفصح (خر ١٢: ٢٨؛ ١٣: ١٠-٣؛ ٢٣: ١٥؛ ٣٤: ١٨؛ لا ٢٣: ٥-٨؛ عد ٩: ١٤؛ ٢٨: ١٦-٢٥؛ تث ١٦: ٨).

(٤) **שְׁלִימִים** (شواقل): وهو في ثمانية فصول. يعالج مسألة الضريبة السنوية لصالح خزينة الهيكل والمفروضة على كل يهودي (خر ١١: ٣٠-١٨؛ مل ٢: ١٢-٥: ١٧).

(٥) **יוֹמָא דְּמַזְמָר** (اليوم): وهو في خمسة فصول. يعالج احتفالات يوم الغفران في الهيكل (لا ١٦: ٤-٣٤؛ ٢٣: ٣٢؛ عد ٢٩: ٧-١١؛ خر ٣٠: ١٠).

(٦) **סוּגָה** (مظلة): وهو في خمسة فصول. يعالج كيفية الاحتفال بعيد المظال (لا ٢٣: ٣٣-٣٤؛ عد ٢٩: ١٢-٢٨؛ خر ٢٣: ١٦؛ تث ١٦: ١٣-١٥).

(٧) **בִּיטָה בִּיטָה** (بيضة) أو **יוֹם טוֹב** (يوم حسن): وهو في خمسة فصول. يعالج تنظيم الأعياد والفوارق التي بينها وبين يوم السبت.

(٨) **רוּשׁ הַשָּׁנָה** (رأس السنة): وهو في أربعة فصول. يعالج كيفية الاحتفال برأس السنة اليهودية (خر ١٢: ١-٢؛ ٢٣: ١٩؛ تث ٣١: ١٠؛ لا ٢٣: ١-٢؛ ٢٣: ٢٣-٢٥).

(٩) **תַּעֲנִית** (صوم): وهو في أربعة فصول. يعالج أمور الصوم في غير يوم الغفران (عد ١٠: ٩).

(١٠) **מִגִּילָה** (الدرج): وهو في أربعة فصول. يعالج موضوع قراءة سفر أستير في عيد الفوريم أو المساخر...

(١١) **מוֹעֵד קָטָן** (عيد صغير): وهو في ثلاثة فصول. يعالج مسألة الأعياد الصغرى التي تأتي قبل عيدي الفصح والمظال وبعدهما.

(١٢) **חֲגִיגָה** (إحتفال): وهو في ثلاثة فصول. يعالج تنظيم أعياد الحج الثلاثة: الفصح، العنصرة والمظال (خر ٢٣: ١٤-١٨؛ ٢٣: ٣٤-٢٤؛ تث ١٦: ١٤-١٦).

النظام الثالث

نَشِيم בְּנָיִם (نساء) وهو يتألف من سبعة مقالات

- (١) בִּימּוּת בְּמִזָּם (زوجة الأخ): وهو في ستة عشر فصلاً. يعالج مسألة الزوج المتوفى دون عَقِب (تث ٢٥: ٥-١٠؛ تك ٣٨: ٨؛ را ٤) والزيجات الممنوعة.
- (٢) כְּתוּבוֹת בְּתוּבוֹת (عقود زواج): وهو في ثلاثة عشر فصلاً. يعالج تشريع عقود الزواج (خر ١٦: ٢٢-١٧؛ تث ٢٢: ١٣-٢١؛ ٢٢: ٢٨-٢٩).
- (٣) נְדָרִים בְּבָרִים (نذور): وهو في إثني عشر فصلاً. يعالج مسألة النذور وإلغاءها (عد ٣٠: ٢-١٧).
- (٤) נְזִיר בְּזִיָּרָה (مكرّس): وهو في تسعة فصول. يعالج مسألة التكرّس للرب، وما يحيط بهذه الحالة من شروط مسلكية (عد ٦: ١-٢١).
- (٥) סוּטָה (إمرأة زانية): وهو في تسعة فصول. يعالج مسألة عقاب المرأة التي تخون زوجها (عد ٥: ١١-٢١).
- (٦) גִּיטִין (طلاق): وهو في تسعة فصول. يعالج مسألة أشكال الطلاق وأحواله (تث ٢٤: ١-٤).
- (٧) קִיּוּשִׁין בְּנִשְׁבָּעִין (الخطوبة): وهو في أربعة فصول. يعالج التشريعات المتعلقة بالخطوبة والزواج.

النظام الرابع

نزיקين בְּיָדָא (أضرار) وهو يتألف من ١٠ مقالات

(١) **בָּאָבָא קָמָא** (الباب الأوّل): وهو في عشرة فصول. يعالج مسألة الأضرار، والسرقة والتعديّات، مرتكزًا على النصوص التالية (خر ٢١: ٣٣-٣٦: ٢٢؛ ٤-٥؛ ٢١: ٢٨-٣٢؛ لا ٢٤: ١٨-٢٠؛ ٥: ٢٠-٢٦؛ تث ٥: ٥-٨).

(٢) **בָּאָבָא מְצִיעָא** (الباب الأوسط): وهو في عشرة فصول. يعالج أمر بعض التشريعات المتعلقة بالأغراض المفقودة والتي وُجدت، وبالمبيع والشراء وعقود العمل وإيجارات البيوت... (تث ٢٢: ١-٤؛ خر ٢٣: ٤-٥؛ لا ٢٥: ١٤؛ خر ٢٢: ٢٠؛ ٢٢: ٢٥-٢٦؛ لا ٣٥: ٣٧؛ تث ٢٣: ٢٠-٢٢؛ ٢٣: ٢٥-٢٦؛ خر ٢٢: ٦-١٤؛ لا ١٩: ١٣؛ تث ٢٤: ١٤-١٩).

(٣) **בָּאָבָא בְּתָרָא** (الباب الأخير): وهو في عشرة فصول. يعالج مسألة قسمة الممتلكات، الأوزان والمقاييس، ضمانات البيع والشراء والعقود القانونية... (لا ١٩: ٢٥-٢٦؛ تث ٢٥: ١٣-١٦؛ ٢٧: ٨-١١؛ ٢١: ١٥-١٧).

(٤) **סְנֵהְדִּין** (مجلس قضاء): وهو في عشرة فصول. يعالج مسألة القضاة والقضاء وبعض المسائل القضائية الجنائية (تث ١٦: ١٨-٢٠؛ ١٧: ٨-١٣؛ خر ٢٣: ٢؛ تث ٣٥: ٣٠؛ ١٧: ٦-٧؛ لا ٢١: ١٠-١٢؛ تث ١٧: ١٤-٢٠؛ ٢١: ٢٢-٢٣).

(٥) **מְכוֹת מִדֹּת** (ضربات): وهو في أربعة فصول. يعالج قواعد الجلد ومسألة الشهادة في المحكمة (تث ١٩: ١٥-٢١؛ عد ٣٥: ٩-٢٨؛ تث ١٩: ١-١٣؛ ٢٥: ١-٣).

(٦) **שִׁבְעוֹת תְּבִינָאוֹת** (أقسام): وهو في ثمانية فصول. يعالج أنواع القَسَم وظروف القيام به (خر ٢٠: ٧؛ لا ١٩: ١٢؛ عد ٣٠: ٣؛ لا ١٥: ٣).

(٧) **עֲדִיּוֹת** (شهادات): وهو في ثمانية فصول. يعالج موضوع شهادات الأقدمين في التقليد.

(٨) **עֲבוֹדָה זָרָה** (عبادة الأصنام): وهو في خمسة فصول. يعالج أعياد الوثنيين والتعاطي معهم شراءً وبيعاً (خر ٢٣: ١٣؛ ٢٤؛ ٢٤: ٣٤-١٢؛ تث ١٧: ٥-١٢؛ ٣-١).

(٩) **אֲבוֹת אֲבוֹת** (آباء): وهو في ستة فصول. يعالج مجموعة من أقوال وآراء التَّنَائِيم .

(١٠) **הוֹרָיוֹת הַזֵּיוֹת** (تعاليم): وهو في ثلاثة فصول. يعالج مسألة أخطاء تشريعية ارتكبت سهواً والذبائح التي ترفع لغفرانها (لا ٤: ١-٥؛ ١٣-٢٣؛ عد ١٥: ٢٢-٢٩).

النظام الخامس

قُدْشِيم קִדְשִׁים (مقدّسات) وهو يتألف من ١١ مقلاً

(١) **זִבְחִים זִבְחִים** (ذبائح): وهو في أربعة عشر فصلاً. يعالج شتى أنواع الذبائح (لا ١: ٩؛ ١٤-١٧؛ ٣: ١-٥؛ ٤: ٢٧-٣١؛ ٧: ١-٨).

(٢) **מִנְחֹת מִנְחֹת** (تقادم): وهو في ثلاثة عشر فصلاً. يعالج مسألة تقادم الأطعمة (لا ٢: ٣-١١؛ ٦: ٧-١١؛ ٧: ٩-١٠).

(٣) **חֻלִּין חֻלִּין** (محلّل): وهو في إثني عشر فصلاً. يعالج مسألة الذبح والأغذية طبقاً للشريعة اليهودية (تث ١٢: ٢٠-٢٤؛ خر ٢٢: ٣٠؛ تث ١٧: ١٧؛ ٢٢: ٢٨؛ ١٣: ١٤؛ تث ١٨: ٣-٤).

(٤) **בְּכוֹרוֹת בְּכוֹרוֹת** (بواكير): وهو في تسعة فصول. يعالج مسألة الأبقار

عند الحيوانات وإمكانية تقدمتها كذبائح (خر ١٣: ١١-١٣؛ ٢٢: ٢٨-٢٩؛ ٣٤: ١٩-٢٠؛ لا ١٧: ١٣-١٤؛ تث ١٨: ٣-٤).

٥) **عَرְخִין בְּרִיָּה** (قِيم): وهو في تسعة فصول. يعالج مسألة المبالغ المتوجب دفعها عند حصول نذر، آخذًا بعين الاعتبار عمر الشخص المعني وجنسه (لا ٢٧: ١-٧؛ ١٦: ٢٤؛ عد ٣: ١٣؛ ١٨: ١٦-١٨؛ تث ١٥: ١٩-٢٣).

٦) **תְּמוּרָה** (تعويض): وهو في سبعة فصول. يعالج مسألة التعويض عن حيوان مهياً للتقدمة (لا ٢٧: ٩-١٠؛ ٢٢-٢٣).

٧) **כְּרִיתוֹת בְּרִיתוֹת** (حرومات): وهو في ستة فصول. يعالج لائحة من ٣٦ خطيئة تعرّض للحرم (خر ٣٧: ٣٠-٣٨؛ لا ١٧: ١٠).

٨) **מַעֲלָה בְּעִלְיָה** (تدنيس): وهو في ستة فصول. يعالج مسألة تدنيس المقدّسات (لا ١٥: ٥-١٧).

٩) **תְּמִיד תָּמִיד** (التقدمة الدائمة): وهو في سبعة فصول. يعالج مسألة الذبائح والتقادم (خر ٣٠: ٧-٨؛ عد ٢٨: ٢-٨).

١٠) **מִדּוֹת בְּיָדָיו** (مقاييس): وهو في خمسة فصول. يعالج وصف بناء الهيكل الثاني ومقاييسه.

١١) **קִינִים קִינִים** (أعشاش): وهو في ثلاثة فصول. يعالج مسألة تقدمه العصافير كذبائح (لا ١٢: ٨؛ عد ١٥: ١٤-١٦).

النظام السادس

טְהוֹרוֹת טְהוֹרוֹת (طهارات): وهو يتألف من إثني عشر مقالاً

١) **כלים בְּיָדָיו** (أدوات): وهو في ثلاثين فصلاً. يعالج مسألة تدنيس الأدوات

المستعملة في الهيكل (لا ١١: ٢٩-٣٥؛ ٤: ٦-٩؛ ١٢-١٩؛ ٢٧-٢٨؛ ١٩: ١٤-١٦؛ ٣١: ١٩-٢٤).

(٢) **أَهْلَوْتُ אֵהָלוֹת** (مظال): وهو في ثمانية عشر فصلاً. يعالج مسألة الدنس الحاصل من جرّاء لمس جثة ميت (عد ١٩: ١١؛ ١٤-١٧؛ ٢٢).

(٣) **نَجَعِيم בְּזֵלַיִם** (ضربات): وهو في أربعة عشر فصلاً. يعالج مسألة البرص وأنواعه وكيفية التعاطي مع المصابين به (لا ١٣ و ١٤).

(٤) **قَرَهُ פָּרָה** (بقرة): وهو في اثني عشر فصلاً. يعالج مسألة البقرة الحمراء، عمرها وكيفية ذبحها وتحضير رمادها (عد ١٩).

(٥) **طִهְרוֹת טְהָרוֹת** (طهارات): وهو في عشرة فصول. يعالج مسألة التدنيسات الصغرى والتي تنتهي مع غياب الشمس (لا ١١: ٣٤).

(٦) **مִיֻּقּוֹזוֹת מִקְוֹאוֹת** (حمّامات طقسية): وهو في عشرة فصول. يعالج مسألة التطهر في الماء من الأدناس اللاحقة بالأشخاص، بالإضافة إلى عرض خصائص الحمّامات ومقاييسها وتطابقها مع الشريعة (لا ١٤: ٨؛ ١٥: ٥؛ عد ٣١: ٢٣).

(٧) **نִידָה נִידָה** (حيض المرأة): وهو في عشرة فصول. يعالج مسألة الدنس اللاحق بالمرأة بسبب الولادة أو الدورة الشهرية (لا ١٢: ١٥؛ ١٩).

(٨) **مַخְשִׁירִין מְדֻשְׁרִין** (طهارة): وهو في ستة فصول. يعالج مسألة تطهير الأطعمة (لا ١١: ٣٤-٣٧).

(٩) **زֵבִים זָבִים** (نزف): وهو في خمسة فصول. يعالج مسألة نزف الدم والتطهر منه (أح ١٥).

(١٠) **طִבּוֹל יוֹם טָבּוּל יוֹם** (حمّام طقسي): وهو في أربعة فصول. يعالج مسألة من تطهر وبقي مدنساً حتى مغيب الشمس (لا ١٥: ٥؛ ٢٢/٦-٧).

(١١) **يَدِيم** יָדִים (يدان): وهو في أربعة فصول. يعالج مسألة تدنيس الأيدي وكيفية تطهيرها.

(١٢) **عُقْصِيم** עֻצְמִים (جدوع): وهو في ثلاثة فصول. يعالج مسألة تدنيس الجدوع والقشور والبذور والثمار.

نصوص

لقد وضعنا هنا ثلاثة نصوص مختارة من نظام "مُوْعِد" (عيد)، وهو النظام الثاني في المشناه، ومن هذا النظام اخترنا المقال الثالث "فِسْحِيم" (فصح). تحدّد هذه النصوص الهكّاه (السلوك) التي يجب اتباعها في تميم عملية التدقيق والبحث عن الخمير الباقي في المنزل، استعداداً لعيد الفطير الذي هو عيد الفصح.

على كلّ يهودي أو يهوديّة البحث، قبل حلول عيد الفصح، في ليلة الرابع عشر من نيسان، عن كلّ خمير (חֶמֶץ מְצֵא) متروك في أرجاء البيت، استعداداً لعيد الفطير، حيث يأكل اليهود الخبز الفطير، طوال أسبوع العيد، تذكّراً لليوم الذي فيه خرجوا من أرض مصر مسرعين قبل أن يختمر العجين، فأكلوه فطيراً.

١ - "في ليلة الرابع عشر (من نيسان) يبحثون عن الخمير على ضوء الشمعة. كلّ مكان لا يُدْخِلُون إليه الخمير، لا حاجة للبحث (فيه). ولماذا قال (الحكماء) صَفَيْنَ في القبو؟ لأنّه مكان قد يُدْخِلُون إليه الخمير. بيت شَمَائِي يقولون: صفين في كلّ أرجاء القبو. وبيت هيلّ يقولون: الصّفين الظاهريّين وهما العلويّين" (مشن، فسح ١: ١).

٢ - "يقول رابي يهودا: يُبحث (عن الخمير) ليلة الرابع عشر، أو عند سَحَر اليوم الرابع عشر، أو عند ساعة الإِتلاف. ويقول الحكماء: من لم يبحث ليلة الرابع عشر، يبحث في الرابع عشر؛ من لم يبحث في الرابع عشر، يبحث في

العيد؛ من لم يبحث في العيد، يبحث بعد العيد. وما يُحفظ يوضع جانباً، لئلاً يعاد البحث عنه" (مشن، فسخ ٣:١).

٣ - "خلال الساعة المباح فيها أكل (الخمير)، يمكن إطعامه للبهائم، والحيوانات والطيور، أو بيعه من غير اليهودي، والاستفادة منه مباحة. ومتى فات وقته تُمنع الاستفادة منه، لذا يمكن أن يُشعل به تنّور أو موقد. يقول رابي يهودا: لا إتلاف للخمير سوى بالحرق. وحكماء آخرون يقولون: بتفتيته أيضاً، وبتذريته في الريح، أو برميهِ في البحر" (مشن، فسخ ١:٢).

عندما سعى يوحنا بن زكّاي أن يجمع، في بيّنه، هو والمجمع الرابّيني، جميع التقاليد المتوارثة من الأجيال السابقة لخراب الهيكل وأورشليم (٧٠ م.)، جمعوا كلّ شيء، حتى التقاليد التي تتعلّق بالهيكل وبالأعياد التي كانت تُمارَس فقط في الهيكل، كيوم الغفران الذي يدخل فيه الكاهن الأعظم قدس الأقداس حيث يلفظ اسم الرب، الرباعي الأحرف "ي ه و ه" (٦١٦). في النظام الثاني "موعد"، وفي المقال الخامس "يوماً" (اليوم) نجد ال هَلْخاه المتوجّب على الكاهن الأكبر أن يهيئ نفسه بموجبها، قبل حلول عيد يوم الغفران.

٤ - "قبل سبعة أيّام من عيد الغفران، يُبعدون الكاهن الأكبر عن بيته ليقيم في غرفة في الهيكل، ويعيّنون له كاهناً مساعداً، يحلّ مكانه في حال الدنس. يقول رابي يهودا: وحتى يهيّأون له امرأة بديل في حال وفاة زوجته، لأنّه قيل: "ويكفّر عن نفسه وعن بيته" (أح ١٦:٦)، بيته هذا هو زوجته. قال له الحكماء: على هذه الحال لا نهاية للأمر" (يعتقد العلماء أنّه لا بدّ من أن يتعرّض الكاهن الأكبر لدنس ما وأنّ الزوجة الثانية قد تموت وهكذا دواليك) (مشن، يوم ١:١).

٥ - "طوال السبعة أيّام هو (الكاهن الأكبر) الذي يرشّ الدماء، ويحرق البخور، ويرتّب الأنوار، ويقدم من الذبيحة الرأس والقدم، وفي الأيّام الأخرى بإمكانه إذا شاء أن يقرب الذبيحة. عملياً، للكاهن الأكبر الأولوية، في تقديم أعضاء (الأضحية)، كما في اختيار الحصة (من الأضحية) (مشن، يوم ٢:١).

تحضّ التوراة المكتوبة اليهودي، أن يذكر يوم السبت، لأنّ الرب فيه استراح، بعد ستة أيام الخلق : «أذكر يوم السبت وكرّسه لي. في سِتّة أيّام تعمل وتنجز جميع أعمالك، واليوم السابع سبت للرب إلهك. لا تقم فيه بعمل ما، أنت وابنك وعبدك وجاريك وبهيمنتك ونزليك الذي في داخل أبوابك، لأنّ الربّ في سِتّة أيّام خلق السماوات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح. لذلك بارك الرب يوم السبت وكرّسه له» (خر ٢٠: ٨-١١؛ تث ١٢: ٦-١٥).

لا نجد في هذه الوصيّة، أي تحديد للأعمال التي يجب أن يتجنّبها اليهودي، يوم السبت. المشناه، وهي التوراة الشفهية، تجيب عن هذا الاقتضاب في الوصيّة، وتسعى الى تحديد هذه الأعمال، بـ تسع وثلاثين نوعاً، نجدهم في المقال حول السبت، ويدعى "شَبَّت"، وهو الأوّل بين مقالات النظام الثاني "موعد"، جاء فيه :

٦ - "الأعمال الرئيسيّة وعددها تسع وثلاثون، وهي : الزرع، والحراثة، والحصاد، وربط الحزم، وضرب الحبوب، والتذرية، وتنقية الحبوب، والطحن، والغربلة، والعجن، والخبز في الفرن، وجزّ الصوف، وغسله، وتسريحه، وصبغه، وجدله، وتبسيطه، وجدل خيطين، ونسج خيطين، وفصل خيطين، وصنع عقدة، وحلّها، وخياطة قطبتين، والمزق لإعادة الخياطة بقطبتين، وصيد طبي، وذبحه، وسلخه، وتمليح جلده، وتهيئته، وقشطه، وتقطيعه، وكتابة حرفين، والمحي لإعادة كتابة حرفين، والبناء، والهدم، وإطفاء النار، وإشعال النار، والضرب بالمطرقة، والنقل من مكان خاص إلى مكان عام. هذه هي الأعمال الرئيسيّة وعددها تسع وثلاثون" (مشن، شَبَّت ٧: ٢).

هذه الأعمال التسع والثلاثون، هي الأعمال التي يستقيم بها بناء الهيكل وجميع أقسامه، وهي رئيسيّة، أي يمكن تحديد أعمال كثيرة أخرى، إنطلاقاً منها تتناسب وواقع الحال زماناً ومكاناً.

من النظام الثالث، وعنوانه "النساء"، اخترنا المقال الأوّل وعنوانه

"يَبْمُوت" وهو مخصّص لمسألة المرأة التي يتوقّى زوجها من دون أن يترك عقبا، فتسعى، بحسب الشريعة الى الزواج من أخيه لجعل للمتوقّى ذرية. هذا المقال هو مخصّص لتفصيل الوصيّة (تث ٥: ١٠) التي تقتضي بهذا الزواج لإقامة ذرية للأخ الميت، وإلاّ تتمّ مراسم لإعلان رفض الأخ من الزواج بأرملة أخيه، فتصبح بالتالي حرّة في أن تتزوّج من تشاء.

٧ - "هنّ خمس عشرة إمراة اللواتي تعفين غريماتهنّ وغريمات غريماتهنّ من "خلع النعل" (נָחֵץ) (علامة لرفض الأخ الزواج من أرملة أخيه)، أو "الزواج بالأخ" (אָח) إلى الأبد. وهنّ: الإبنة، والحفيدة من الإبنة ومن الإبن، إبنة الزوجة، وابنة بنتها أو ابنها، والحا وأمّها، وأمّ الحمو، الأخت من الأم، وأخت الأم، وأخت الزوجة، وزوجة الأخ من الأم، وزوجة الأخ المجهولة (المعرفة المسبقة ضروريّة لإتمام الزواج). هؤلاء هنّ النساء اللواتي تعفين غريماتهنّ وغريمات غريماتهنّ من "خلع النعل"، ومن "الزواج بالأخ". أمّا إذا ماتت إحداهنّ قبل زوجها، أو رفضته، أو طُرِدَت، أو كانت عاقرا، فيسقط المنع عن غريماتها. لا يمكن القول عن الحما وأمّها، وأمّ الحمو، أنّهنّ عاقرات أو مطرودات" (مشن، ييم ١: ١).

ومن النظام نفسه أي "نساء"، سنختار نصّا من المقال السابع وعنوانه "قيّدوشين"، وهو يُعنى بمسائل التكريس في الزواج: فالزواج على الطريقة اليهوديّة، يتمّ على مرحلتين: الأولى، وتُدعى "قيّدوشين" (קִידוּשִׁין) وفيها تتمّ مراسيم التعاقد على الزواج، إلى أن تحين المرحلة الثانية، وهي تُدعى "نيسوئين" (נִשּׁוּאִין) حيث تدخل المرأة بيت بعلمها. يتحدّث هذا النصّ حول كافيّة التعاقد بين الرجل والمرأة، أي عن المرحلة الأولى من الزواج أو قيّدوشين:

٨ - "تُقَتّنى الزوجة بطرق ثلاث، وتقَتّني نفسها بطريقتين إثنين. فهي تُقَتّنى بالمال، وبوثيقة، وبالدخلة. بالمال، يقولون في مدرسة شَمّاي، بدينار أو ما يعادله؛ وفي مدرسة هيلّل يقولون بفروطة (פְּרוּטָה) (١٩٢ فروطة = دينار) أو

ما يعادلها؛ وكم تساوي الفروطة؟ ثمن أسير إيطالي (عملة إيطالية). وتقتني نفسها بالطلاق أو بموت الزوج. والأرملة تُقتنى بالدخلة، وتقتني نفسها بـ "خلع النعل" أو بموت السلف" (مشن، قيد ١:١).

يختص النظام الأول وعنوانه "زريع" بطرق الزراعة ومواعيدها، وفيه مقال يُدعى "فأه" (زاوية): وهو يعالج مسألة زاوية الحقل المتروكة دون حصاد للفقراء، بحسب الوصية المذكورة في التوراة (لا ١٩:٩-١٠:٢٣؛ تث ٢٤:١٩-٢٢). سنذكر هنا نصين، في الأول، تعليم خلفيته العمل الزراعي الذي تسخو فيه الأرض على الإنسان، وعليه هو بدوره أن يسخو على أخيه الإنسان، ممّا سخت عليه السماء والأرض معاً. وفي الثاني، نجد تحديداً لمفهوم الفأه وكيفية ممارسة شروطها:

٩ - "تلك هي الأشياء التي لا مقياس لها (في التوراة): الفأه (زاوية الحقل)، والبواكير، وواجب الحج (إلى الهيكل)، وأعمال الخير، ودراسة التوراة. تلك هي الأشياء التي يأكل ثمارها الإنسان في هذا العالم، ويدّخرها لنفسه في العالم الآتي: احترام الأب والأم، وأعمال الخير، وإحلال السلام بين الإنسان وصديقه، ودراسة التوراة التي تفوقها كلّها" (مشن، فأه ١:١).

١٠ - "لا تقلّ الفأه (الزاوية) عن الجزء الستين (من الحقل)، وعلى الرغم من قولهم أن ليس للفأه مقياس، يجب تقدير (مساحتها) نسبة لحجم الحقل، ولعدد الفقراء، ولحجم الغلة... يمكن أن تُعطى الفأه في أول الحقل أو في وسطه... ويُعتبر عمومًا، كلّ ما يؤكل ويُحرس ونموّه من الأرض، وقطافه دفعة واحدة، ويخزّن للحفاظ عليه، خاضعاً لشروط الفأه. الحبوب، والخضار تخضع هي أيضاً" (مشن، فأه ١:٢-٤).

في الختام، يمتاز مقال "أبوت" أو "فرقي أبوت" (فصول الآباء)، وهو المقال التاسع من النظام الرابع وعنوانه "نزيقين" (أضرار)، عن سائر مقالات المشناه الإثني والستين بكونه كُتب بأسلوب يختلف عنها: في المشناه لا نجد

عموماً إلاّ الأسلوب السلوكي أو الهلّكاه، والتنظيمي، بينما، فصل الآباء فهو مكتوب بأسلوب قصصيّ، تكثر فيه الأمثال والتوجيهات الحكميّة وهي من وضع الآباء أي الحكماء الذين حملوا التقليد اليهودي مدّة أجيال طويلة.

١١ - "يُوسِيّ بِن يُوْعَزِر من قرية صِرْدَه وَيُوسِيّ بِن يُوْحَنَّاَن من أورشليم تقبّلاً منهما يقول يُوسِيّ بِن يُوْعَزِر: ليكن بيتك موضع لقاء للحكماء. تعلّق بغبار أرجلهم، واستقّ بشغف كلامهم" (مشن، أبوت ١: ٤).

١٢ - "يقول يُوسِيّ بِن يُوْحَنَّاَن من أورشليم: ليكن بيتك مفتوحاً واسعاً للفقراء فيصبحوا من أهل بيتك. ولا تُطل الحديث مع المرأة. قيل، مع إمرأته. فكم بالحري مع إمرأة جاره. لذلك قال الحكماء: في كل مرّة يُطيل فيها المرء الحديث مع إمرأة، يسبّب شراً لنفسه إذ يلهو عن دراسة التوراة فينتهي إلى جهنّم" (مشن، أبوت ١: ٥).

١٣ - "قال (هيلّل): إذا لم أكن لنفسي من يكون لي؟ وعندما أكون فقط لنفسي، ماذا أكون؟ وإذا لم يكن الآن، فمتى؟" (مشن، أبوت ١: ١٤).

١٤ - "قال ربّان جَمَلِيّئِل: إحدروا السلطة، فهي لا تقرب أحداً منها إلاّ لمصلحة عندها. وتُظهر له المودّة عند احتياجها إليه، وتتخلّى عنه في وقت حاجته... وقال (أيضاً): إعمل مشيئة الرب وكأنّها مشيئتك، ليعمل هو مشيئتك وكأنّها مشيئته. أبطل مشيئتك أمام مشيئة الرب، فيُبطل من أمام مشيئتك، مشيئة الآخرين. يقول هيلّل: لا تنفصل عن الجماعة، ولا تترك لنفسك إلى يوم مماتك. ولا تدنّ صديقك قبل أن تصير في نفس حاله. لا تقل كلمة يستحيل فهمها، لأنّها في النهاية ستُفهم. ولا تقل إنّي سأدرس التوراة، في وقت فراغي، لأنك قد لا تتفرّغ أبداً" (مشن، أبوت ٢: ٣-٤).

١٥ - "قال رابي يُوسِيّ بن قيسُما: صدف أن كنت مرّة مسافراً في الطريق، فإذا بي ألتقي برجل يحييني فأردّ عليه التحيّة. قال لي: رابي من أين أنت؟ أجبت: أنا من مدينة عظيمة، مدينة الحكماء والكتبة. قال: رابي، أمكث

عندنا هنا فأعطيك الآلاف من الدنانير الذهبية والحجارة الكريمة والجواهر. قلتُ : يا بنيّ لو أعطيتني الفضة كلّها والذهب والحجارة الكريمة والجواهر التي في العالم، لا أمكث إلاّ حيث التوراة. فالرجل عند ساعة موته، لا الفضة ولا الذهب ولا الحجارة الكريمة ولا الجواهر ترافقه، بل التوراة والأعمال الصالحة، كما هو مكتوب : "هي تهديك في سيرك، تحفظك في رقادك، وإذا استيقظت فهي تحدّثك" (أم ٢٢: ٦). "هي تهديك في سيرك"، في هذا العالم، "وتحفظك في رقادك"، في القبر، "وإذا استيقظت فهي تحدّثك"، في العالم الآتي. مكتوب أيضاً في سفر المزامير على يد داود ملك إسرائيل : "تعليم فمك خير لي من ألوف ذهب وفضة" (مز ١١٩: ٧٢)، ومكتوب أيضاً : "لي الفضة ولي الذهب، يقول ربّ القوَّات" (حج ٨: ٢) (مشن، أبوت ٩: ٦).

ه - التوسّفتا أو ملحق المشناه

"توسّفتا" (תוספתא) هي لفظة آرامية، ويقابلها بالعبرية "توسّفت" (תוספת) وجمعها "توسّفوت" (תוספות)، ومعناها الإضافة أو الزيادة. وهي مجموعة تعاليم وتشريعات موازية للمشناه الرسمية.

للتوسفتا الترتيب عينه الذي للمشناه، في أنظمتها كما في فصولها، مع بعض الفروقات. فعلى سبيل المثال، إنّ فصول المشناه، "أبوت" (אבות)، و "تميد" (תמיד)، و "ميدوت" (מידות)، و "قينيم" (קנינים)، هي غير موجودة في التوسفتا. وهذه الأخيرة هي أكبر بأربع مرّات من المشناه القانونيّة. يراود بالتوسفتا أن تكون ملحقاّ مكملاً للمشناه.

يقال أنّ رابي حياً برأباً ورابي هوشعيا، تلميذَي رابي يهودا هالنّاسي، هما اللذان جمعا التوسفتا، من أجل الحفاظ على أقوال التّنايم التي لم تُدوّن في المشناه، بل بقيت خارجة عنها لذا سُمّيت أيضاً "بريتوت" (בריתות) ومفردها "بريتا" (בריתא) أي البرائيّة أو الخارجة عن المشناه القانونيّة. بعض هذه

النصوص البرآنيّة هي قريية من نصوص المشناه، والبعض الآخر يفسرّها أو يضيف إليها عناصر جديدة.
 كتبت التوسفتا وجُمعت في فلسطين، ولغتها هي كلغة المشناه، عبريّة مطعّمة بمفردات آراميّة ويونانيّة ولاتينيّة.

نصوص

١ - "قال رابي مئير : ماذا تعلّمنّا هذه الآية : "لأنّ المعلق هو لعنة لله" (تث ٢١: ٢٣)؟ يُشبه هذا أخوين توأمين لهما تمام الشبه. كان أحدهما ملكًا على العالم بأسره، بينما استسلم الثاني، للسلب والنهب. بعد فترة ألقي القبض على هذا الأخير، وعُلّق على صليب، فكان المارّة يقولون : وكأنّه الملك معلق على الصليب! لهذا كُتِب : "لأنّ المعلق هو لعنة لله" (توس، سنه ٧: ٩).

٢ - "صدف مرّة أن وقع الرابع عشر من نيسان يوم سبت. فسألوا هيلّل الشيخ قائلين : أيعلو الفصح على السبت؟ أجابهم : أعندنا فصح واحد، في السنة، يعلو على السبت؟ عندنا أكثر من ثلاثمائة فصح في السنة يعلو على السبت! قام ضده جميع المجتمعين، فقال لهم : إنّ الذبيحة الدائمة (זבח קדמון) هي ذبيحة جماعيّة، وكذلك الفصح هو ذبيحة جماعيّة، وكما أنّ الذبيحة الدائمة، وهي ذبيحة جماعيّة، تعلو على السبت، هكذا فإنّ الفصح، وهو ذبيحة جماعيّة، يعلو على السبت...

تفسير آخر : قيل عن الذبيحة الدائمة : "تقرّبونها لي في وقتها" (عد ٢٨: ٢)، وقيل عن الفصح : "ليعمل بنو إسرائيل الفصح في وقته" (عد ٩: ٢)، فكما أنّ الذبيحة الدائمة التي قيل عنها "في وقتها"، تعلو على السبت، هكذا الفصح الذي قيل عنه "في وقته"، يعلو (هو أيضًا) على السبت.

... وإذا كانت الذبيحة الدائمة، التي، في حال لم نقرّبها، لا نستوجب الفصل) عن الجماعة)، تعلو على السبت. فكم بالأحرى، الفصح، الذي، في حال لم نقرّبه

نستوجب الفصل، أن يعلو عن السبب! لا بل أكثر من ذلك، فلقد تسلّمت عن معلّميّ التقليد الذي بموجبه يعلو الفصح على السبب... فقالوا له : فماذا عن الشعب الذي لم يُحضر سكيناً ولا فصحاً (خروفاً) إلى الهيكل (قبل بداية السبب)؟ أجابهم : دعوهم يجدون الحلّ بأنفسهم، لأنّ روح القداسة حالّ عليهم، فإذا ما كانوا أنبياء، فهم أبناء الأنبياء.

ماذا فعل الإسرائيليون عندها؟ الذي كان فصحه حملاً، غرز السكين في صوفه، والذي فصحه جدياً، علّق السكين في قرنيه. فأخذوا إذن، السكاكين والفصح إلى الهيكل حيث يذبّحونه. وفي ذلك اليوم دعوا هيّل رئيساً (ἡγούμενον) فأخذ يعلمهم قواعد الفصح " (توس، فسح، ٤: ١٣-١٤).

كانت المشناه باكورة التقليد الشفهي المدوّن، وقد دعت الحاجة إلى تدوينها، كما رأينا، ولكن دون أن تفقد خصائصها الشفهية، التي سعى مجمع العلماء اليهود، وعلى رأسهم يهودا هالنّاسي، للحفاظ عليها من خلال عفوية اللغة، واقتضاب الأسلوب، ممّا سهّل على دارسها حفظها غيباً وتكرارها، دون الرجوع إلى المكتوب، في أغلب الأحيان. التقليد الشفهي والحفظ غيباً، هما صنوان لا يفترقان، يعيشان مع الحكيم، ويعيش هو منهما، ليصبح التمييز بينهما صعباً بعض الشيء : هو يعود إلى التقليد ليغرف منه العلم الإلهي والتقليد يعود إليه ليستمرّ من جيل إلى جيل، وهذه هي حال التقاليد الشفهية، تغذّي صاحبها وتتغذّى منه هي بدورها : المشناه والمعلّم والتلميذ هم أركان التقليد الشفهي ومبدأ استمراريّته ونموّه.

في الفصل القادم، سندرس عنصراً آخر من عناصر التقليد الشفهي يحمل، هو أيضاً، تقاليد حيّة، من حكماء في فلسطين وبابل، فسّروا وصحّحوا ودوّنوا وختموا التلمود بفرعيه الأورشليمي والبابلي.

الفصل السابع

التسوية

الفصل السابع

التلمود

١ - معنى لفظة تلمود وأبعادها

تشتق لفظة "تلمود" من الجذر العبري "ل م د" (למד)، ومنه למד تعلم، ولمד علم. وصيغة "تلمود" (תלמוד) تعني "تعليم"، وخاصة التعليم الذي من التوراة المكتوبة، كما في التعبير "تلمود لומר" (תלמוד לומר) أي "يقول التعليم الذي في التوراة". ويمكن للتلمود أن يعني أيضاً، مجمل تعاليم التقليد الكتابي والشفهي، وبالأخص، ما قام به الأمورائيم، من تفسير وتوضيح للمشناه. ويقال له أيضاً "جمرأ" (גמרא)، وهي لفظة آرامية، وتعني "إكمال أو ختم" التعليم التقليدي القائم على شرح المشناه.

٢ - ما هو التلمود؟

يُعتبر التلمود، من حيث أهميته كتوراة شفوية، موازياً للبيblia أو التوراة الكتابية، فهو، إلى جانبها، من الركائز الأساسية، للديانة اليهودية الربانية. هو الكتاب الأكثر تأثيراً على حياة الجماعة الإسرائيلية، طوال قرون عديدة، ولا يزال حتى أيامنا هذه. لا نُغالي إن قلنا إن الفضل الأكبر، في استمرارية الشعب اليهودي، وباعتراف من حكمائهم ومؤرخيهم، يعود إلى التلمود، حيث أن أجيالاً وأجيالاً من التلاميذ والمعلمين تناقلوه، في فكرهم وفي مسلكهم، إذ لا غنى

للإهودي التقيّ، عن محتواه في تنظيم حياته، بما يتطابق وإرادة الربّ المحفوظة أصلاً، في تورا موسى المكتوبة، والتي سعى التلمود، إلى أن يفسّرهما ويوضّحها، لتكون في متناول بني إسرائيل جميعهم.

والتلمود اثنان : التلمود الفلسطيني (أو الأورشليمي) والتلمود البابلي، وقد نشأ في بيئة، وتقاليده، وعادات، ولغات، إن اختلفت في الظاهر، فهي تلتقي، ولا بدّ، في المضمون. ومن حيث الموضوعات والتنسيق، فهما يتكوّنان من "المشناه"، وفيها السلوك الديني والحياتي، و"الجَمْرَا"، وهي مجمل الحادثات التفسيرية، التي كان يقوم بها الرّبّانيم، لشرح بند من المشناه، في سبيل ترجمته عملياً وحياتياً.

٣ - كيف تكون نصّ التلمود؟

نجد في التلمودين، الأسلوب عينه، في المحاورات، بين الرّبّانيم، في درس إحدى فقرات المشناه وشرحها. إذا كان نصّ المشناه، وصلنا مرتّباً ومنتقى، فإنّ نصّ التلمود وصلنا بعفويّته، ليدلّنا على طرق تفكير الرّبّانيم، من خلال محادثاتهم التشريعية أو التعليمية، وعلى سبل العمل في المدارس الرابينية. وتنقل لنا الجَمْرَا، المحاورات التي خاضها الرّبّانيم، حول موضوع معيّن من المشناه؛ والهدف من هذه المحاورات، هو توضيح هذا الموضوع ليصير فهمه في متناول العموم. أمّا عن طريقة طرح الموضوع للنقاش، فإنّ المحاورّة تبدأ بعرض فقرة من المشناه، قد لا تتعدّى البضعة أسطر، وتليها المحاورّة التي قد تطول بضعَ صفحات. وبعد الفراغ من درس هذه المشناه، يبدأون بأخرى وهكذا دواليك...

ينقسم نصّ الجَمْرَا إلى فتاوى، تجيب كل واحدة منها على مسألة معيّنة، وتُدعى سَوُجِيَّاه (סוגיות)، وقد تصبح هذه الفتاوى، إذا حظيت بإجماع الرّبّانيم الحاضرين، سارية المفعول، وتُلزم الجميع. قد لا تجد جميع المسائل المطروحة

حلاً يُرضي الجميع لصعوبتها، وعدم وضوحها، لذا يُعرض عنها الربّانيم، خاتمين إيّاها بعبارة "תְּקוּ" (תקו=הַתְּשִׁבִי יְבוֹא וַיִּתֵּיר קְשִׁיּוֹת וְהַיּוֹת)، وهي اختصار للجملة التالية: "يأتي التشبي (إيليا) ليحلّ الصعوبات والمجالات".

٤ - التلمود الفلسطيني (الأورشليمي)

هو التلمود الذي جمع ودوّن في فلسطين، وله عدّة تسميات: تلمود أرض إسرائيل (תְּלִמּוּד אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל)، أو جَمْرًا أرض إسرائيل (גְּמְרָא אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל)، أو تلمود الغرب^{٤٣} (תְּלִמּוּד דְּמַגְרָב)، أو (גְּמְרָא דְּבֵי מַגְרָב). جميع هذه التسميات، يمكن اختصارها بتسمية "فلسطين"، التسمية الرومانية لهذه البلاد، لذا اخترنا أن ننسب هذا التلمود إلى أرض فلسطين حيث نشأ في مدارسها. أمّا التسمية "أورشليمي" (יְרוּשָׁלַיִמִי) فهي تسمية إصطلاحية متأخرة، تعود إلى القرون الوسطى، إذ لا علاقة لمدينة أورشليم بتدوين هذا التلمود، الذي دَوّن في طبرية، أيّام كانت أورشليم محظورة على اليهود، منذ حرب بن كوزيبا (١٣٢-١٣٥ م)؛ وما عادوا إليها إلّا بعد دخول العرب المسلمين إلى فلسطين، واحتلالهم إيّاها، في منتصف القرن السابع للميلاد، ونقلوا مدرسة طبرية إليها. قد يكون هذا هو سبب التسمية المتأخّرة^{٤٤}.

محتواه

إنّ التلمود الفلسطيني، هو مجموعة تفاسير الأورثايم الفلسطينيين، حول المشناه. وهو يتبع تنظيم المشناه عينه، ولكنّه لا يعالج منها سوى ٣٩ فصلاً، من أصل ٦٣. يعود سبب ختمه، قبل الانتهاء من دراسة أقسام المشناه وأنظمتها، إلى الحالة الصعبة التي عاش فيها يهود فلسطين آنذاك، والتي أدّت إلى ضعف في

٤٣ - نسبة إلى غرب نهر الفرات.

٤٤ - تستعمل الترجمات الأجنبيةّ إصطلاح، "التلمود الأورشليمي".

المدارس الفلسطينية، وندرة في وجودها، من جهة، وإلى إلغاء رتبة البطريرك اليهودي سنة ١٩٢٤ م.، وقد كان مقرّره في طبرية، في منطقة الجليل الأعلى، من جهة أخرى.

لذا يعتبر العلماء المختصّون بالتلمود الفلسطيني، أنّ هذا الأخير، هو نتاج مدارس فلسطين : في قيصرية، وبيت شان، وصفد، وطبرية التي كانت المدرسة الرابينية المركزية حيث أخذ هذا التلمود، شكله النهائي، بعد جمّع مختلف تعاليم هذه المدارس وضبطها.

كما يحدّد هؤلاء العلماء ثلاث مراحل مرّ بها تكوين التلمود، وهي كالتالي :

(١) في مرحلة أولى، رصد شروحات المشناه في مختلف المدارس؛

(٢) وفي مرحلة ثانية، تجميع هذه الشروحات والملاحظات التي جعلها المعلّمون في فصول كما جاءت في المشناه؛

(٣) وفي مرحلة ثالثة، تمّت في مدرسة طبرية، عملية الانتقاء والدمج بين مختلف المصادر الآتية من مختلف المدارس.

لغته الأساسية هي الآرامية الغربية، بلهجتها الجليلية، يضاف إليها العبرية، وبعض الألفاظ اليونانية واللاتينية. هناك محاولات لتفسير التلمود الأورشليمي منذ ١٥٣٠ م.، مع رابي شلومو سيريللو، وتبعه رابي العزّر أزيكري، من صفد في فلسطين، وغيرهم من المفسرين، إلّا أنّ أعمالهم بقيت مجتزأة وغير كاملة. في سنة ١٧٨٠ م. قام رابي موسى مرجولي من ليتوانيا، وفسّره في مجمله. والتفسير الأكثر جدّة هو من تأليف رابي إسحق كراسيلشيكوف، كان قد وضعه في الاتحاد السوفياتي السابق، ونُشر في إسرائيل سنة ١٩٨٠ م.

٥ - التلمود البابلي

أمّا التلمود البابلي (תלמוד בבלי)، فهو تفسير مدارس بابل لمادّة المشناه. والمدارس هي : مدرسة سورا، ومدرسة بوبديتا، ومدرسة نهردعا. ولكنّا لسنا

نجد فيه شرحاً للمشناهه بأكملها بل لـ ٣٦ فصلاً ونصف الفصل من أصل ٦٣ فصلاً. أمّا سبب عدم تفسير مجمل المشناه، فهو أنّها كُتبت في فلسطين، وفيها الكثير من الأحكام، التي تتعلّق فقط بأرض فلسطين، كالأحكام الزراعيّة، المدوّنة في النظام الأوّل "زريعيم"؛ وكذلك الأحكام المتعلّقة بالتطهير، ومعظمها كان يُمارس في الهيكل الذي لم يعد موجوداً.

والتلمود البابلي، هو من أصناف الموسوعات، لأنّه لا يختصّ بموضوع واحد، بل يشكّل مجموعة ضخمة من المعلومات المتنوّعة التي كانت تُدرّس في مدارس بابل: فإلى جانب التفاسير المتنوّعة للمشناه، وهي الأساس فيه، نجد الأساطير وأخبار الرّبّانيم، واستذكّاراً لأحداث تاريخيّة، ومعلومات في الطبّ وعلم الأحياء، وفي الرياضيّات وعلم الفلك والأبراج...

كلّ هذا جعل من التلمود مكتبة أكثر منه كتاباً. نصفه مكتوب بالآراميّة الشرقيّة، والنصف الآخر بالعبريّة. ثلثه يعالج السلوك اليهودي (الهكّاه)، والثلثان الآخران هما من المدارس (تفاسير للبيبليا)، والأعداء (قَصَص، وأمّثال، وحكم...).

ومن المتعارف عليه، أنّ القرن السادس للميلاد شهد، في أوائله، ختام التلمود البابلي، على يد كلّ من راب أشي (٣٥٢-٤٢٧) ورابيننا (+ ٤٩٩)، اللّذين كانا بالتوالي رئيسيّ مدرسة سورا القريبة من بغداد، فتكون معهما، قد انتهت حقبة الأمورائيم، الذين اعتنوا بحفظ التفاسير والتعاليم والأحكام المختلفة بين دفتيّ التلمود. إلّا أنّ بعضاً من العلماء يروّون، أنّ التلمود ما خُتم، إلّا في أيّام الحكماء الذين خلفوا الأمورائيم، ويُدعون سبورائيم (סבוראים). وآخرون، ينتظرون حقبة الجائونيم (גאונים) أو الفقهاء، أي حتى أوائل القرن الثامن، ليحدّدوا الختم الفعلي للتلمود البابلي.

أهميته

إذن، لقد بدأ التلمود البابلي يأخذ شكله النهائي، منذ القرن السادس حتى القرن الثامن، حيث بغداد أصبحت عاصمة الامبراطورية الإسلامية، في عهد العباسيين، مما ساعد اليهودية البابلية على الازدهار، لتصبح مدارسها التلمودية، مرجعاً وحيداً لكل يهود العالم.

إلا أنه في أواسط القرن الثامن، ظهرت بدعة جديدة، بين يهود تلك البلاد على يد حنّان بن داود وتُدعى القرائية (أي الكتابية)، من "ميقرا" (מיקרא) (وهو البيليا أو التوراة الكتابية، لتمييزه عن المشناه أو التوراة الشفهية)؛ دُعي أتباع هذه البدعة "القرأؤون" (أي الكتابيون) لأنهم رفضوا سلطة التوراة الشفهية، وبالأخص التلمود البابلي، وأقروا فقط التوراة الكتابية. فما كان من الربّانيم إلا أن هبوا للذود عن التلمود، مؤكّدين على أهميته وأوليّته، في حياة الجماعة والأفراد اليهود. كردّة فعل على هذا الواقع، عزّز الربّانيم البابليين سلطة التلمود البابلي، فوصلت تعاليمه إلى أورشليم، حيث فرض نفسه، على حساب التلمود الفلسطيني. ومن فلسطين انطلق إلى سائر شتات اليهود في العالم، إلى أن أصبح التلمود الوحيد المعولّ عليه؛ من هنا، كان يكفي أن يُقال "التلمود"، حتى يُعرف أن المقصود به، هو التلمود البابلي دون سواه.

تفسيره

نظراً لبساطة موضوعات التلمود، ولقرب أسلوبه الشفهي، من فهم الناس، لم تكن هناك حاجة إلى تفسيره، سوى الصعوبات اللغوية. ففي بابل لم تكن هذه الصعوبة موجودة لأن التلمود كُتب بلغة يجيدها يهود تلك البلاد، وهي الآرامية البابلية. أمّا خارج بلاد ما بين النهرين، أي في فلسطين، حيث اللهجة الآرامية هي مختلفة بعض الشيء، وفي مناطق شمالي أفريقيا، والبلاد الأوروبية، فقد كانت

الحاجة للتفسير ماسة، لأنَّ معظم يهود تلك الأصقاع كانوا قد نسوا الآرامية، ولربَّما العبرية.

بدأت محاولات عديدة وجزئية، منذ القرن الحادي عشر، في بلاد الفرنج والجرمان، لتفسيره، وذلك للنظر في بعض القضايا الملحة، والتي للتلمود رأي فيها. أمَّا التفسير الكامل لجميع أقسامه، فما تحقَّق، إلَّا مع رابي شلمو بن إسحق المعروف بـ "راشي" ^{٤٥} (١٠٤٠-١١٠٥ م.)، والذي كان عائشاً في مدينة Troie الفرنسية. وبعد وفاته، حقَّق تلامذته في تفسيره لهذا التلمود، وأوضحوا ما كان فيه غامضاً. وتُدعى مداخلاتهم هذه، "توسفوت" (תוספות) أي "مزيادات".

وحالياً، هناك تفسير حديث، نُشر مع ترجمة إلى العبرية الحديثة، لنصوص هذا التلمود، والتلمود الفلسطيني، وهو من وضع رابي عدين شطينزلتس، وقد باشر فيه منذ ثمانينات القرن العشرين. تُرجمت أجزاء عديدة منه إلى الإنكليزية والفرنسية.

محاربه

على رفعة شأنه عند اليهود، لم يسلم التلمود من الانتقادات والحرومات من قبل اليهود أنفسهم (راجع رفض القرائين لسلطته الأدبية على المجتمع اليهودي منذ القرن العاشر للميلاد)، ومن قبل السلطات المسيحية.

ازدادت معرفة الكنيسة لمحتوى التلمود، بفضل بعض اليهود المتنصرين، والمطلعين خير اطلاع، على نصوص التلمود البابلي تحديداً، وعلى لغتيه الآرامية والعبرية. فإنَّه في سنة ١٢٣٦ م.، تنصَّر اليهودي نقولا دونين، على أثر حُرْم أصدره الرِّبَّانيم سنة ١٢٢٤ م.، بحقه، بسبب رفضه سلطة التلمود، وأحكامه، على الجماعة اليهودية. وفي سنة ١٢٣٨ م. قدَّم نقولا هذا، إلى البابا

غريغوريوس التاسع، لائحة بخمس وثلاثين مسألة في التلمود البابلي، تناهض المسيح يسوع والمسيحية، فكانت النتيجة، أن أحرقت نسخات من هذا التلمود، في الساحات العامة. وهكذا توالى الشكاوى والاضطهادات، ضدّ التلمود البابلي، حتى حرّمت السلطة الكنسية استعماله سنة ١٥٥٩م.

وفي عصر الأنوار، ظهرت مجدداً معارضة يهودية للتلمود، قام بها المفكر اليهودي المتنور موسى مندلسون. (١٧٢٩-١٧٨٦) حاول هذا الأخير تبين الببليا، وكأنّها المرجع الوحيد لليهودية الحديثة، وأنّ التلمود، لم تعد أحكامه تتناسب وواقع اليهود الجديد، كما دعا إلى مواكبة عصر الأنوار، وإلى الاندماج في المجتمعات الأوروبية، من أجل حياة أفضل من حياة " الغيتو " (الحي اليهودي في المدينة المسيحية) المنغلقة. بدأ مع موسى مندلسون، تيار فكري يهودي إصلاحى، رفض كل التعاليم الرابينية وعلى رأسها تعاليم التلمود البابلي. لم يكن هذا التيار شاملاً، إذ لا يزال التلمود، في الأوساط المتديّنة، قائماً وأحكامه ملزمة، حتى أيامنا هذه.

نصوص من التلمود الفلسطيني

إنّ هذه النصوص الواردة هنا، أكانت من التلمود الأورشليمي أم من التلمود البابلي، هي منقولة بحسب ترتيب النصّ الأساسي أي : أولاً، نصّ المشناه المختار للبحث، وثانياً، نصّ الجَمْرَا، وهي شرح هذا النصّ. لقد اخترنا من التلمود الأورشليمي نصّاً من المقال الثاني ويُدعى "فَاه"، من النظام الأوّل "زَرَعِيم" :

١ - (مشناه) " تلك هي الأشياء التي لا مقياس لها (في التوراة) : الفَاه (زاوية الحقل)، والبواكير، وواجب الحج (إلى الهيكل)، وأعمال الخير، ودراسة التوراة. تلك هي الأشياء التي يأكل ثمارها الإنسان في هذا العالم، ويدّخرها لنفسه في العالم الآتي وهي : احترام الأب والأم، وأعمال الخير، وإحلال السلام بين الإنسان وصديقه، ودراسة التوراة التي تفوقها كلّها " .

(جَمْرًا) (في ما يختصّ بـ) " تلك هي الأشياء التي لا مقاس لها (في التوراة)... " (والتي وردت في المشناه، فهي تظهر لنا بعض الصعوبات). قال رابي بنيامين برلاوي : جلس رابي إسحق ورابي إيمي يتحاوران، فقال (رابي إسحق) : لماذا لم نذكر المقدمة معها؟ أجاب رابي إيمي : لأنّ عليها خلافًا. فقال رابي يوسّي : يجعل الإنسان كلّ حقله بواكير، ولا يجعل الإنسان كلّ حقله مقدمة. إنطلقا من مقارنة : ها إنّ (نصّ المشناه) قد ذكر الفأه (شريعة الزاوية)، ولم يجعل الإنسان حقله كلّه فأه، ومع هذا ذكرت! فردّ رابي يوسّي : أوّل حصيدة للسنابل هي حيث يحدّدها، وطالما لم يحصد الحصيدة الأولى، لا يمكن تحديد الفأه، وإذا أراد أن يجعل من كلّ حقله فأه فليفعل (كما يشاء). ولكن بالمقابل (في موضوع التقديم)، إذا لم تكدّس الأكوام، فلا تجوز أن تكون للتقدمة، وإذا أراد أن يجعل من كلّ الأكوام مقدمة فلا يستطيع، لأنّه مذكور (في مكان آخر من المشناه) أنّ كل قائل : " كلّ بيدري للتقدمة، وكلّ عجنتي رفيعة (حصّة الكهنة من العجين) " لا معنى لكلامه، إلّا إذا ترك بعضه...

(تطول المحاورات حول الصعوبات التي يوردها نصّ المشناه المقتضب والذي لا بدّ من دراسته والاجتهاد فيه؛ فبعد جدل طويل حول هذه الصعوبات، يعود الكلام حول الفأه والبواكير... وتحديد كمّيّتها وإمكانية قياسها)

... للفأه مقياس أدنى وليس لها مقياس أعلى. البواكير، وواجب الحجّ، لا مقياس لها، لا أعلى ولا أدنى. علّم أحد التّنائيم : أن ليس للفأه، ولا للبواكير، ولا لواجب الحجّ، مقياس، لا أدنى ولا أعلى. وماذا (نستنتج) منها سوى أن لا تقلّ عن الجزء من السّتين (كما هي الحال للفأه)... (تل فل، فاه ١:١).

إلى جانب مواضيع سلوكيّة وتنظيميّة، كما في النصّ السابق، نجد في التلمود الفلسطيني، بعضاً من الأخبار التي ترتبط جوّ الدارس أو القارئ، بعد عناء المحاورات والمجادلات. قد يكون لهذه الأخبار التي تدور حول بعض من الحكماء، ارتباط بالموضوع الرئيسي، وقد لا يكون، ولكنّها حُفظت في موضعها

لما تحمل من العبر للأجيال الطالعة (هذه النصوص لا تخضع للترتيب السابق أي : مشناه ومن ثم جمرًا) :

٢ - " عندما توفي رابي بون ابن رابي حيبّا، جاء رابي زعيرا لوداعه قائلاً : "نوم المشتغل حلوٌ إن أكل قليلاً أو كثيراً" (جا ١٢:٥). بماذا نشبّه؟ بملك لديه الكثير من العمّال، وكان من بينهم من كان يتعب في عمله. ماذا فعل الملك؟ دعاه ليتمشّى معه. وعند حلول المساء، حضر العمّال ليتقاضوا أجرهم، فدفّع الملك لذاك العامل (الذي تمشّى معه) كامل أجرته. فتذمّر الآخرون قائلين : لقد تعبنا النهار كلّهُ وهذا ما تعب سوى ساعتين، ويعطيه أجراً كأجرنا! قال لهم الملك : لقد تعب هذا في ساعتين، أكثر ممّا تعبتم أنتم طوال النهار. هكذا وفي ثمانية وعشرين سنة، تعب رابي بون، في دراسة التوراة، أكثر من أي تلميذ متوقّد الذهن يتعب حتى المئة من عمره " (تل قل، برخ ٨:٢).

٣ - " كان والدي أبويا من أعيان أورشليم. دعا في يوم ختاني، كبار أعيان المدينة، ووضعهم في منزل. بينما رابي إلّعزر ورابي يهوشوع، وضعهما في منزل آخر. وعندما فرغ المدعوون من الأكل والشرب، أخذوا يصقّقون ويرقصون. قال رابي إلّعزر لرابي يهوشوع : بينما هؤلاء يمضون وقتهم على سجيّتهم، لنقض وقتنا كما يحلو لنا.

فهّمّا بالانشغال بكلمات التوراة، يتنقّلون من التوراة إلى الأنبياء، ومن الأنبياء إلى الكتب. فنزلت نار من السماء وأحاطت بهما. فقال لهما والدي : يا معلّمَي! أتيتما لتضرما النار في بيتي؟ أجاباه : لا سمح الله! لقد كنّا جالسين نعمل عقداً (מְעֻדִים) من كلمات الببليا. ننقل من التوراة إلى الأنبياء، ومن الأنبياء الى الكتب، فإذا بالكلمات تغتبط كما اغتبطت لحظة إعطائها في سيناء، وأخذت النار تلامسها كما لامستها هناك. فإنّه عندما أعطيت هذه الكلمات، في سيناء، للمرّة الأولى، بالنار أعطيت، كما قيل : "والجبل يضطرم بالنار إلى كبد

السماء" (تث ٤: ١١). عندئذ قال لهما والدي : يا معلّمَيّ! طالما أنّ هذه هي قوّة التوراة، فهذا الولد، لو عاش، سأكرّسه لدراسة التوراة" (تل فل، حجي ٧٧: ٢).

نصوص من التلمود البابلي

لقد اخترنا نصّين من التلمود البابلي وقد أوردناهما كما هو ترتيبهما في النصّ الأصلي العبري والآرامي (مشناه ثمّ جمرّاه). هذان النصّان يدلّان القارئ على فحوى هذا التلمود، وعلى طريقته في معالجة المسائل العالقة، في ما يخصّ السلوك والمعتقد اليهوديّين.

النصّ الأوّل، يعالج مسألة سلوكيّة، تختصّ بممارسة الصلاة الأساسيّة، في الليتورجيا اليهوديّة وهي صلاة "إسمع يا إسرائيل، الربّ إلهك، الربّ واحد..." (تث ٦: ٤). تتلى هذه الصلاة ثلاث مرّات في اليوم، لذا تُطرح مسألة الوقت الأنسب، عند المساء، لتلاوتها. آراء متعدّدة مطروحة، ولكنّ الرأي الأفضل هو الذي يصبح قاعدة السلوك أو الهلّكّاه .

والنصّ الثاني، يعالج مسألة معتقد أساسي، في اليهوديّة الفريسيّة، ومن ثمّ الرابّينيّة، ألا وهو الاعتقاد بقيامة الأموات، الذي رفضه الصادوقيّون، وقد كانوا يأخذون بحرفيّة التوراة، دون اللجوء إلى التوراة الشفهيّة، التي هي شرح للتوراة الكتابيّة. يُظهر هذا النصّ بوضوح، الخلاف حول إمكانيّة اكتشاف دعم واضح، لمعتقد قيامة الأموات، في التوراة، يفحم مزاعم المشكّكين، وهذا كان الشغل الشاغل للفريسيين ومن بعدهم الرّبّانيم.

٤ - (مشناه) "متى يتلون "إسمع يا إسرائيل" عند المساء؟- من الساعة التي يدخل فيها الكهنة لأكل (حصّتهم) من التقديمات حتى آخر الهجعة الأولى، كلمات رابي إلّعزر. وحكماء يقولون : حتى منتصف الليل. يقول ربّان جمليل : حتى بزوغ الفجر.

(جمرّاه) حدث أنّ رجلاً رجع أبناء (ربّان جمليل) من وليمة وقالوا له : لم ننتلْ بعد

"إسمع يا إسرائيل...". فقال لهم : طالما لم يبرزغ بعد الفجر، أنتم ملزمون بتلاوتها. حتى لو قال الحكماء "حتى منتصف الليل"، تبقى الوصيّة، "حتى بزوغ الفجر". (هنا يبدأ ربّان جَمْلِيْل بإعطاء البراهين لدعم وجهة نظره، قائلاً :) إنَّ حرق الدهون والأعضاء، بحسب الوصيّة، (يدوم) حتى بزوغ الفجر. وكلّ ما يؤكل في يوم واحد، بحسب الوصيّة، (يدوم) حتى بزوغ الفجر. (قال أبناؤه) : ما دام الأمر كذلك، فلماذا إذن قال الحكماء "حتى منتصف الليل" ؟ لكي يُبعدوا الإنسان عن المخالفة " (تل با، برخ ٢ أ).

٥ - (المشناه) " لكلّ إسرائيل نصيب في العالم الآتي، لأنّه قيل : " وشعبك كلّهم أبرار الى الأبد، يرثون الأرض غصن غرسي عمل يديّ لأتمجّد " (أش ٦٠: ٢١). هؤلاء هم الذين لا نصيب لهم في العالم الآتي : القائل أن لا قيامة للأموات في التوراة، (والقائل) أن ليست التوراة من السماء، وأبيقوروس (الماجن الذي لا يعيش بحسب الوصايا). يقول رابي عقيبا : وحتى الذي يقرأ في الكتب الخارجيّة (غير القانونيّة). والذي يشكّك بالضربات (العشر على مصر). قائلاً : فمريضاً ممّا وضعتّه على المصريين لا أضع عليك. فأني أنا الربّ شافيك " (خر ١٥: ٢٦). يقول أبّا شاؤول : وحتى الذي يلفظ اسم الربّ بأحرفه (ي ه وه ٦٦٦). ثلاثة ملوك، وأربعة جهّال ليس لهم نصيب في العالم الآتي. ثلاثة ملوك (هم) : يربعام، وأحاب، ومنسى. يقول رابي يهودا : لمنسى نصيب في العالم الآتي، لأنّه قيل : " وصلىّ إليه فاستجاب له وسمع تضرّعه وردّه إلى اورشليم إلى مملكته " (٢ أخ ٣٣: ١٣). فقالوا له : أعاده إلى مملكته وليس إلى الحياة في العالم الآتي. أربعة جهّال (هم) : بلعام، ودوئج، وأحيتوفل، وجحازي.

(جَمْرًا) " ولم كلّ هذا؟ قال (أحد الحكماء) : لقد كفر بقيامة الأموات، لأجل هذا لن يكون له نصيب في العالم الآتي، لأنّ مقاييس القدّوس -مبارك- هو، هي كيل بكيل. قال رابي شِمُوئِل بَرْنَحْمَانِي نقلاً عن رابي يوناتان : من أين نعرف أن كلّ مقاييس القدّوس -مبارك- هو، هي كيل بكيل؟ لأنّه قيل : " وقال أليشع

اسمعوا كلام الرب هكذا قال الرب في مثل هذا الوقت غداً تكون كيلة الدقيق بشاقل وكيلتا الشعير بشاقل في باب السامرة" (٢ مل ١:٧) ... قال رابي يوحنا : من أين نستدل على قيامة الأموات في التوراة؟ لأنه قيل : " تعطون منها ربيعة الرب لهرون الكاهن " (عد ١٨: ٢٨)، أو يبقى هارون إلى الأبد (لتعطى له الربيعة كما في هذه الوصية)؟ وهو حتى لم يدخل أرض إسرائيل لكي تُعطاه الربيعة؛ إنما (المراد هنا) التعليم بأنه سوف يحيا، وأن إسرائيل سوف يعطونه الربيعة (ومن هنا نستنتج أن لقيامه الأموات ذكر في التوراة)...

قال رابي سيماي : من أين نستدل على قيامة الأموات في التوراة؟ - لأنه قيل: "وأيضاً أقمتُ معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها" (خر ٦: ٤)؛ لم يقل "لكم"، بل "لهم" - من هنا نستنتج قيامة الأموات من التوراة. سأل الهرافقة ربان جمليل : من أين (نعرف) أن القدوس - مبارك - هو يحيي الأموات؟ قال من التوراة، ومن الأنبياء، ومن الكتب (التاريخية والحكمية). فما اقتنعوا منه. من التوراة، لأنه مكتوب : "وقال الرب لموسى، ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم (٥٧٦)..." (تث ٣١: ١٦). قالوا له : أمر فيه ريب (إذ أن الآية تكمل فتقول) "فيقوم هذا الشعب فيفجر"!

من الأنبياء، لأنه مكتوب : "تحيا أمواتك تقوم الجثث. استيقظوا ترنموا يا سكان التراب. لأن طلكَ طل أعشاب والأرض تُسقط الأخيلة" (أش ٢٦: ١٩). - (قالوا) لربما كانوا الأموات الذين أحياهم حزقيال؟

من الكتب، لأنه مكتوب : "وحنك كأجود الخمر، لحبيبي السائغة المرققة السائغة (المتحركة) على شفاه النائمين" (نش ٧: ٩). - (قالوا) لربما تحركت شفاههم فقط، على ما (يعتقد) رابي يوحنا، لأنه قال نقلاً عن رابي شمعون بن يهوصاداق : كل من يذكر هلكاه (قاعدة سلوك) في فمه، في هذا العالم، تتحرك شفاته في القبر، لأنه قيل : "سائغة (متحركة) على شفاه النائمين".

عاد (ربان جمليل) وأعطاهم هذه الآية (كبرهان) : "التي أقسم الرب لأبائك

أن يعطيها لهم" (تث ١١: ٢١)، "لهم" قال وليس "لكم" - هذا دليل على قيامة الأموات من التوراة. وهناك من يقولون إنَّ في هذه الآية أيضاً (إثبات على قيامة الأموات): "وأما أنتم الملتصقون بالربِّ إلهكم فجميعكم أحياء اليوم" (تث ٤: ٤)، أمر بسيط، إذ تحيون اليوم، ولكن أيضاً في اليوم الذي يموت فيه الجميع، تحيون أنتم. كما أنتم اليوم أحياء، سوف تحيون أيضاً في العالم الآتي (تل با، سنه ١٩٠ - ب).

مع هذه النصوص التلموديّة، نختم الفصل السابع من كتابنا هذا، لنبدأ بفصل حول المدرّاش الذي هو مجموعة تفاسير الببليا، كما فسّرها الرّبّانيم وعلموها وتناقلوها، من جيل إلى جيل، لتصل إلينا، إمّا من خلال صفحات التلمود الفلسطينيّ والبابلي، وإمّا في مجموعات مدوّنة في كتب سُمّيت "مدرّاش ربّا"، أو المدرّاش الكبير.

الفصل التاسع

المحركات

الفصل الخامس

المدرش

١ - معنى لفظة مدراش وأبعادها

هي لفظة عبرية مشتقة من الجذر العبري "د ر ش" (דִּרְשׁ)، ومعناه دَرَسَ^{٤٦} وَبَحَثَ وَالتَّمَسَّ؛ منه الدرشان (דְּרָשָׁן) أي الباحث والمفسّر، ومنه أيضاً بيت هالمُدْرَاش (בֵּית הַמְּדִרָשׁ) (سير ٣٢: ٥١)، وهو الموضع الذي تتم فيه عملية البحث والدراسة، وغالباً ما يكون بالقرب من المجمع (בֵּית הַכְּנֶסֶת). ومنه دَرِشَاه (דְּרִישָׁה) أي التفسير، وتُستعمل في صيغة الجمع دَرِشَوْتُ (דְּרִישׁוֹת) أي تفاسير؛ وأخيراً منه المَدْرَاش (מְדִרָשׁ)، ويعني أمرين: إمّا البحث في الببليا، في سبيل تفسيرها وفهم معانيها، لأنّ النص المكتوب لا يُفصِح عن كل التفاصيل التي بإمكانها أن تسهّل الفهم وتكمل المعنى؛ وإمّا مجموعة الكتب التي نجمت عن هذه الأبحاث والتفاسير.

يرد الجذر "د ر ش" ١٥٠ مرّة في الببليا وفي صيغ مختلفة ومجمل معانيه تصبّ على معنى واحد هو "استعلم" و"التمس". أمّا معنى التفسير الببلي exégèse biblique فلم يتبلور ويتحدّد إلّا بدءاً من حقبة التناثيم (٢٠ ق.م - ٢٠٠ ق.م).

وبوجيز العبارة، يمكننا أن نحدّد المدراش على النحو التالي: أنّه تفسير

٤٦- هي الكلمة العربية الأقرب للجذر العبري ومعناها اللغوي الأساسي يقرب من المعنى العبري....

يهودي للبيبلية، كلام الله، من خلال البحث في النصّ وكلماته، والغوص في معانيها بهدف الوصول الى كاتبها وهو الله، غاية كلّ بحث وباحث؛ فبعضاً من صيغ الجذر "د ر ش" وردت في البيبلية لتدلّ على التماس الربّ، كمثّل: التمسوا (١٧٦٦) الربّ ما دام يوجد، أدعوه ما دام قريباً (أش ٥٥: ٦)؛ أو في موضع آخر: "التمستُ (١٧٦٦) الربّ فأجابني، ومن جميع أهوالِي أنقذني" (مز ٣٣: ٥).

إنّ غاية المدرّاش هي البحث عن الربّ نفسه، في البيبلية، وبشَتَّى الوسائل، التي يمكن للإنسان أن يستعملها ليصل إلى ضالته. وما العمل الضخم الذي نجم عن هذا البحث، إلّا دليل ساطع على السعي اليهودي الحثيث، لفهم كلام الله في البيبلية وهي، كما قال ابن بَجَبْجَ، مَعِين للحياة لا ينضب: "إِقلبها ثم اقلبها لأنّ كل شيء فيها، فنّدها فتشيب وتشيب في دراستها، ولا تتخلّ عنها لأنّ ليس لك قاعدة أفضل منها" (مش، ابوت ٥: ٢٢).

يشدّد الرّبّانيم على المصدر الإلهي للتوراة، لذلك لا يمكن للإنسان أن يستوعبها دفعة واحدة، هي التي تخبّي عن قارئها ودارسها والباحث فيها إثنين وسبعين وجهاً مختلفاً، عليه اكتشافها.

٢ - الأصول التاريخية للمدرّاش

على الرغم من ظهور المدرّاش كبحث منهجيّ في معاني التوراة، في القرنين الأوّل والثاني للميلاد، على يد التّنّائيم (٢٠-٢٠٠ م)، تعود جذوره التاريخية، الى الحقبة البيبلية، وتحديدًا، إلى حقبة ما بعد العودة من السبي إلى بابل (٥٣٨ ق.م).

يعود المؤرّخون إلى عزرا الكاتب و"الماهر في شريعة موسى التي أعطاه الربّ إله إسرائيل..." (عز ٧: ٦). خصوصاً وإنّه "وجّه قلبه لدرس شريعة الربّ والعمل بها، وليعلّم في إسرائيل الفرائض والأحكام" (عز ٧: ١٠). كان عزرا أوّل

من قام في إسرائيل بهذا العمل التأسيسي الذي ظهرت ثماره، في مجموعة من الكتب، أسَّسها لتعاونه في تفسير كلمات التوراة جهاراً أمام الشعب.

لقد حفظ لنا سفر نحemia في فصله الثامن كيف علّم عزرا والكتبه الشعب في عيد الأكواخ :

"ولما كان الشهر السابع، وبنو إسرائيل في مدنهم، اجتمع الشعب كله كرجل واحد في الساحة التي أمام باب المياه، وتكلّموا مع عزرا الكاتب في إحضار سفر شريعة موسى التي أمر بها الربّ إسرائيل. فأحضر عزرا الكاهن الشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكلّ ذي فهم، لسمع في اليوم الأوّل من الشهر السابع وقرأ فيه في الساحة التي أمام باب المياه، من الصبح إلى نصف النهار، أمام الرجال والنساء وكلّ ذي فهم، وأذان كلّ الشعب مصغية إلى سفر الشريعة. وقام عزرا الكاتب على منبر من خشب مصنوع لذلك، وقام بجانبه متتيا وشامع، عنايا وأورياً وحلقياً ومعسيا عن يمينه، وفدايا وميشائيل وملكيّا وحشوم وحشبدانة وزكريّا ومشلّام عن يساره. وفتح عزرا السفر على عيون كلّ الشعب، لأنّه كان فوق الشعب كلّّه، ولما فتحه وقف الشعب كلّّه. وبارك عزرا الربّ الإله العظيم، فأجاب كلّ الشعب : "آمين، آمين"، رافعين أيديهم وارتموا وسجدوا بوجوههم للربّ إلى الأرض. وكان يشوع وباني وشربيا ويامين وعقوب وشبتي وهوديا ومعسيا وقليطا وعزريا ويوزاباد وحانان وفلايا واللاويون يشرحون الشريعة للشعب، والشعب في موقفه. فقرأوا في سفر شريعة الله مترجمين وشارحين المعنى حتى فهموا القراءة. (ثم إنّ نحemia الذي هو الترشاتا)، وعزرا الكاهن الكاتب (واللاويون الذين كانوا يعلمون الشعب) قال لكلّ الشعب : "هذا يوم مقدّس للربّ إلهكم، فلا تنوحوا ولا تبكوا"، وكان الشعب كلّّه يبكي عند سماعه كلمات الشريعة..." (نح ٧: ٧٢ ب - ٨: ١ - ٩).

إذن، لقد نشأ المدرّاش، عندما بوشر بشرح التوراة، علانية أمام الشعب، تحت شكل عظات تُدعى في العبريّة دِرْشَوْت (דרשות)، والتي سوف تتطوّر مع

الوقت في كتابات إسرائيل القانونية، وغير القانونية او الخارجية، (كتابات ما بين العهدين) لتصبح هي بدورها في أيام التنايم (٢٠-٢٠٠ م.) والأمورائيم (٢٢٠-٦٠٠ م.) جزءاً لا يتجزأ من التقليد المقدس، وليصبح عنصراً من عناصر التوراة الشفهية التي هي شرح التوراة المكتوبة.

٣ - المدراس في البيبليا القانونية

إذا كان المدراس قد بدأ مع عزرا، شفهيًا وفي العلن أمام كل الشعب، فهو بدأ أيضاً كتابياً في البيبليا التي هي بدورها مدراس، همها الأول، نقل كلام الرب وتأويله، بحسب معطيات الظرف المكاني والزمني. وما سفر تثنية الاشتراع، سوى خير دليل على هذا التأويل الذي ليس سوى تفسير جديد لتقليدين سابقين هما التقليد الإلهوي والتقليد اليهودي، وكذلك سفرا الأخبار هما تأويل لسفر تثنية الاشتراع لجعل أحكامه متطابقة لظروف جماعة إسرائيل في فترة الحكم الفارسي^{٤٧}.

٤ - المدراس في "الأسفار الخارجية"

وهي كتب ما بين العهدين : الكتب القانونية الثانية التي ترد في القانون الإسكندري دون الأورشليمي، وهي سبعة أسفار (طوبيا، يهوديت، حكمة، سيراخ، باروخ، رسالة إرميا، مكابيين الأول والثاني)، ومن ثم الأسفار المنحولة (كتاب أحنوخ، سابع الآباء، كتاب اليوبيلات، وصيات الآباء الإثني عشر، كتاب العاديات البيبلية...).

فإنه مع التحديد النهائي لقانون البيبليا (العهد القديم)، على يد علماء اليهود التنايم، نحو سنة ٩٠ م.، تم تحديد الأسفار غير القانونية، وقد دعوا "الأسفار

٤٧- Manns F., Le Midrach, approche et commentaire de l'Ecriture, Jérusalem راجع 1990, p.4-5.

الخارجية" (ספרים חיצונים) أي الأسفار الخارجة عن القانون البيبلي والتي ليس لها الأهمية التعليمية، كالأسفار القانونية. كما يمكن التحدّث أيضاً، ضمن هذا الإطار، عن كتابات فلافيوس يوسيفوس، وبالأخصّ كتاباته التي تتعلّق بالبيبليا وكتابات قمران لا تُستثنى من هذه الفئة، لا سيّما وأنّها تعتمد على تفسير البيبليا هي أيضاً، ويدعى هذا التفسير "فِشِر" (פִּשְׁרָא).

هذا في فلسطين، أمّا في الشتات فيمكننا أن نتحدّث عن الترجمة السبعينية، وغيرها من الترجمات، وكتابات فيلون الإسكندري (٢٠ ق.م - ٤٥ م.م.)، وجميعها كُتبت باليونانية. تُعتبر جميع كتابات ما بين العهدين، كما الكتب القانونية، مرحلة سابقة لنشأة المِدرَاش الرابيني الذي يحدّد المؤرّخون حقبة بين القرنين الأوّل والثامن للميلاد.

٥ - أنواع المِدرَاش : مِدرَاش هَلَخَاه و مِدرَاش أُجْدَاه

يُعنى المِدرَاش بتفسير التوراة في جميع أقسامها السلوكيّة منها والقصصيّة. من هنا لا بدّ من أن يختلف الأسلوب التفسيري لينجم عنه نوعان من المِدرَاشيم : مِدرَاش هَلَخَاه، أو التفسير السلوكي، وهو نتاج مرحلة العلماء التّنائيم، والمِدرَاش أُعْدَاه، أو التفسير القصصي، وهو نتاج مرحلة العلماء الأمورائيم. وتجدر الملاحظة إلى أنّ هذا التمييز النوعي والزمني بين المِدرَاش هَلَخَاه، والمِدرَاش أُعْدَاه، ليس قاطعاً، بمعنى أنّ ال هَلَخَاه أو الأُعْدَاه تتواجدان في هذه الحقبة وتلك، وعند هؤلاء أو أولئك من الحكماء.

■ مِدرَاش هَلَخَاه (מִדְרַשׁ הֶלְכָּה)

إنّ لفظة "هَلَخَاه" تشتقّ من الجذر "ه ل خ" (הלך) أي سلك، سار ومشى، والهَلَخَاه تعني السلوك، والمِدرَاش هَلَخَاه، هو المِدرَاش الذي يبحث عن أحكام السلوك وقواعده في نصوص التوراة : يفسّر الباحث الآيات ليتّرجمها قاعدة

سلوك، تكون للشعب سبيلاً للعيش بحسب إرادة الله. أسلوب الهكّاه تشريعي جاف بعض الشيء، وبعيد من اجتذاب سمع الحاضرين.

نصوص

أ - سلوك المائدة بحسب بيت شمّاي وبيت هيلّ

"هذه هي الأمور (الخلافيّة) التي بين بيت شمّاي وبيت هيلّ في شأن المائدة. يقولون في بيت شمّاي: يُبارك أولاً على اليوم (سبت أو عيد)، ومن ثم يُبارك على الخمر. وبيت هيلّ يقولون: يُبارك أولاً على الخمر، ومن ثم يُبارك على اليوم. يقولون في بيت شمّاي: يغسلون الأيدي وبعد ذلك يملأون الكأس (خمرًا). وبيت هيلّ يقولون: يملأون الكأس وبعد ذلك يغسلون الأيدي. يقولون في بيت شمّاي: من ينشّف يديه بمنشفة، يضعها على الطاولة. في بيت هيلّ يقولون: يضعها على الكرسي. يقولون في بيت شمّاي: (بعد الطعام) ينظّفون البيت ومن ثم يغسلون أيديهم. أمّا في بيت هيلّ فيقولون: يغسلون أيديهم قبل التنظيف" (مشن، برخ ٨: ١-٤).

ب - في هذا المدرّاش موضوعات متفرّقة: تفسير (تث ٦: ٤)، وسلوك اليهودي أمام الباب الشرقي للهيكل، والردّ على الهرطقة القائلين بوجود عالم واحد، والسلام من دون ذكر اسم الربّ (يهوه)، واحترام شيوخ الشعب...

"واجب على الإنسان أن يبارك (الله) في حال الشرّ كما يباركه في حال الخير، لأنّه قيل: "أحبب الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ قدرتك" (تث ٦: ٤). "من كلّ قلبك"، أي بميليك الإثنين، الميل الصالح والميل الشرير. "ومن كلّ نفسك"، وهو قادر على أخذ نفسك. "ومن كلّ قدرتك"، وبكلّ مالك. تفسير آخر: "ومن كلّ قدرتك" (בְּכָל מְאֵצְךָ)، عن كلّ كيل (מִקֵּיל) فكيل يكيّله (מִקֵּיל) لك، أشكره (מִקֵּיל) بدون مقياس (بالكثير الكثير).

لا يتصرّف الإنسان بخفّة أمام باب (الهيكل) الشرقي، الذي يؤدّي إلى أمام قدس الأقداس. ولا يدخل إلى جبل بيت المقدس بعصاه، ولا بنعليه، ولا بصرّته، ولا بغبار رجله. ولا يستخدم (الباب الشرقي) كطريق مختصر، وكم بالأحرى أن يُمنع فيه البصق.

كان جميع الذين يتلون البركة الختامية في الهيكل يقولون : (مبارك الربّ إله إسرائيل) منذ نشأة العالم. عندما أخطأ الهراطقة وقالوا أن ليس سوى عالم واحد، اتفقوا أن يقولوا من هذا العالم حتى هذا العالم؛ واتفقوا (أيضاً) على أن يسأل الإنسان السلام لصديقه باسم (الله)، لأنّه قيل : " وإذا ببوعز قد جاء من بيت لحم وقال للحصّادين الربّ معكم. فقالوا يباركك الربّ؛ وقد قيل أيضاً : " الربّ معك يا جبار البأس " (قض ٦: ١٢). وفي موضع آخر قيل : " ولا تحتقر أمك إذا شاخت " (أم ٢٣: ٢٢). وفي موضع آخر قيل : " إنّه وقت عمل للربّ. قد نقضوا شريعتك " (مز ١١٩: ١٢٦). قال رابي ناتان : " نقضوا شريعتك "، يمكن نقض الشريعة إذا كان ذلك في سبيل الله " (مشن، برخ ٥: ٩).

ج - في هذا النصّ من الهلّحاه، تحديد لمواعيد الصلوات التي على كلّ يهودي الالتزام بها يوميّاً : صلاة الصباح، وبعد الظهر، والمساء. هذه المواعيد هي بالأساس مواعيد تقديم الذبائح في الهيكل، ولكن بعد دماره، استعويض عن الذبائح الدموية بذبائح روحية، ومن أجل ممارستها يعود الحكماء إلى التوراة ليدعموا هذا الترتيب بسلوك من الآباء، إبراهيم وإسحق ويعقوب، وهم فتقّناد بسلوكهم كلّ الأجيال :

" وبكر إبراهيم في الغد إلى المكان الذي وقف فيه الربّ " (تك ١٩: ٢٧)، من هنا كانت صلاة السحر (شَحَارِيت שַׁחֲרִית). " خرج (إسحق) يتأمّل (يتمشّى) في البرية في المساء " (تك ٢٤: ٦٣)، من هنا كانت صلاة بعد الظهر (مُنْحָא מִנְחָא). " فاجأ المغيب يعقوب في موضع فبات فيه ليلته " (تك ٢٨: ١١)، من هنا كانت صلاة المساء (عَرَبִית עֶרְבִית) " (تل با، برخ ٢٦ ب).

د - في هذا النصَّ تحديد لصلاة البركة التي لا تقوم إلا بذكر اسم الربَّ لأنَّها تصدر عنه وليس عن سواه : " قال راب : كلَّ بركة لا ذكر لاسم الربَّ فيها ليست بركة. ورابي يوحنا قال : " كلَّ بركة لا ذكر للموكية الربَّ فيها ليست بركة " (تل با، برخ ٤٠ ب).

ه - في هذا النص معالجة لمسألة العمل في الأيام التي لا يجوز فيها القيام بأي عمل كان : مساء الفصح، ومساء السبت ومساء الأعياد... :

(مشناه) " المكان الذي اعتادوا فيه على العمل من مساء الفصح حتى الظهر، يعملون، والمكان الذي لم يعتادوا فيه العمل، فلا يعملون. والمنتقل من مكان يعملون فيه، إلى مكان لا يعملون فيه، أو من مكان لا يعملون فيه إلى مكان يعملون فيه، يخضع لأقصى أحكام المكان الذي خرج منه أو لأحكام المكان الذي يذهب إليه. لا يبدل الانسان (العادة) تجنُّباً للخلاف.

وكذلك: الناقل ثمار السنة السابعة من مكان انتهت فيه، إلى مكان لم تنتهِ فيه، أو من مكان لم تنتهِ فيه، إلى مكان انتهت فيه، وجب إتلافها. يقول رابي يهودا: يقولون له، إذهب وأحضر لك أنت أيضاً " .

(جمراً) " لماذا الحديث عن (وقف الأعمال خصيصاً) مساء الفصح؟ إذ حتى في مساء السبوت وفي مساء الأعياد (يُمنع العمل ابتداءً من الظهر). تعليم خارجي (بَرِيْتَا ٣٦٦^{٤٨}) يقول : الذي يقوم بعمل مساء السبت أو مساء الأعياد، منذ المنْحَا (صلاة بعد الظهر) وصعوداً، لا يرى علامات بركة أبداً. وهناك يُمنع العمل منذ المنْحَا، وليس قبلها. بينما هنا (فيُمنع العمل) منذ الظهر. وهناك، (من يخالف) لا يرى علامات بركة ولكن لا يُدان، بينما هنا فهو يُدان أيضاً.

هوذا نصَّ (الهَلْخَاه) : الذي يقوم بعمل ما مساء السبت ومساء الأعياد بعد المنْحَا، أو حالاً عند الخروج من السبت أو الأعياد أو عند الخروج من يوم

الغفران، أو آية حالة فيها علامات مخالفة، ممّا يمنع صوماً عاماً لا يرى أبداً علامات بركة (في عمله).

عَلَم معلّمونا : يمكن أن يجتهد (في عمله) ويربح، ويمكن أن يجتهد ويخسر. يمكن أن يهمل فيربح، كما يمكن أن يخسر. هو مجتهد وربح من يعمل طوال الأسبوع ولا يعمل مساء السبت. هو مجتهد وخاسر من يعمل طوال الأسبوع وحتى مساء السبت. هو كسول وربح من لا يعمل طوال الأسبوع ولا مساء السبت. هو كسول وخاسر من لا يعمل طوال الأسبوع، بل يعمل مساء السبت... (تل با، فسخ ٥٠ أ-ب).

■ مدرّاش أَجْدَاه (מִדְרָשׁ אֲגָדָה)

إنّ لفظة "أجْدَاه" هي مشتقة من الجذر العبري "ن ج د" (נגד)، ومنه أيضاً لفظة "هَجْدَاه" (הִגְדָּה)؛ واللفظتان تعنيان روى، وأخبر، وقصّ، و سرد شفهيّاً. إلّا أنّ هاتين اللفظتين يختلف استعمالهما بحسب إطار هذا الاستعمال :

أ - فلفظة "أجْدَاه"، بحسب ما ورد في معجم ابن سوسان العبري، تعني قصّة تسرد أحداث وأحداث أبطال من البيبليا، أو من التاريخ الوطني، وذلك من خلال أمثال وحكم وردت في التلمود والمدارش؛ وجمعها "أجْدُوت" (אֲגָדוֹת).

ب - أمّا لفظة "هَجْدَاه" فهي، بحسب المعجم عينه، تعني إمّا مقولة ما (מִקְוֵלָה) وإمّا "أجْدَاه" بمعنى أقوال الحكماء كما سبق وذكرنا أعلاه. أمّا استعمال هذه اللفظة فهو منوط بإطار عيد الفصح، حيث تُسرد "رواية الفصح" على مسمع من جميع أفراد العائلة المجتمعّة للاحتفال بالمناسبة، وهذه الرواية يُقال لها بالعبريّة "هَجْدَات فِسْح" (הִגְדֹּת פֶּסַח)؛ وجمعها "هَجْدُوت" (הִגְדוֹת)، والفعل هو على وزن "هَفْعِيل" (הִפְעִיל)، أي "هَجّيد" (הִגִּיד) ومعناه روى وأخبر...

المعنى الأوّل هو المعنى الذي يناسب إطار بحثنا هنا في التمييز بين المدرّاش أَجْدَاه والمدرّاش هَلْخَاه.

والمدرّاش أجْدَاهُ، هو المدرّاش الذي يبحث في التوراة عن ما لا يعطيه نصّ التوراة المقتضب. فيذهب الباحث، في إرواء غليله، وغليل المستمعين، إلى الاستفاضة في تفسير تصرّفات الأشخاص ومسار الأحداث سعياً وراء معانٍ دينية، وعبر حياتية، وأمثلة تفسيرية، تسهّل على المستمع فهم كلمة الربّ، وبالتالي عيشها ببساطة وعمق.

يلجأ الدرّشان إلى المدرّاش أجْدَاهُ لكي يلطّف درسه أو عظته في موضوع من الهلّخاه، فيجذب سمع الحاضرين إليه، بإسماعهم بعض الحكم والأمثال والقصص المعبرة. لذا يقول مفسّرو الببليا في الأجْدَاهُ : "أتريد أن تتعرّف إلى من قال -فكان- العالم؟ أدرس الأجْدَاهُ، لأنك هكذا تتعرّف إلى القدّوس-مبارك- هو فتعلّق بسبله" (سفري" تث ١٢:٧...).

لقد استحوذت، كلّ من الهلّخاه أو الأجْدَاهُ، على اهتمام جميع الرّبانيم على السواء، ولكنّ التقليد يذكر لنا تصنيفاً وتمييزاً بين بعض العلماء ويخصّصهم في ناحية واحدة من المدرّاش، إمّا الهلّخاه، فيُدعى الرابي "صاحب هَلْخَاه" (הל'ל'ל) (הל'ל'ל)، وإمّا الأجْدَاهُ فيُدعى "صاحب أجْدَاه" (הל'ל'ל ٦٦٦٨) دون أن يخلو هذا التمييز من التنافس والتفضيل بين أصحاب هذه وتلك، كما جاء في هذا النصّ من الأدب الرابيني :

"دُعي رابي أبَاهو ورابي حيّاً برأباً إلى أحد الأمكنة. رابي أبَاهو يعلم المدرّاش أجْدَاهُ، ورابي حيّاً برأباً المدرّاش هَلْخَاه. ترك الجميع رابي حيّاً برأباً وأتوا إلى رابي أبَاهو. فانكسف خاطر رابي حيّاً برأباً. قال له رابي أبَاهو : سأضرب لك مثلاً (لأبيّن لك) ماذا يشبه هذا الأمر؟ (يشبه) رجلان خرجا إلى إحدى المدن، واحد ليبيع حجارة كريمة وجواهر، وآخر ليبيع خردوات. على من يتهافت

الناس؟ أليس على الذي يبيع الخردوات؟" (تل با، سوط ٤٠ أ).

نصوص

أ - حكمة آدم قبل السقوط في الخطيئة فاقت حكمة الملائكة

"قال رابي آحَا : الساعة التي قرّر فيها القدّوس-مبارك-هو أن يخلق الإنسان، استدعى ملائكة الخدمة وقال لهم : "لنصنع الإنسان..." (تك ١: ٢٦). قالوا له : الإنسان هذا ما نفعه؟ أجابهم : ستكون حكمته أعظم من حكمتكم. ماذا فعل؟ جمع كلّ البهائم والطيور لتمرّ من أمامهم (الملائكة)، وقال لهم : ما اسم هذه؟ فلم يعرفوا. عندما خلق الإنسان الأوّل جمع كلّ البهائم والطيور لتمرّ من أمامه، وقال له : ما اسم هذه؟ فأجاب : حسن أن يدعى ثور، وهذا حمار، وهذا حصان، وهذا جمل، وهذا أسد، وهذا نسر... وأنت ما اسمك؟ حسن أن أدعى آدم. ولماذا؟ لأنّي خلّقت من الأديم (أَدَمָא = אָדָמָא). وأنا ما هو اسمي؟ حسن أن تدعى السيّد (أدوناي יהוה = אֲדֹנָי). ولماذا؟ لأنك سيّد كلّ براياك " (تك " ربّا ١٧).

ب - إبراهيم وآلهة آبائه في أور الكلدانيين

"كانوا في بيت أبي إبراهيم يصنعون أصناماً ويبيعونها في السوق. جاء في أحد الأيام دور إبراهيم لبيعها. أعطاه تارح أبوه صناديق تحتوي على آلهة، فأخذه إلى السوق. جاءه رجل قائلاً له : أليديك إله للبيع؟ أجابه إبراهيم : أيّ إله تريد أن تأخذ؟ أجابه : أنا قوي، أعطني إلهاً قوياً مثلي. تناول إبراهيم صنماً كان موضوعاً فوق سائر الأصنام، وقال له : أعطني المال فأناولك هذا. قال له (الرجل) : وهل هذا الإله قويّ مثلي؟ أجابه إبراهيم : يا أحق، أتجهل أنت الآلهة؟ فالذي هو موضوع في أعلاها هو الأقوى من بينها.

وعندما همّ الرجل بالانصراف قال له إبراهيم : ابن كم من السنين أنت؟ أجابه : ابن سبعين سنة أنا. قال له إبراهيم : الويل لك هذا رجل، فهو ابن سبعين سنة

ويسجد لهذا (الصنم) وقد صُنِعَ اليوم. للحال أعاد الرجل الإله إلى داخل صندوق إبراهيم، وعاد أدراجَه " (تل با، فسح ١١٨).

ج - حول مولد موسى

"ولدت ابناً ورأت أنه حسن (طوب ٥٢) " (خر ٢: ٢). تَعَلَّمْنَا أَنَّ رَابِي مِثِير قال : كان اسمه حسن (طوب). قال رابي يهودا : لا بل اسمه طوبياً (الرب حسن). قال رابي نَحْمِيَا : كان معداً للنبوّة. قال آخرون : إنّه ولد مختوناً، والحكماء يقولون : عندما ولد موسى امتلأ البيت نوراً لأنّه مكتوب : "ورأى الله أنّه حسن (طوب) " (تك ٤: ١) (تل با، سوط ١٢).

د - لماذا خلق الله العالم بحرف الباء (ב)

"قال رابي يونا نقلاً عن رابي لاوي : خلق الله العالم بحرف الباء (ב). كما أنّ الباء (ב) هي مغلقة من كلّ جهة ومفتوحة باتجاه الأمام، هكذا فهو غير متاح لك أن تسأل : ماذا من أسفل، أو ماذا من أعلى، أو ماذا من قبل. لكن بإمكانك أن تسأل عما جرى منذ يوم خلق العالم. قال بركبّاره : إسألوا عن الأيام الأولى من قبلكم، منذ خلق الله... (تث ٤: ٣٢). فسّر رابي يهودا بن بازي عمل الخلق مثل بركبّاره : لماذا خلق الله العالم بالباء؟ لتعلم أنّ هناك عالين : هذا العالم والعالم الآتي.

تفسير آخر : لماذا بالباء؟ لأنّه حرف البركة (בִּרְחָא בְּרַכָּה). ولم لا بحرف الألف (א) ؟ لأنّه حرف اللعنة (أريراه אִירֵיחָא)...

قال رابي إيلعزّر نقلاً عن رابي أcha : على مدى عشرين جيلاً والألف (א) تتذمّر أمام عرش القدّوس -مبارك- هو قائلة له : يا سيّد العالم، إنني أوّل الأحرف ومع ذلك لم تخلق بي العالم! أجابها القدّوس -مبارك- هو : إنّ العالم وما فيه خُلِقَ من أجل التوراة كما هو مكتوب : "على الحكمة أسّس الربّ

الأرض" (أم ٣ : ١٩). غداً سوف أعطي التوراة في سيناء ولن أبداً إلا بك، كما قيل : "أنا (أنوخي אֲנֹכִי) هو الربّ إلهك... (خر ٢٠ : ٢) " (تك "رباً ١ : ١٠).

٤ - أهداف المِدرَاش

المِدرَاش هو بحث ببليي له أهدافه وأساليبه المحددة وقد حفظها لنا التقليد الشفهي منذ الكاتب عزرا والكتبة خلفائه، أعضاء المجمع الكبير، الذين حدّدوا الكثير من الأطر والأساليب المِدرَاشيّة، وصولاً الى التناثيم خلفائهم، والأمورائيم من بعدهم، الذين واصلوا البحث ودوّنوا معظم تفاسيرهم في مجموعات مِدرَاشيّة محفوظة حتى أيّامنا هذه. والدوافع إلى هذا النوع من التفاسير هي متعدّدة نختصرها في هذه النقاط الأربع التالية:

أ - ترجمة أحكام الببلييا إلى واقع الحياة

وهو الهدف الأساسي للمِدرَاش هَلْخَاه الذي يبحث في كَيْفِيّة تطبيق وصيّة قد يخفى فهمها على الناس العاديّين، فيسعى الرّبّانيم إلى الاتفاق على السلوك الأصح والأقرب، إلى روح نصّ التوراة. سنسرد نصّاً من "مِخيلتا رابي إسماعيل" (מִיְחֵילְתָא דְּרַבִּי אִשְׁמַעֵל) وهو مِدرَاش حول آية من سفر الخروج ١٢ : ٢، يوجد فيه تحديد لممارسة عيد الفصح وخاصة استهلاك الحمل الفصحي بين أفراد العائلة :

"في اليوم العاشر من هذا الشهر (نيسان)، يتّخذون لهم كلّ واحد حملاً بحسب بيوت الآباء، لكلّ بيت حملاً" (خر ١٢ : ٣). يمكنني أن أستنتج من هذه الآية أن بالإمكان اقتناء الحمل في اليوم العاشر، وفي اليوم الرابع عشر. من أين نستنتج ذلك؟ باستنتاج (يقوم على المقارنة): فإذا كان اليوم العاشر، ولا ذبيحة فيه، يصلح للإقتناء، فكم بالأحرى اليوم الرابع عشر الذي تجوز فيه الذبيحة، أن يجوز فيه الإقتناء؟ وفي اليوم الثالث عشر، من أين نستنتج ذلك؟ باستنتاج

(يقوم على المقارنة) : بما أن العاشر، وهو بعيد عن موعد الذبيحة، يجوز فيه الإقتناء، فكم بالأحرى الثالث عشر وهو الأقرب إلى موعد الذبيحة، أن يجوز فيه الإقتناء؟ وهذا يصلح أيضاً للحادي والثاني عشر... إلخ " (مخ" يش ١٢: ٢).

ب - توضيح بعض صعوبات في النصّ

تبرز للباحث أحياناً بعض الصعوبات في فهم النصّ الواحد الذي يظهر وكأنّه يحمل تناقضاً يضيّع المعنى الحقيقي، وقد يظهر التناقض بين نصّ وآخر، في سفر آخر، فيعمل الدرشان على حلّ المسألة بما أوتي من علم ومعرفة. إنّ مدرّاش سِفري حول آية من سفر العدد ٢٦: ٦، يعطينا مثلاً على كيفية معالجة التناقض الذي ليس هو سوى عَرَضِيّ إذ لا تناقض أصلاً في التوراة :

" تقول آية : " ويرفع الربّ وجهه نحوك... " (خر ٢٦: ٦)، وآية أخرى تقول :

" الذي لا يحابي (حرفياً لا يرفع) الوجوه " (تث ١٠: ١٧). فكيف تتوافق هاتان الآيتان؟ عندما يعمل إسرائيل إرادة المقام (פָּדָה) (تدلّ هذه العبارة على أحد أسماء الله)، " ويرفع الربّ وجهه نحوك... "، وعندما لا يعمل إسرائيل إرادة المقام، " الذي لا يحابي (حرفياً لا يرفع) الوجوه " (سِفري " عد ٢٦: ٦).

ج - تعليم الشعب وتشجيعه على عيش كلام الله

يسعى المدرّاش إلى فهم أفضل لكلام الله، بغية تشجيع الشعب وتحريضه على عيشه من خلال أخذ العبر من أحداث مدوّنة في الببيليا، أصلاً، لتعليم الشعب. وفي ما يلي نصّ تعليمي يرتكز على شرح آية من سفر المزامير ٥: ١١، وأخرى من تك ١: ٢٢، يُظهر فيه المدرّاش كيف أنّ البار، القوي المعدن، هو دائماً موضوع تجربة من قبل الله، ويصمد فيها، بينما الشرير هو الضعيف المعدن الذي لا يصمد في تجربة. من هنا " الربّ يتفحص البار " فليس على البار أن يتذمّر بل أن يفرح لأنّ الربّ يفتقده :

"الربّ يتفحص البارّ والشرير ومن يحبّ العنف فيبغضه" (مز ١١: ٥). قال رابي يوحنا: "لا يتفحص الفاخوري الأباريق الرديئة لأنّه يكفي أن يقسو عليها مرّة حتى يكسرها. ماذا يتفحص؟ الأباريق السليمة لأنّها وإن قسا عليها عدّة مرّات لا يكسرها. هكذا القدّوس -مبارك- هو لا يتفحص الأشرار بل الأخيار، لأنّه قيل: "الربّ يتفحص البار".

قال رابي يوسي بن حنينا: إنّ صانع الكتّان، عندما يتأكّد أنّ كتّانه جيّد، يضربه ليجود أكثر ويقسو عليه ليزداد لمعاناً. وعندما يدرك أنّ كتّانه سيء يكفي أن يقسو عليه مرّة واحدة حتى تتمزّق. هكذا القدّوس -مبارك- هو لا يتفحص الأشرار بل الأخيار، لأنّه قيل: "الربّ يتفحص البار". قال رابي إلّعزّر: ربّ بيت له بقرتان. إحدهما قويّة والثانية ضعيفة، على آية منها يضع النير؟ أليس على القويّة؟ هكذا القدّوس -مبارك- هو لا يتفحص الأشرار بل الأخيار، لأنّه قيل: "الربّ يتفحص البار".

تفسير آخر: "الربّ يتفحص البار"، المقصود هو إبراهيم "الربّ تفحص إبراهيم" (تك ٢٢: ١) (تك "رباً ٥٥، ٢).

د - الردّ على المشكّكين والمهرطقين

إنّ الأدب الدفاعي هو عصب هام في المدارس، خاصة وإنّ المفاهيم اليهوديّة عموماً، غير متوافقة مع المفاهيم الدينيّة المحيطة بإسرائيل؛ وأبرزها وحدانيّة الله، التي تتناقض مع تعدّد الآلهة، في الديانات الأخرى. ولا شيء يمنع أن نجد في المجتمع اليهودي نفسه تمايزاً، في إدراك الأمور بين فرقة يهوديّة وأخرى، والأدب الرابينيّ مليء بالنصوص الدفاعيّة، التي تدحض مزاعم من يسمّون بالهراطقة (ḥarapim)، أهليّنين كانوا، أم يهوداً، أم نصارى، فجميعهم أصبحوا خارج سرب الديانة الحقيقيّة التي باتت تتمثّل فقط، - وذلك بعد سنة ٧٠ م. - باليهوديّة الرابينيّة، وريثة الفريسيّة في جميع أبعادها، التاريخيّة واللاهوتيّة.

في هذا النص نجد حواراً بين هراطقة (هلينيين) لا يقبلون بوحداية الله التي لا تدعم صحتها - بحسب زعمهم - الكتب اليهودية :

"سأل هراطقة رابي سملاي : كم من الآلهة خلقوا العالم؟ أجابهم : علينا، أنتم وأنا أن نسأل الأيام الأولى كما هو مكتوب : "والآن فسل عن الأيام الأولى التي كانت من قبلك، منذ يوم خلق الرب الإنسان على الأرض..." (تث ٤: ٣٢). لم يكتب : خلقوا، بل خلق. سألوهم مجدداً قائلين : ما معنى المكتوب : "في البدء خلق الله" (إلوهيم "في صيغة الجمع)" ؟ أجابهم : لم يكتب : "إلوهيم" (الله) خلقوا، بل خلق... فعادوا وسألوه قائلين : ما معنى ما هو مكتوب : "لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا (في صيغة الجمع)" (تك ١: ٢٦) ؟ أجابهم : اقرأوا ما هو مكتوب بعدها، لم يكتب : "إلوهيم" خلقوا الإنسان على صورتهم، بل "إلوهيم" (الله) خلق الإنسان على صورته (تك ١: ٢٧)..." (تك "رباً، ٨ : ٩).

٥ - قواعد المدراس (המדרשות שהתורה נדרשת בהן)

تختصر قواعد الشرح الكتابي أو المدراس بهذه العبارة : "قَرَس" (פֶּרֶס) وهي تعني حرفياً الفردوس ولكن عملياً، فإن كل حرف من حروفها يعني كلمة تدل على نمط من أنماط الشرح البيبلي الرابيني : الفاء (פ) تعني "فشاط" (פֶּשַׁט) أي المعنى البسيط؛ الراء (ר) وتعني "رِمَز" (רִמָּז) أي المعنى الرمزي؛ الدال (ד) وتعني "دِرֶשׁ" (דִּרְשָׁן) أي المعنى التعليمي؛ السين (ס) وتعني "سود" (סוּד) أي المعنى السري. إنبثقت عن هذه الأنماط، طرق تفسيرية عديدة يصل عددها حتى الاثنتين والثلاثين: رابي هيلل أوجد سبع قواعد، ورابي يشمعل بن الإشاع، أوصلها إلى ثلاث عشرة؛ ومع رابي إلعر وصلت إلى إثنتين وثلاثين.

سنسرد هنا قواعد رابي هيلل السبع وهي أساسية :

أ - "كم بالحري" (קל וחומר) : وهي استنتاج من القليل إلى الكثير.

- ب - "استنتاج عن طريقة المقارنة" (גִּזְרֵה שְׁוָא) : تعتمد على المقارنة بين مفردات تتردّد هي ، ولكن فذاتها في نصوص مختلفة.
- ج - "استدلال من آية واحدة" (בְּנִין אֶב מִפְתּוֹב אֶחָד) : تطبيق قاعدة ترتكز على آية واحدة في إطار أوسع.
- د - "استدلال بالمقارنة بين آيتين" (בְּנִין אֶב מִשְׁנֵי כְתוּבִים) : استنتاج تعليم إنطلاقاً من المقارنة بين آيتين تؤخذان معاً.
- ه - "من العام إلى الخاص، ومن الخاص إلى العام" (כָּלל וּפְרָט - פְּרָט וּכְלָל) : استنتاج الخاص من العام، و العام من الخاص.
- و - "كما استنتج في موضع آخر" (פְּיוּזָא בּוּ בְּמָקוֹם אֲחֵר) : استنتاج تعليم قائم على المقاربة بين نصّين مختلفين.
- ز - "استنتاج يستند على إطار النصّ" (דְּבַר הַלָּמֵד מֵעֲנִינוֹ) : توضيح معنى الآية من خلال إطارها في سبيل استنتاج التعليم الذي تحمله.

٦ - المدارس المِدرَاشيّة

وأشهرها، قبل دمار أورشليم (٧٠ م.)، مدرستا رابي هيلل ورابي شمعائي. أمّا بعد هذا الدمار، فقد انتشرت هذه المدارس، بشكل أوسع، وبفعل تعاظم شأن دراسة التوراة في الجماعة اليهوديّة.

ففي الحقبة التّنائيّة ظهرت مدرستان تمثّلان نمطين مختلفين في الشرح البيبلي، وهما : مدرسة رابي عقيبا التي تأخذ بعين الاعتبار، عند شرحها النصّ البيبلي، بكل كلمة وبكل حرف؛ ومدرسة رابي يشمعيل يقول بأن لا ترتيب زمني في التوراة، أي لا تقديم ولا تأخير في أحداثها ("אֵין מוקדם ומאוחר בתורה") (تل با، فسح ٦)، وأنّ التوراة تتكلّم بلغة البشر ("דְּבַר הַתּוֹרָה כְּלָשׁוֹן בְּנֵי אָדָם") (تل با، برخ ٣١).

نتج عن هاتين المدرستين، دراسات مِدرَاشيّة سلوكيّة (הֶלְخָאָה) عديدة: مِخילتا

(מְכֻלָּתָא) حول سفر الخروج، سيفرا (ספרא) حول سفر الأخبار أو تورا الكهنة (תורת כהנים)، سيفري (ספרי) حول سفرَي العدد وتثنية الاشتراع. ومدارش الأجداه هي مشتركة بين المدرستين مع بعض الفروقات البسيطة، أما مدارش الهلخاه، فهي مختلفة بسبب اختلاف وجهات النظر بين المدرستين من حيث مبادئ البحث وأهدافه.

وعلى سبيل المثال سنورد نصاً يُظهر وجهات الخلاف المنهجية بين المدرستين المتمثلتين برابي عقيبا ورابي يشمعل. والموضوع يدور حول كيفية استنتاج تعليم حول قيامة الأموات من آية في التوراة (عد ١٥: ٣١) :

"قال رابي إلعرز ابن رابي يوسي : بكلامي هذا أظهرتُ رَيْفَ كتب الهراطقة الذين يقولون أن لا قيامة للأموات في التوراة. قلتُ لهم : لقد حرّقتُم توراتكم ولكن هذا لم ينفعكم شيئا. طالما أنكم تنكرون أن لقيامة الأموات (ذِكْرًا) في التوراة، ها هو نصّ يقول : "لأنّها احتقرت كلام الربّ ونقضت وصيّته. قطعاً تُقطع تلك النفس، ذنبها عليها" (عد ١٥: ٣١). "قطعاً تُقطع هذه النفس" في هذا العالم، و "ذنبها عليها"، إلى متى؟ أليس في العالم الآتي؟

قال راب فاذا لأببي : لماذا لم (يستنتج هذا العالم والعالم الآتي) من (تكرار الفعل) "قطعاً تُقطع" ؟ لأنّه كان بوسعهم أن يقولوا له : "إنّ التوراة تتكلّم بلغة البشر"، وهناك تعليم يقول أن "قطعاً تُقطع" : "قطعاً" في هذا العالم، و "تُقطع" في العالم الآتي. هذا رأي رابي عقيبا. قال له رابي يشمعل (بن إيشاع) ها قد ذُكر (في الآية السابقة) "...فهي تزدري بالربّ فتُقطع تلك النفس من بين شعبها" (عد ١٥: ٣٠) أيوجد إذا ثلاثة عوالم؟ وإلا فإنّ "تُقطع" (في الآية ٣٠) في هذا العالم، و "قطعاً" (في الآية ٣١) في العالم الآتي، و "قطعاً تُقطع" كأنّ التوراة تتكلّم بلغة البشر.

بين رابي يشمعل ورابي عقيبا تبقى مسألة "ذنبها عليها" عالقة، وما العمل بها؟ هناك تعليم يقول : (يبقى ذنبها عليها) حتى ولو أظهرت توبة، لهذا قالت

التوراة " ذنبها عليها " ، ولا أقول هذا إلا عندما يكون ذنبها عليها (وليس إذا أظهرت توبة قبل الموت) " (تل با، سنه ٩٠ ب).

٧ - بعض عناصر المِدرَاش أَجْدَاه

أ - الافتتاحية (פתיחה)

وتعني افتتاح ليتورجياً الكلمة، أو فتح أذهان المستمعين، أو فتح معنى النصّ. تُعرف الافتتاحية من خلال تعبير اصطلاحي يستعمل للدلالة عليها فيقال : إفتتح رابي فلان، أي بدأ عظته التي يهيئ بها المستمعين لسماع نصّ من التوراة.

للافتتاحية نظمها وهيكليتها : فهي تبدأ، في غالب الأحيان، بأية من " الكتب " (כְּתוּבִים) أي من القسم الثالث من القانون الكتابي الأورشليمي. قد لا يكون لهذه الآية أية علاقة بنصّ التوراة المزمع قراءته. ولكنّ حذاقة الواعظ تقتضي إثارة فضول الحاضرين وجذبهم وتهيئتهم للدخول في النصّ التوراتي بعد ربطه به، فيكون أنّ الافتتاحية تنتهي حيث يجب أن تبدأ قراءة نصّ التوراة المخصّص للمناسبة. وهاك نصّاً على سبيل المثال، يلقي نظرة على ما هي الافتتاحية :

" افتتح رابي هوشعيا ربّا : " وكنتُ عنده معلّماً (أمون) " (أم ٨ : ٣٠) - فنّاناً (أمان). تقول التوراة : أنا كنت أداة فنّ القدّوس-مبارك-هو. فبحسب منهج العالم، عندما يبني ملك من لحم ودم قصراً، لا يبنيه من تلقاء نفسه، بل يتكل على معلّم فنّان. وكذلك المعلّم الفنّان لا يبني من تلقاء نفسه لأنّه يملك قراطيس وسجّلات ليعرف كيف يصنع الغرف، وكيف يصنع الأبواب الصغيرة. هكذا كان القدّوس-مبارك-هو يتأمّل في التوراة ويخلق العالم " (تك " ربّا ١).

ب - العقد (קרייה)

وهو يقوم على مبدأ التأكيد على وحدة الببيليا في أقسامها الثلاثة : التوراة،

والأنبياء، والكتب، والمقصود هو وحدة الوحي ووحدة كلام الله في كل الكتب. وتقوم هذه الطريقة على تشكيل عقد من الآيات التي تفسر بعضها بعضاً من الأقسام الثلاثة، وهاك نصّ من مدرّاش نشيد الأناشيد ربّا ١: ١٠ :

"ما أجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد" (نش ١: ١٠). عندما كانوا يعقدون عقداً من كلمات التوراة، ومن التوراة إلى الأنبياء، ومن الأنبياء إلى الكتب، كانت النار تلتهب حولهم، وكانت الكلمات تفرح وكأنّها تُعطى في سيناء : عندما أعطيت للمرّة الأولى في سيناء، ألم تُعطَ بالنار، كما هو مكتوب : "والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء" (تث ١١: ٤).

كان بن عزّاي جالساً يبحث في الببليا، والنار مضطربة من حوله. فراحوا وقالوا لرابي عقيبا : رابي! بن عزّاي جالس يبحث في الببليا والنار مضطربة من حوله. فاقترّب منه وسأله : لقد سمعتم يقولون إنك تبحث في الببليا والنار من حولك. فأجابه : نعم. فسأله رابي عقيبا : لعلك تدرس أسرار المركبة (حز ١)؟ فأجابه : كلاً، ولكنّي كنتُ جالساً، أعقد عقداً (תְּהִיָּה) من كلمات التوراة، مروراً بالأنبياء، فالكتب، وكانت الكلمات مغتبطة كما كانت لحظة إعطائها في سيناء، وكانت رقيقة كما كانت عند إعطائها للمرّة الأولى، لأن عندما أعطيت للمرّة الأولى، ألم تُعطَ في النار "والجبل يضطرم"؟ (نش "ربّا ١: ١٠).

٨ - عرض عام للمدارش

■ المدارس السلوكيّة (מִדְרָשׁ הַלְכוּתִי)

١- **مخيلتا درابي يشمعل (מִכְלֵתָא דְרַבִּי יִשְׁמַעֵל)** : عبارة "مخيلتا" (מִכְלֵתָא) هي آراميّة، وتعني المقياس أو المكيال، أي أنّها مدرّاش يتّبع قواعد ومقاييس التفسير، التي يعتمدها المدرّاش السلوكي. وهو معروف باسم رابي يشمعل لأنّ اسم هذا الأخير يرد في المدرّاش بكثرة. نجد في هذا المدرّاش، تفسيراً لبعض من فصول سفر الخروج (١: ١٢ - ٢٣؛ ١٩؛ ٣١؛ ١٢ - ١٧؛ ٣٥ - ١ - ٣).

٢- **مِخِيلَتَا دِرَابِي شِمْعُون بن يوحاي** (מִיכָלְתָא דִּרְבִּי שִׁמְעוֹן בֶּן יוֹחַי): هو مدرّاش سلوكي، يحمل سمات مدرسة رابي عقيبا. فيه تفسير لسفر الخروج، بدءاً من الفصل ١:٣. يقال إنّ رابي شِمْعُون بن يوحاي بدأ في تدوينه، وأكمله رابي حزقيّا بن حيّا. انتهى تدوينه في بداية القرن الخامس للميلاد.

٣- **مِخِيلَتَا تَثْنِيَة الاشتراع** (מִיכָלְתָא דִּבְרֵי שְׁמַעְיֵאל): هو تفسير لمجمل سفر تثنية الاشتراع، ولكن لم يبقَ منه سوى مقتطفات. خصائصه اللغويّة والتفسيرية، وأسماء الرّبّانيم الواردة فيه، جميعها، تدلّ على أنّه يعود إلى مدرسة رابي عقيبا. هناك صعوبة في تحديد تاريخ تدوينه.

٤- **سيفرَا (ספרא)**: لفظة آراميّة وتعني الكتاب. هو مدرّاش سلوكي، يفسّر سفر الأخبار آية بآية. لا يحتوي على عناصر أُعَدِّيّة. يُنسب إلى رابي يهودا بن إلعاي، تلميذ رابي عقيبا. يرجّح أن يكون تاريخ تدوينه، بين النصف الثاني من القرن الثالث، وبداية القرن الرابع للميلاد.

٥- **سيفري (ספרי)**: لفظة آراميّة، في صيغة الجمع المطلق، وتعني الكتب. وهو اسم يُطلق على مجموعة التفاسير السلوكيّة الخاصة بسفري العدد وتثنية الاشتراع. سيفري حول سفر العدد، هو تفسير لآيات السفر ومفرداته، ابتداءً من الفصل الخامس. فيه، إلى جانب، الهلّخوُت السلوكيّة، بعض من الأعدوت القصصيّة. توجد فيه عناصر من المدرستين، مدرسة رابي يشمَعُئِل ورابي عقيبا. دُوّن في النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد. سيفري حول سفر تثنية الاشتراع هو تفسير لبعض فصول هذا السفر. يحتوي على أقسام سلوكيّة تعود إلى مدرسة رابي عقيبا، وأقسام قصصيّة، تعود إلى مدرسة رابي يشمَعُئِل. يعود تدوينه إلى نهاية القرن الثالث للميلاد في فلسطين. سيفري زوطا (ספרי זוטא) أو سيفري الصغير، وهو قريب في موضوعاته، من سيفري حول سفر العدد. دُوّن قرابةً نهاية القرن الثالث للميلاد، في فلسطين.

■ المدارس الأجدائيّة أو القصصيّة (מדרש אגדה)

تُقسم مدارس الأجداه إلى قسمين رئيسين وهما : مدارس التفسير البيبلي وأبرزها المدارس ربّا (الكبير) والمدارس الوعظيّة.

■ المدارس ربّا (الكبير) (מדרש רב)

وهو مدرّاش حول مجمل كتب التوراة الخمسة، بالإضافة إلى أسفار خمس تُدعى بالعبريّة "مجيّلات" (מגילות)، أي أدراج (جمع دُرج)، وهي الأسفار التالية أسماؤها : نشيد الأناشيد، راعوت، المراثي، الجامعة، أستير. لم يُكتب هذا المدرّاش دفعة واحدة، بل على مراحل وأجيال عدّة.

١- تكوين ربّا (פירוש רב) هو تفسير لسفر التكوين، دُوّن في فلسطين، نحو بداية القرن الخامس للميلاد.

٢- خروج ربّا (פירוש שמות) هو تفسير لسفر الخروج. يُقسم إلى قسمين : القسم الأوّل، وهو من الفصل الأوّل، حتى الرابع عشر، وفيه شرح مفصّل للفصول ١-١٠، من سفر الخروج. تضاربت الآراء حول فترة تدوينه، فتراوحت، بحسب العلماء، بين القرن السابع والقرن الثاني عشر للميلاد، في فلسطين. والقسم الثاني، من الفصل الخامس عشر، حتى الفصل الثاني والخمسين، وهي مدرّاش وعظي، فيه الكثير من الأمثال. دُوّن قرابة القرن التاسع للميلاد.

٣- الأحبار ربّا (פירוש חכמים) هو تفسير عام لسفر الأحبار، لأنّه لا يتبع السفر آية بآية. هو مدرّاش وعظي، يتألّف من ٣٧ عظة. دُوّن في فلسطين، بين القرنين الرابع والخامس للميلاد.

٤- العدد ربّا (פירוש מסכת) هو تفسير لسفر العدد. فيه قسمان : قسم وعظي، وآخر قصصيّ. جُمع القسم الأوّل، في القرن التاسع. والثاني، نحو

القرن الثاني عشر للميلاد. أمّا القسمين فمجُمعاً معاً، في بداية القرن الثالث عشر للميلاد.

٥- **تثنية الاشتراع ربّا (דְּבָרִים רְבָא)** هو تفسير قصصي ووعظي، لسفر تثنية الاشتراع. يحتوي على ٢٧ عظة. دُوّن قرابة القرن الثامن للميلاد.

٦- **نشيد الأناشيد ربّا (שִׁיר הַשִּׁירִים רְבָא)** هو تفسير رمزي، لسفر نشيد الأناشيد. فيه وصف للعلاقة التي بين الله-الحبيب وإسرائيل-المحبوبة. دُوّن في فلسطين، في القسم الأوّل من القرن السادس للميلاد.

٧- **راعوت ربّا (רעות רבא)** هو تفسير شبه كامل لسفر راعوت. هو مدرّاش وعظي وتفسيري. دُوّن في فلسطين، نحو القرن السادس للميلاد.

٨- **المراثي ربّا (איכה רבא)** هو تفسير ببلي لسفر المراثي. يُقرأ في يوم التاسع من آب (بحسب التقويم اليهودي)، وهو يوم حداد في إسرائيل، لأنّه ذكرى دمار الهيكل الأوّل والثاني، وجميع الكوارث التي حلّت بالشعب اليهودي عبر التاريخ. دُوّن في فلسطين، قرابة القرن الخامس للميلاد.

٩- **الجامعة ربّا (קהלת רבא)** هو تفسير لسفر الجامعة. دُوّن نحو القرن الثامن للميلاد. هناك مدرّاش يشبّهه من حيث المضمون، ويُدعى مدرّاش حول سفر الجامعة الصغير (קהלת זטא).

١٠- **أستير ربّا (אסתר רבא)** هو تفسير لسفر أستير. وهو قسمان : الأوّل، وفيه تفسير للفصلين الأوّلين من سفر أستير، ودُوّن في فلسطين، قرابة القرن السادس للميلاد؛ والثاني، هو تفسير للفصول ٣ حتى ٨:١٥، دُوّن في فلسطين، نحو القرن الحادي عشر للميلاد. جُمع القسمان، في كتاب واحد، بين القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد. يُقرأ في عيد الفوريم (פורים) حيث يحتفلون بخلاص إسرائيل، على يد أستير ومردخاي، من مكائد همّان، وزير الملك أحشورش.

■ المدارس الوعظية

هي العظات التي كانت تُلقى في المجامع، أيام السبوت والأعياد، جُمعت لتؤلف المدارس الوعظية التي هدفها تفسير كلام الله وجعله قريباً من حياة الناس. أقدم هذه المجموعات ثلاث :

١- **فسيقتا دِراب كَهانا** (פסיקתא דרב כהנא) ومعناها، عظات حول أقسام من الببليا ألقاها الرب كَهانا، في القرن الرابع للميلاد. يختلف هذا المدارس الوعظي عن مدارس التفسير الببلي التي تُعنى بدراسة أحد الأسفار، بل هو مجموعة عظات تفسيرية، وتعليمية، حول نصوص ببيلية، تُقرأ إبَّان الخدمة الليتورجية، في المجمع. دُوِّن هذا المدارس في فلسطين، في القرن الخامس للميلاد.

٢- **فسيقتا ربّاتي** (פסיקתא דרבתי) ومعناها الحرفي "الأقسام الكبرى"، وهي مجموعة عظات مخصّصة، لأيّام الأعياد والسبوت. دُوِّنت عظات هذا المدارس، في فترات زمنية مختلفة. من هنا، يصعب تحديد تاريخ تدوينه. أمّا جمعه، فيمكن أن يكون في القرن التاسع للميلاد.

٣- **مدراش تَنحوما** (מדרש תנחומא) هو مدرّاش وعظي، حول أسفار التوراة الخمسة، والموزّعة بحسب الترتيب الليتورجي الفلسطيني. عظاته خليط من الأجداه القصصية، ومن الهلكاه السلوكية. دُوِّن في فلسطين، وبعض أقسامه دُوِّنت، في القرن التاسع للميلاد.

■ المدارس الصغرى

١- **مدراش حول المزامير** (מדרש המזמרים) يتألف من مجموعة تفاسير لمعظم سفر المزامير دُوِّنت في فلسطين على مراحل زمنية متعدّدة. وعلى الرغم من تنوع مصادره يُعتبر من أجمل مدارس الأدب الأغادي القصصي.

٢- **مدراش حول سفر الأمثال** (מדרש משלי) هو تفسير لسفر الأمثال دُوِّن في فلسطين، وجمع من ثمّ في بابل ما بين القرنين السادس والسابع للميلاد.

■ مِدرَاش الأَجَدَاه (מִדְרָשֵׁי אַבְדָּה)

١- **مِجِيلَات تَعْنִית (מִגִּלֹּת תַעֲנִית)** أو لفيفة الأصوام. هذا المِدرَاش هو لائحة بالأَيَّام السَّتَّة والثلاثين التي لا يصوم فيها اليهودي، تذكّاراً لأحداث سعيدة وانتصارات مجيدة في تاريخ إسرائيل. ينتهي المِدرَاش عند حقبة دمار الهيكل الثاني، نحو سنة ٧٠ م. دُون في فلسطين، بين القرنين الأوّل والثاني للميلاد.

٢- **مِدرَاش سِدرِ عُولَام رَبָا (סִדְרַת עוֹלָם רַבָּא)** وترجمته مِدرَاش "نظام العالم الكبير". هو مِدرَاش يبحث في مراحل التاريخ اليهودي، منذ آدم حتى ثورة بن كوزيبا سنة ١٣٢ م. دُون في فلسطين، في القرن الرابع للميلاد.

٣- **مِدرَاش سِدرِ عُولَام زوطا (סִדְרַת עוֹלָם זוּטָא)** وترجمته مِدرَاش "نظام العالم الصغير". هو مِدرَاش تأريخي، يبحث في التاريخ اليهودي، في بداية القرون الوسطى، أي نحو القرنين السادس والسابع للميلاد. يراد منه التأكيد التاريخي، على الجذور الداوِديّة، لرؤساء اليهود، في تلك الحقبة. دُون في فلسطين، في بداية القرن التاسع للميلاد.

٤- **فِرْقِي دِرَابي العِزِر (פִּרְקֵי דִרְבֵּי אֶלְעָזָר)** وترجمته "فصول رابي العِزِر". تدور بعض موضوعاته، حول الخليقة وآدم وحوّاء، ونتائج الخطيئة عليهما، وحول السبت، وحول تجارب إبراهيم، وإسحق ويعقوب، ثمّ موسى... دُون بالعبريّة، في فلسطين، بين القرنين الثامن والتاسع للميلاد.

٥- **مِدرَاش يوسيفون (מִדְרָשׁ יוֹסֵפֹן)** وهي صيغة يونانيّة لاسم يوسف. هو مِدرَاش قصصي تأريخي، يسرد أحداث تاريخ اليهود، منذ سقوط بابل حتى دمار الهيكل الثاني سنة ٧٠ م. دُون بالعبريّة، في جنوبي إيطاليا، سنة ٩٥٣ م.

٦- **سِفِر هَيْشَار (סִפְרֵי הֵישָׁר)** وترجمته "كتاب المستقيم". هو مِدرَاش قصصي أَعَادِي، حول بعض الفصول السرديّة، من أسفار التوراة الخمسة. دُون بالعبريّة، في أواخر القرن الحادي عشر، في جنوبي إسبانيا.

٧- **مِدرَاش فِطيرت موشِه (פִּטְרֵת מוֹשֶׁה)** وترجمته مِدرَاش حول موت

موسى. دُونَ هذا المدرّاش من أجل قراءته، في آخر أيام عيد المظال، حيث يُذكر نصّ بركة موسى وأيامه الأخيرة (تث ٣٣-٣٤). يحتوي على موضوعات، من فترات زمنيّة مختلفة، بدءاً من القرن السابع، حتى القرن الحادي عشر للميلاد.

■ المدارس الأدبيّة

١- **دِرْخْ إِرْتِص رَبَا** (דְּרַחַם אֶרֶצְ רַבָּא) وترجمته "سبيل الحياة الكبير". فيه بعض قواعد السلوك الحياتيّة، حول الطعام والمائدة، وحول الحمام الطقسي... وغيرها من الممارسات الدينيّة في حياة اليهودي اليوميّة. يعود تاريخه إلى حقبة التناثيم، أي إلى القرنين الثاني وبداية الثالث للميلاد.

٢- **دِرْخْ إِرْتِص زوطا** (דְּרַחַם אֶרֶצְ זוּטָא) وترجمته "سبيل الحياة الصغير". هو مجموعة حكم ترشد إلى التواضع، وفحص الضمير. يعود في بداياته، إلى حقبة الأمورائيم، أي بين القرنين الثالث والسادس للميلاد.

٣- **تَنَّا دِيبِي إِيَّاهو** (תַּנְיָא דִּיבִי אִיָּהוּ) وترجمته "تعليم مدرسة إِيَّاهو". هو تحريض على السلوك الحسن، بالاستناد إلى تفاسير لنصوص ببليّة. دُونَ بالعبريّة. من الصعب تحديد مكان وزمان تدوينه.

٤- **ألفباء إِبْن سيراخ**، يتطرّق إلى سيرة إِبْن سيراخ منذ الطفولة. دُونَ بين القرنين التاسع والعاشر للميلاد، في بابل.

■ مدارس مختلفة

١- **يَلْقُوط شِمْعُونِي** (יְלֻקוֹט שִׁמְעוֹנִי) وترجمته "المجموعة الشمعونيّة"، لأنّها تُنسب إلى شِمْعون هَدْرْشان (المفسّر) وهو شخص مجهول. هي مجموعة مختارة، لتفاسير ببليّة، من أسفار الببيليا كافة، جُمعت في ألمانيا، في بداية القرن الثالث عشر للميلاد.

٢- **يَلْقُوط هَمَكِرِي** (יִלְקוּט הַמְּכִרִי) وترجمته "مجموعة رابي مَكير" (ابن أبا ماري). هو مجموعة مختارة، لتفسير حول الكتب النبوية، وبعض الكتب التاريخية. دُوِّنت هذه المجموعة، في إسبانيا، في القرن الثاني عشر للميلاد.

٣- **مِدرَاش هَجْدُول** (מִדְרָשׁ הַגְּדוֹל) وترجمته "المِدرَاش الكبير"، وهو كما يشير اسمه، أكبر مجموعة مِدرَاشية حول أسفار التوراة الخمسة، دُوِّنه داود بن إبراهيم، في القرن الثاني عشر للميلاد.

٤- **لِقَحْ طُوبُ** (לִקְחַ טוֹב) وترجمته "تعليم صالح". هو مِدرَاش حول أسفار التوراة الخمسة، واللفائف (מַגִּלּוֹת) الخمس : نشيد الأنشيد، راعوت، المراثي، الجامعة، أستير. دُوِّن في أوروبا، سنة ١٠٩٧ م.

٥- **مِدرَاش شِمُوئِيل** (מִדְרָשׁ שְׁמוּאֵל) وترجمته "مِدرَاش صموئيل". هو المِدرَاش الوحيد حول الأنبياء الأولين : يشوع بن نون، القضاة، صموئيل الأول والثاني، ملوك الأول والثاني. دُوِّن في القرن الحادي عشر للميلاد.

بعد هذه الجولة السريعة في عالم المِدرَاش، لا بدّ لنا من أن ننتقل إلى فصل آخر وأخير، للحديث عن عنصر أدبي رابيني لا يقلّ أهميّة عن المِدرَاش، عنيتُ به الترجوم الذي يحمل بعض ملامح المِدرَاش التفسيرية، إلى جانب كونه نقل للبيبلية من اللغة العبرية إلى الآرامية تسهيلاً للفهم.

الفصل التاسع

الترجم

الفصل التاسع

الترجوم

١ - معنى لفظة ترجوم وأبعادها

إنَّ لفظة "ترجوم" مشتقة من الجذر العبري الرباعي "ت ر ج م" (תרגם)، وتعني بالعربية "ترجمة". يقال إنها من أصل إما أكادي "تَرْجومانو" المشتقة من الجذر "ر ج م" ومعناه "دعا"؛ وإما من أصل حثي "تَرْكومي" ويعني "أعلن" و"فسّر" و"ترجم". ولفظة متورجمان (מְתוּרְגְּמָן) تعني في اللغة العربية، الترجمان أو المترجم. والترجوم (תרגום)، في إطار الأدب الرابيني، يعني حصراً، الترجمة الشفهية، من اللغة العبرية إلى الآرامية، ويعني أيضاً، بشكل أوسع، مجموعة الترجمات الآرامية لمجمل نصوص الأسفار القانونية العبرية.

وغالبا ما يكون المخول بالترجمة في المجمع، أي المتورجمان، من التلاميذ المبتدئين لأن لا صلاحيات تعليمية له، بل يبقى رهن إشارة الرابي الذي يترأس الجماعة، ويتلو التوراة أمام الحاضرين بالعبرية وهو، أي الترجمان، يترجمها إلى الآرامية ليفهمها الحاضرون في المجمع.

كان دور الترجمان يتراوح، أحياناً كثيرة، بين الترجمة الحرفية، والترجمة التفسيرية، لأنَّ همَّه الأكبر كان إيصال الفكرة والمعنى بشكل أوضح وأسهل. من هنا، نجد نصوص التراجم، أوسع بكثير من النصوص العبرية الأصلية : يسمع الترجمان، النصَّ العبري، ويترجمه إلى الآرامية، بمعنى أنَّه يفسّره عند

الضرورة، إذا كان المعنى الحرفي لا يفي تماماً بالغرض المنشود، كما ورد في نحميا ٨:٨ حيث جاء: "فقرأوها (اللاويون) في كتاب شريعة الله وترجموها لهم وفسّروا معناها".

ليس همّ الترجمان إذاً، أن يترجم النصّ فحسب، بل أن يفهمه للجماعة وأن يجعل معانيه، تحاكي ظروف معيشتها الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة حيث تدعو الحاجة... وكذلك، ليس الترجوم، ترجمة كما في المفهوم الحديث للكلمة، بل هو تفسير باللغة الآرامية، دُون في أسفار موازية للأسفار القانونيّة العبريّة، نشأت إبان القراءة الليتورجيّة في المجمع. يُعتبر الترجوم من بين الأدب الشعبي والتعليمي.

للنصّ العبري، ترجمات أخرى، في لغات غير الآرامية، وأشهرها الترجمة السبعينيّة اليونانيّة، والترجمة البسيطة السريانيّة. لا تنطبق على هاتين الترجمتين، مواصفات الترجوم، الذي نشأ في إطار المجمع، من خلال ترجمة فوريّة وشفهيّة. كما أنّ النصّ الآرامي، ظلّ دون النصّ العبري اعتباراً، ولا يُقرأ عوضه، خلافاً للترجمات الأخرى التي تُرجمت لتحلّ مكان النصّ العبري، تماماً كما كانت الحال في الإسكندريّة حيث كانوا يقرأون التوراة باليونانيّة مباشرة، دون المرور بالنصّ العبري.

٢ - ظروف نشأة التراجم الآرامية

بينما كان سكّان اليهوديّة في سبيهم، في بلاد بابل، غلبت عليهم اللغة الآرامية، لغة الامبراطوريّة البابليّة آنذاك. وعند عودتهم، كانت نخبة قليلة فقط، تتحدث بالعبريّة، وتقرأ الأسفار المقدّسة، المكتوبة أصلاً، بالعبريّة. أمام هذا الواقع الجديد، كان لا بدّ من حلّ عمليّ، يوصل إلى الشعب كلمة الله وتعاليمه، بلغة مفهومة منه، وهي الآرامية، كما ذكرنا. فكان الترجمان يكرّر ويترجم، بالآرامية، ما يتلوه الرابي بالعبريّة.

يعود التقليد الرابيني، في تحديده لنشأة هذا الأسلوب، إلى أيام عزرا الكاتب، على حسب ما يرويه سفر نحemia ٨: ١-٩. والعلماء لا يعترضون على هذا التحديد.

٣ - استعمال التراجم في المجامع

يندرج استعمال الترجوم ضمن الخطّة التي بدأها الفريسيّون في جعل الحياة اليوميّة، ترتكز على تعاليم التوراة، أي جعل التوراة محور الحياة اليهوديّة، بحيث أنّ كلّ الشعب هو مسؤول عن الوصايا التي فيها. من هنا، ضرورة إيصالها، بشكل أمين وواضح. فكانت الحاجة إلى الترجوم والترجمان. ولمهمة، هذا الأخير، شروط عليه اتّباعها، كمثال ترجمة أسفار التوراة، آية بآية. بينما الكتب الأخرى، كالأنبياء، والكتب فيمكنه أن يترجم، كل ثلاث آيات معاً، ممّا يدلّ على الدقّة المتوخّاة، في ترجمة التوراة، لأنّها تحمل التعليم والأحكام المباشرة، والتي يجب على كلّ حاضر أن يفهمها دون أيّ لبس أو تشويه (مشن، مجل ٤: ٤).

والأفضليّة في القراءة تبقى للنصّ القانوني العبري، لأنّه النصّ الموحى به، بينما الحاجة وحدها إلى الفهم، أعطت حيثيّة للترجوم الآرامي. لذلك، فإنّ ترتيب القراءة بين النصّ العبري والنصّ الآرامي المترجم يُظهر بوضوح، أفضليّة الأوّل على الثاني. فالتلمود البابلي يشدّد على قراءة النصّ العبري مرتّين، وقراءة الترجوم الآرامي، مرّة واحدة (تل با، برخ ٨ أ).

للتراجم علاقة وثيقة، بقراءة الببيليا في المجامع، بحسب الدورة السنويّة للنصوص التوراتيّة، الموزّعة على جميع سبوت السنة وأعيادها، ويضاف إليها، قراءات من الأنبياء، يُقال لها هفّتروت (הַפְּתוּרֹת)، تتناسب ونصوص التوراة، بالإضافة إلى تراجم اللفائف الخمسة (מְגִלּוֹת) التي تُقرأ في أعياد معيّنة.

لا يُسمح أن يكون، بين يدي المترجم، أي كتاب مكتوب يقرأ فيه، بل على الترجمة أن تكون شفهيّة، لكي تظلّ القيمة الأساسيّة للبيبيلا، ولكنّ هذا الأمر، لم يحلّ دون تدوين هذه التراجم، وحفظها في مخطوطات، خوفاً عليها من النسيان.

٤ - الترجوم والمدراش

كما ذكرنا سابقاً، إنّ الترجوم هو الترجمة الآراميّة الرسميّة للبيبيلا العبريّة. وإنّ هذه الترجمة ليست حرفيّة، بل توضيحيّة وتفسيريّة، لذا فهي قد تقارب المدرّاش، وتستعمل ما له من أساليب وقواعد معروفة، في ذلك الحين. هذا التقارب مع المدرّاش، يجعل من الترجوم، كوسيلة تفسير، مرحلة انتقاليّة بين النصّ البيبلي الأصلي، والمدرّاش الذي هو الشرح المفصّل والمنهجي، لكل آية من النصّ، تؤخذ بحرفيّة، وبلغتها العبريّة.

يسعى المترجم، إلى توضيح بعض التناقضات والصعوبات الظاهرة، في بعض من نصوص البيبيلا، وإلى تفسير معاني أسماء العلم، وشرح المواصفات البشريّة، التي يوصف بها الله أحياناً... واستطراداً، يمكننا تصنيف الترجوم، في أسلوبه، بأنّه أقرب إلى الأغداه القصصيّة، منه إلى ال هآخاه السلوكيّة.

٥ - مجموعة التراجم الآراميّة

يوجد تراجم لسائر الأسفار المقدّسة : التوراة، والأنبياء، والكتب التاريخيّة والحكميّة؛ وتُستثنى الأسفار التي فيها نصوص كُتبت أصلاً بالآراميّة، وهي أسفار دانيال، عزرا ونحميا. تُوزّع هذه التراجم، بحسب أقسام البيبيلا، في قانونها الفلسطيني، وسنعدّد هنا أهمّها طبقاً لهذا الترتيب :

■ تراجم أسفار التوراة الخمسة

١ - ترجوم أنكلوس أو الترجوم البابلي

هو الترجمة القانونية للتوراة، في أسفارها الخمسة. تسميته بأنكلوس، هي غير أكيدة إذ أن هذا الأخير، وبحسب المصادر الرابينية، ليس سوى أكيل، الذي ترجم التوراة إلى اليونانية، وليس إلى الآرامية. لذلك يفضل العلماء، تسميته بالترجوم البابلي، لكثرة استعماله في المدارس البابلية، حتى أن اليهود البابليين يدعونه "ترجومنا".

على الرغم من ارتباطه ببابل، فإن نصه ما يوحى بمرحلة تدوينية أولى، في فلسطين، نظراً لتقاربه اللغوي، مع التراجم الفلسطينية والقمرانية والسامرية، ومن ثم وصل إلى بابل حيث أخذ شكله النهائي والحالي؛ يرجح أن يكون قد بوشر بتدوينه، في بداية القرن الثاني للميلاد، أي قبل الثورة اليهودية الثانية، سنة ١٣٢-١٣٥ م. مع بن كوزيبا.

٢ - ترجوم يوناتان المزعوم

واسمه الأساسي "ترجوم أرض إسرائيل" (תרגום ארץ ישראל)، أو الترجوم الأورشليمي، ولكن نسب خطأ في القرن السادس عشر، إلى يوناتان، بسبب قراءة خاطئة لحرفين، يختصران اسمه، بحسب عادة اليهود، في تسمية كتبهم الدينية، والحرفان هما "ت ي" (ת"י) ويعنيان أصلاً "ترجوم يروشلمي" (תרגום ירושלמי)، أي الترجوم الأورشليمي. إلا أن أحدهم، ويدعى مناحيم بن ريكاتي، من البندقيّة، قرأ حرف الياء وكأنّها "يوناتان"، فدعا الترجوم بـ "ترجوم يوناتان".

بحسب الدراسات التي تتبعت تطوّر النصّ في تدوينه، يقول العلماء، إنّه لا

يمكن أن يكون قد أخذ شكله النهائي، قبل القرنين السابع والثامن للميلاد، لما يحمل في طيّاته، من تأثير مباشر من الترجوم البابلي، وهو بعد في مرحلته الفلسطينية، ومن التلمود والمشناه.

٣ - ترجموم نيوفيتي

واسمه الأساسي "ترجوم أسفار التوراة الخمسة الأورشليمي" (תרגומא דמשה מואב). لم يكن معروفاً قبل سنة ١٩٥٦، حيث أن الباحث أ.دياز ماخو الإسباني، قد اكتشفه في المكتبة الفاتيكانية، وهو مسجل في سجلاتها خطأً، تحت اسم ترجموم أنكلوس، وقد وصل إليها، من مكتبة النيوفيت، التابعة للمعهد الذي أسسه البابا غريغوريوس الثالث عشر، سنة ١٥٧٧، للاهتمام بالمهتدين إلى المسيحية، وكان من بين المدرسين في هذا المعهد، الرابي أندريا ده مونتي، الذي تنصّر وأحضره معه.

نُسخ هذا الترجوم في روما، في شهر آذار من سنة ١٥٠٤. أما موضوعاته، فهي قديمة جداً، وتعود إلى القرن الثاني للميلاد، في فلسطين.

■ تراجم أسفار الأنبياء

١ - ترجموم يوناتان بن عوزيئل

عاش يوناتان في القرن الأول للميلاد، وكان من تلامذة رابي هيلل (٧٠ ق.م - ٢٠ م). يُعتبر ترجمومه، الترجوم الرسمي، لأسفار الأنبياء. مصادره هي من أصل فلسطيني، ولكنها جمعت ودوّنت، في بابل، بين القرنين الثالث والرابع للميلاد.

٤٩ - وهي لفظة لاتينية وتعني المرتدون الجدد إلى الإيمان المسيحي. وقد دُعي هذا الترجوم بالنيوفيتي لأن مصدر مكتبة النيوفيت.

٢ - ترجوم يونان

إنَّ سفر يونان، هو سفر تعليمي، درجت عادة تلاوته في الجامع الفلسطينية، منذ وقت بعيد، لما لقَّصته من وقع على المستمعين، لذلك لا بدَّ من أن يكون ترجمومه قديم العهد، ولربَّما يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

■ تراجم الكتب التاريخية والحكمية

١ - ترجوم سفر أيّوب

يعتقد بعض العلماء، أنَّ لسفر أيّوب أساساً آرامياً، سبق النصّ العبري، وأنَّ هناك العديد من التراجم لسفر أيّوب اكتُشفت، وهي متداولة منذ القرن الأوّل للميلاد، في فلسطين، ولربَّما قبل ذلك، إذ اكتُشف بين مخطوطات قمران، ترجوم للسفر عينه.

٢ - ترجوم سفر المزامير

يعود تاريخ ظهور هذا الترجوم، إلى نحو القرن الخامس للميلاد، في فلسطين، علماً أنَّ تراجم كانت موجودة أيضاً، أيّام المسيح والرسول، فعلى الصليب لفظ يسوع الآية الثانية من المزمور ٢٢، ولكن بترجمة تختلف بعض الشيء عن التي هي من القرن الخامس، وكذلك فعل بولس الرسول، في أف ٨: ٤. إذ ذكر المزمور ٦٨: ١٩ عن أصل آرامي...

٣ - ترجوم سفر الأمثال

هو قريب جداً في نصّه من الترجمة السريانية البسيطة (ܐܡܬܐܠܐ), وكأنَّ المترجم استند عليها، ليقدم ترجمة سفر الأمثال، إلى جماعة يهودية تنطق بالسريانية. ظهر هذا الترجوم، في فلسطين، حوالى القرن الثاني للميلاد.

٤ - ترجموم سفرَي أخبار الأيام

لم يكن هذا الترجوم معروفًا، قبل القرن السابع عشر، حيث ظهرت أول طبعة، لترجوم سفر الأخبار الأول، في ألمانيا سنة ١٦٨٠، وسنة ١٦٨٣ طبع ترجموم السفر الثاني. بوشر في تدوينه في القرن الرابع للميلاد، وأخذ شكله الحالي، بين القرنين الثامن والتاسع للميلاد.

٥ - ترجموم اللفائف الخمسة

- **ترجوم سفر راعوت** : هو قراءة لسفر راعوت، على ضوء عيد " الأسابيع " (שבועות). يعود في موضوعاته السلوكية إلى تقاليد فلسطينية قديمة، أي إلى ما قبل تدوين المشناه، في أوائل القرن الثالث للميلاد.

- **ترجوم سفر نشيد الأناشيد** : هو قراءة رمزية لسفر نشيد الأناشيد، بحيث يتم التشديد على العلاقة العاطفية التي تربط بين الله - العريس الحبيب، وإسرائيل - العروس الحبيبة. قد يعود في تاريخه، إلى ما قبل القرن الأول للميلاد. أمّا قراءته في المجمع، في اليوم الثامن من عيد الفصح، فتعود إلى القرنين الخامس والسادس للميلاد.

- **ترجوم سفر المراثي** : يُقرأ في اليوم التاسع من آب (بحسب التقويم اليهودي)، وهو يوم حزن وحداد، على دمار الهيكل الأول والثاني، وعلى كل الكوارث التي حلت باليهود عبر تاريخهم. ظهر في بعض أقسامه في فلسطين، وفي البعض الآخر في بابل. يصعب تحديد تاريخ ظهوره، لأنّه لم يدوّن دفعة واحدة، بل على مراحل عديدة، ولكن يمكن تحديد القرن السابع للميلاد، كحدّ أقصى لاكتماله وأخذ شكله الحالي.

- **ترجوم سفر الجامعة** : يُقرأ في عيد المظال. دُوّن في فلسطين قبل الفتح العربي أي قبل سنة ٦٣٦ م.

- **تراجيم سفر أستير** : وعددها ثلاثة تراجم، تُقرأ في عيد الفوريم، أو عيد

المساخر (تسمية شعبية). يعود أقدمها إلى الحقبة التلمودية، أي بين القرنين الرابع والخامس للميلاد.

نصوص

١- ترجوم نيوفيتي حول تك ١: ١-٨ (الخليقة)

" (١) في القديم، بحكمة، خلق كلام الرب، وكمل السماوات والأرض. (٢) والأرض كانت تائهة خالية، محرومة من البشر والبهايم، خالية من كل فلاحه النبات والشجر، والظلمة فُرشت على وجه الغمر، وروح الرحمن من أمام الرب نفخ على وجه المياه. (٣) وقال كلام الرب: "ليكن نور"! فكان نور حسب قرار كلامه. (٤) وتجلّى أمام الرب أنّ النور حسن جداً. وفصل كلام الرب بين النور وبين الظلمة. (٥) ودعا كلام الرب النور "نهاراً" والظلمة دعاها "ليلاً". وكان مساء، وكان صباح، حسب ترتيب صنع الخلق: يوم أول.

وقال كلام الرب: "ليكن جلد في وسط المياه، فيكون فاصلاً بين مياه الأرض ومياه العلاء!" (٧) وخلق الرب الجلد بين المياه التي تحت الجلد، وبين المياه التي فوق الجلد. فكان كذلك حسب كلامه. (٨) ودعا كلام الرب الجلد "سما". وكان مساء، وكان صباح، حسب ترتيب صنع الخلق: يوم ثان...^{٥٠}

ب - ترجوم نيوفيتي حول تك ١٨: ١-١٥ (ظهور الله في ممرا)

" (١) أرسل ثلاثة ملائكة إلى أبينا إبراهيم، حين كان يخن لحم غلفته. أرسل الثلاثة من أجل ثلاثة أشياء، لأنّ ملاكاً من العلى لا يمكن أن يرسل إلّا من أجل شيء واحد. أرسل الملاك الأوّل ليخبر أبانا إبراهيم أنّ سارة ستلد له اسحق. والثاني أرسل لينجّي لوطاً من الدمار. والثالث أرسل ليدمر سدوم

٥٠ - ترجوم نيوفيتي حول سفر التكوين، ترجمة الخوري بولس الفغالي، على هامش الكتاب ١٠،

وعمورة وأدمة وصبوييم. وتجلّى كلام الرب لإبراهيم في سهل الرؤية حين كان جالساً على باب خيمته في عزّ النهار وهو يستدفئ من دم الختان، في حرّ النهار. (٢) رفع عينيه، فرأى ثلاثة ملائكة، في شبه رجال، يقفون قربه. رآهم، فأسرع للقائهم من باب الخيمة، وسلم عليهم كعادة الأرض. (٣) قال: "أطلب منك، أيّها الرب، إن وجدتُ حظوة ونعمة أمام وجهك، أن لا يرتفع مجد السكنى من فوق عبدك. (٤) سأخذ قليلاً من الماء لأغسل أقدامكم، ثم تأخذون برودة تحت الشجرة. (٥) وآخذ قليلاً من الطعام فتقوّوا قلوبكم. بعد ذلك تعبرون. فلأجل ذلك عبرتم قرب عبدكم في وقت الطعام". فقالوا: "إفعل كما قلت". (٦) فأسرع إبراهيم وذهب إلى الخيمة، إلى سارة، وقال: "أسرعي وخذي ثلاثة أكياس من زهر الطحين. أعجنيها واصنعي منها خبزاً فطيراً". (٧) ثم أسرع إبراهيم إلى الحظيرة، فأخذ عجلاً رخصاً وطيباً وأعطاه لخدمته الذي أسرع وهياً. (٨) وأخذ زبدة وحليباً والعجل الذي هَيئ ووضعها أمامهم. أما هو فوقف قربهم تحت الشجرة، وظهروا كأنهم يأكلون ويشربون.

(٩) وقالوا له: "أين امرأتك سارة؟" قال: "ها هي في الخيمة". (١٠) قال: "أعود عودة إليك في الساعة عينيها، ويكون لسارة امرأتك ولد ذكر". وكانت سارة تسمع عند باب الخيمة، واسماعيل واقف وراءها يتنصّت. (١١) وكان سارة وإبراهيم شيخين متقدمين في السن، وامتنع أن يكون لسارة عادة كما للنساء. (١٢) اندهشت سارة في قلبها قائلة: "هل يمكن الآن وقد شخّْتُ، أن أعود إلى أيام صباي وأحبل، وإبراهيم سيّدي شيخ؟" (١٣) فقال الرب لإبراهيم: "لماذا ضحكت سارة قائلة: 'هل سألد حقاً وأنا عجوز؟' (١٤) هل يمكن أن يكون شيء مخفياً أمام الرب. في مثل هذا الوقت أعود إليك، في مثل هذه الساعة، ويكون لسارة ولد ذكر". (١٥) فأنكرت سارة قائلة: "ما ضحكتُ! فإنّها خافت. قال لها: 'في الحقيقة، ضحكتُ'!!".^{٥١}

ج - ترجوم ينوفيتي حول تك ٢٥:٢٩-٣٤ (عيسو يتنازل عن بكريته)
" (٢٩) وطبخ يعقوب طبخ عدس. وأتى عيسو من البرية وهو تعب. (٣٠)
فقال عيسو ليعقوب: "أعطني لآكل من هذا الطبخ الأحمر، لأنني تعب". لهذا
دُعي باسم أدوم. (٣١) فقال يعقوب: "بعني بكوريّتك الآن". (٣٢) فقال عيسو:
"أنا صائر إلى الموت، فما تنفعني البكورية بعد الآن؟" (٣٣) فقال يعقوب:
"أحلف لي اليوم! فحلف له، وباع ليعقوب بكوريّته. (٣٤) فأعطى يعقوب
عيسو خبزاً وطبيخاً من عدس، فأكل وشرب، ثم قام ومضى. وهكذا احتقر
عيسو بكوريّته، وأنكر قيامة الموتى كما أنكر الحياة في العالم الآتي"^{٥٢}.
بعد هذه النصوص المترجمة إلى العربية، سنورد نصاً من البيبليا بلغته
العبرية الأصلية ومن ثم ترجمته الآرامية، لوضع القارئ، وعن كُتب، في صورة
هذا الأدب البيبلي والرابيني:

د - نصّ البيبليا حول تك ١:٨-٨

- (א) בְּרֵאשִׁית בָּרָא אֱלֹהִים אֶת הַשָּׁמַיִם וְאֶת הָאָרֶץ: (עברי)
(א) בְּקִדְמִיּוֹ בָרָא יְיָ אֶת הַשָּׁמַיִם וְאֶת הָאָרֶץ: (آرامي)^{٥٣}
(١) في البدء خلق الله السماوات والأرض.
(ב) וְהָאָרֶץ הָיְתָה תְּהוֹ וּבְהוֹ וְחֹשֶׁךְ עַל פְּנֵי תְהוֹם וְרוּחַ אֱלֹהִים מְרַחֶפֶת עַל פְּנֵי
- מַיִם: (עברי)
(ב) וְאֶרֶץ הָיְתָה צִדְיָא וְרִיקְנִיָא וְחֹשֶׁכָא עַל אִפֵּי תְהוֹמָא וְרוּחָא מִן קְדָם יְיָ
מְנַשְׁבָּא עַל אִפֵּי מַיָּא: (آرامي)

٥٢ - المرجع نفسه، ص ٩٨.

٥٣ - هذه الترجمة الآرامية للنصّ العبري هي مستقاة من ترجوم أنكلوس، وهو منشور مع النصّ
العبري في كتاب تفسير التوراة لرابي شلومو بن يتصحق والمعروف بـ "راشي". Chumach
with Rashi's commentary, edited by Rabbi A. M. Silbermann, Jerusalem,

٢) والأرض كانت خاوية خالية والظلام على وجه الغمر وروح الله يرفرف على وجه المياه.

(ג) וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים יְהִי אוֹר וַיְהִי אוֹר : (עברי)

(ג) וַאֲמַר יְיָ יְהִי נְהוֹרָא וְהוּא נְהוֹרָא : (آرامي)

٣) وقال الله : ليكون نور فكان نور.

(ד) וַיֵּרָא אֱלֹהִים אֶת הָאוֹר כִּי טוֹב וַיַּבְדֵּל אֱלֹהִים בֵּין הָאוֹר וּבֵין הַחֹשֶׁךְ : (עברי)

(ד) וַחֲזָא יְיָ ית נְהוֹרָא אֲרִי טב וַאֲפֹרֶשׁ יְיָ בֵּין נְהוֹרָא וּבֵין חֹשׁוֹכָא : (آرامي)

٤) ورأى الله أنّ النور حسن ففصل الله بين النور والظلمة.

(ה) וַיִּקְרָא אֱלֹהִים לָאוֹר יוֹם וְלַחֹשֶׁךְ קֶרָא לַיְלָה וַיְהִי עֶרֶב וַיְהִי בֹקֶר יוֹם אֶחָד : (עברי)

(ה) וַיִּקְרָא יְיָ לְנְהוֹרָא יִמְמָא וְלַחֹשׁוֹכָא קֶרָא לַיְלִיא וְהוּא רִמְשׁ וְהוּא צֶפֶר יוֹמָא חָד : (آرامي)

٥) ودعى الله النور نهاراً ودعى الظلمة ليلاً فكان مساء وكان صباح يوماً أولاً.

(ו) וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים יְהִי רְקִיעַ בְּתוֹךְ הַמַּיִם וַיְהִי מַבְדִּיל בֵּין מַיִם לַמַּיִם : (עברי)

(ו) וַאֲמַר יְיָ יְהִי רְקִיעָא בְּמַצִּיעוֹת מַיָּא וְיִהִי מַפְרִישׁ בֵּין מַיָּא לַמַּיָּא : (آرامي)

٦) وقال الله : ليكون رقيق في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه.

(ז) וַיַּעַשׂ אֱלֹהִים אֶת הָרְקִיעַ וַיַּבְדֵּל בֵּין הַמַּיִם אֲשֶׁר מִתַּחַת לָרְקִיעַ וּבֵין הַמַּיִם אֲשֶׁר מַעַל לָרְקִיעַ וַיְהִי כֹן : (עברי)

(ז) וַעֲבַד יְיָ ית רְקִיעָא וַאֲפֹרֶישׁ בֵּין מַיָּא דִּי מַלְרַע לָרְקִיעָא וּבֵין מַיָּא דִּי מַעַל לָרְקִיעָא וְהוּא כֹן : (آرامي)

٧) وصنع الله الرقيع وفصل بين المياه التي من تحت الرقيع والمياه التي من فوق الرقيع وكان كذلك.

(ח) וַיִּקְרָא אֱלֹהִים לְרִקְיעַ שָׁמַיִם וַיְהִי עָרֶב וַיְהִי בֹקֶר יוֹם שְׁנִי : (عبري)

(ח) וַיִּקְרָא יְיָ לְרִקְיעָא שְׁמַיָא וַהֲוָה רַמְשׁ וַהֲוָה צֶפֶר יוֹם תַּנִּין : (آرامي)

٨) ودعى الله الرقيع سماء. وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً.

كان الترجوم من أفعال الأساليب القديمة لإيصال كلمة الله إلى المؤمنين بها. فهو من مجرد ترجمة من العبرية الكتابية إلى الآرامية المحكية، تطور ليصبح، تفسيراً شفهاً مطوّلاً، حُفظ من الاندثار، بتدوينه في مجموعات كبيرة، صار معها جزءاً لا يتجزأ من الأدب الرابيني، وبالتالي عنصراً مكوّناً من عناصر التوراة الشفهية، يُدرّس في المدارس الرابينية. من هنا، لم تنتفِ قيمة الترجوم الآرامي، في أيامنا هذه، على الرغم من إمكانية قراءة البيبليا بلغتها الأصلية، ووفرة الترجمات في سائر اللغات العالمية القديمة والحديثة.

خاتمة عامة

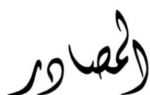
وفي الختام، نودّ القول أننا، في هذا " المدخل إلى الأدب الرأبيني "، حاولنا أن نجيب على الرغبة التي أطلقها المجمع الفاتيكاني الثاني^{٥٤} الذي أوصى " بالمعرفة والاعتبار المتبادلين " بين المسيحية واليهودية، وذلك " تعزيزاً للحوار الأخوي ". ومساهمة مداً في تحقيق هذا الهدف في محيطنا المشرقي، حاولنا أن نوصل إلى القارئ، حقيقة هذا الأدب الرأبيني بعناصره المتنوعة والتي تؤلف مجتمعة تقليداً دينياً واحداً ومتكاملاً، يعول عليه المؤمن اليهودي، إلى جانب الببيليا، في البحث، وعلى طريقته، عن مشيئة الله فيصيرها قاعدة سلوك يمارسها بكل أمانة ومثابرة.

يحاول هذا الكتاب أن يكشف ويعرض هذه الطريقة التي بدورها تكشف لنا فريدة اليهودي الدينية والروحية والإنسانية.

واستكمالاً، سوف يلي هذا الكتاب - المدخل، كما أشرنا في المقدمة، ترجمات لنصوص من هذا الأدب الديني، تسمح للقارئ أن يتعرّف مباشرة إلى هذه الفريدة الفكرية اليهودية.

وفي كلمة أخيرة، نرجو أن يجد هذا الكتاب - على تواضعه - مكانةً في المكتبة العربية التي بدأت تهتم أكثر فأكثر بالشأن اليهودي على الصعيد الفكري والديني والحياتي.

٥٤ - جميع كنائس أوروبا تبنت هذا الموقف بعيد الحرب العالمية الثانية، حيث اجتمعت في مدينة سالزبورغ في سويسرا سنة ١٩٤٧، وأعلنت موقفها من اليهود واليهودية بعشر نقاط. ولا بد أن يكون المجمع الفاتيكاني الثاني قد تبني ما جاء فيها، وشدد عليه في " التصريح حول علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالديانات غير المسيحية "، في فقرته الرابعة المخصصة للديانة اليهودية.



- 1- AGGADOT DU TALMUD DE BABYLONE, *La source de Jacob-'Ein Yaakov*, traduction de Arlette Elkaim-Sartre, "Introduction à la littérature Talmudique" par Marc-Alain Ouaknin, Coll. "Les Dix Paroles", Verdier, 1982.
- 2- ATTIAS J.-C. et BENBASSA E., *Dictionnaire de civilisation juive*, Larousse, Paris, 1998.
- 3- BANON D., *Le Midrach*, coll. Que sais-je?, n.3019, P.U.F., Paris, 1995.
- 4- COHEN A., *Le Talmud*, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1991.
- 5- COUSIN H.(et autres), *Le monde où vivait Jésus*, Cerf, Paris, 1998.
- 6- *Dictionnaire du judaïsme*, Encyclopedia Universalis-Albin Michel, Paris, 1998.
- 7- *Dictionnaire Encyclopédique du Judaïsme*, Cerf, Paris, 1993.
- 8- *Encyclopedia Judaica*.
- 9- FLUSSER D., *Les sources juives du christianisme*, éd. de l'éclat, Paris-Tel-Aviv, 2003.
- 10- GRELOT P., Les Targoums, Cahiers Evangile, Supplément, n.54, Cerf, Paris, 1985.
- 11- KETTERER E., REMAUD M., *Le Midrash*, Cahiers Evangile, Supplément, n.82, Cerf, Paris, 1992.
- 12 - LAUTERBACH J.-Z, *Rabbinic Essays*, Hebrew Union College Press, Cincinnati (USA), 1956.
- 13 - LA MAISONNEUVE D. de, *Paraboles rabbiniques*, Cahiers Evangile, Supplément, n.50, Cerf, Paris, 1984.
- 14 - LENHARDT P. et COLLIN M., *La Torah des Pharisiens*, Cahiers Evangile, Supplément, n.73, Cerf, Paris, 1990.
- 15 - MANNS F., *Le Midrash, Approche et commentaire de l'Écriture*, Franciscan Printing Press, Jérusalem, 1990.
- 16 - MANNS F., *Pour lire la Mishna*, Franciscan Printing Press, Jérusalem, 1984.
- 17 - PATTE D., *Early Jewish Hermeneutic in Palestine*, Society of Biblical Literature and Scholars Press, University of Montana (USA), 1975.

- 18 - SCHILLI H. (Grand Rabbin), *Regards sur le Midrach*, C.L.K.H., Paris, 1977.
- 19 - STRACK H.L., STEMBERGER G., *Introduction au Talmud et au Midrash*, coll. Patrimoines / Judaïsme, Cerf-Verdier, Paris, 1986.
- 20 - STEINSALTZ A., *Introduction au Talmud*, Albin Michel, Paris, 1987.
- 21 - STEINSALTZ A., *Personnages du Talmud*, Bibliophone, Paris, 2000.
- 22 - Taradach M., *Le Midrash*, coll. Le Monde de la Bible n. 22, Labor et Fides, Genève, 1991.
- 23 - TOUATI CH., *Prophètes, Talmudistes, Philosophes*, coll. Patrimoines / Judaïsme, Cerf, Paris, 1990.
- 24 - URBACH E., *Les Sages d'Israël, conceptions et croyances des maîtres du Talmud*, coll. Patrimoines / Judaïsme, Cerf-Verdier, Paris, 1996.

25 - ח"נ ביאליק וי"ח רבניצקי, ספר האגדה, כרך א-ב, הוצאה דביר, תל-אביב, 1987.

26 - שטיינזלץ רב עדין, תלמוד בבלי, המכון הישראלי לפרסומים תלמודיים, ירושלים.

27 - פינחס קהתי, משניות, ירושלים, תשנ"ב.

29 - الميسري عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٨ أجزاء، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.

أنجرت المطبعة البولسيّة (جونيّه، لبنان)
طبع كتاب
«مدخل إلى الأدب الرائيّ»
في ٢٠ نيسان ٢٠٠٥

يعرض هذا «المدخل إلى الأدب الرابيني» العناصر المكوّنة لما يُسمّى بالتوراة الشفهية أو بالتقليد الشفهيّ في الديانة اليهوديّة، وهي نتاج أجيال من العلماء والحكماء اليهود، ويُدعّوا «رَبَّانِيم»، جَعَلُوا لَهُمْ تِلْمِذَةً وَمُدَارِسَ فِي فِلِسْطِينَ وَبَابِلَ.

أنتجت مدارسهم هذه كتباً تحمل في طيّاتها أدباً دينياً ارتبط باسمهم فأخذ صفة «رابيني». تَكُونُ هَذَا الْأَدَبُ الرَّابِينِيّ مِنْ عِدَّةِ عُنَاوِينَ أَدْبِيَّةٍ هِيَ كَالْتَالِي: الْمَشْنَاهُ، وَالتِّلْمُودَيْنِ الْفِلِسْطِينِيّ وَالبَابِلِيّ، وَالمُدْرَاشُ، وَالتَّرْجُومُ.

لَقَدْ خَصَّصْنَا لِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْعُنَاوِينَ فِصْلًا يَحْتَوِي عَلَى تَحْدِيدِ مَفْصَلٍ لَهُ، وَأَرْفَقْنَاهُ بِنُصُوصٍ مُخْتَارَةٍ تُرْجِمَتْ مِنَ الْعِبْرِيَّةِ وَالْأَرَامِيَّةِ، تُبْرِزُ طَبِيعَةَ وَمِيزَاتِ كُلِّ عُنْصَرٍ مِنْهَا.

المؤلف :

الأب أميل عقيقي ر.ل.م.. أستاذ اللغة العبريّة البيبليّة، والديانة اليهوديّة، في كليّة اللاهوت الحبريّة، في جامعة الروح القدس، الكسليك.